٤٩١
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

ذِكر ملْك الفِرَنج مدينة أنطاكية

كان ابتداء ظهور دولة الفرنج، واشتداد أمرهم، وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، فملكوا مدينة طُلَيطُلة وغيرها من بلاد الأندلس، وقد تقدّم ذِكر ذلك.

ثم قصدوا سنة أربع وثمانين وأربعمائة جزيرة صَقَلّية وملكوها، وقد ذكرته أيضاً، وتطرّقوا إلى أطراف إفريقيَة، فملكوا منها شيئاً وأُخِذ منهم، ثم ملكوا غيره على ما نراه.

فلما كان سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام، وكان سبب خروجهم أنّ ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من الفرنج، وكان نسيب رُجار الفرنجي الذي ملك صَقَلّية، فأرسل إلى رُجار يقول له: قد جمعتُ جمعاً كثيراً، وأنا واصلٌ إليك، وسائر من عندك إلى إفريقية أفتحها، وأكون مجاوراً لك.

فجمع رُجار أصحابه، واستشارهم في ذلك، وقالوا: وحقّ الإنجيل هذا جيّد لنا ولهم، وتصبح البلاد بلاد النصرانيّة. فرفع رِجله وحَبَق حبقة عظيمة[١] وقال: وحقّ ديني، هذا خيرٌ من كلامكم! قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إذا وصلوا إليّ أحتاج إلى كلفة كثيرة، ومراكب تحملهم إلى إفريقية، وعساكر مِنْ عندي أيضاً، فإن فتحوا البلاد كانت لهم، وصارت المؤونة لهم من صَقَلّية، وينقطع عنّي ما يصل من المال من ثَمَن الغلاّت كلّ سنة، وإن لم يُفلحوا رجعوا إلى بلادي، وتأذّيْتُ بهم، ويقول تميم غدرتَ بي، ونقضتَ عهدي، وتنقطع الوصلة والأسفار بيننا؛ وبلاد إفريقية باقية لنا، متى وجدنا قوّةً أخذناها.

---

(١) في(ب): «قوة». وفي تاريخ الإسلام(٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ) ص ٧ «فضرط ضرطة»، والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٩.

وأحضر رسوله، وقال له: إذا عزمتم على جهاد المسلمين، فأفضل ذلك[١] فتح بيت المقدِس، تخلّصونه من أيديهم ويكون لكم الفخر، وأمّا إفريقية فبيني وبين أهلها أيمان وعهود. فتجهّزوا، وخرجوا إلى الشام[٢].

وقيل: إنّ أصحاب مصر من العلويّين، لمّا رأوا قوّة الدولة السلجوقيّة، وتمكّنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزّة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، ودخول أقسيس[٣] إلى مصر وحصرها، خافوا[٤]، وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه، ويكونوا بينهم وبين المسلمين، (والله أعلم)[٥].

فلمّا عزم الفرنج على قصد الشام، ساروا إلى القُسطنطينيّة ليعبروا المَجاز إلى بلاد المسلمين، ويسيروا في البرّ، فيكون أسهل عليهم، فلمّا وصلوا إليها منعهم ملك الروم من الاجتياز ببلاده، وقال: لا أمكّنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتّى تحلفوا[٦] لي أنّكم تسلّمون إليّ أنطاكية؛ وكان قصده [أن] يحثّهم على الخروج إلى بلاد الإسلام، ظنّاً منه أنّهم[٧] أتراك لا يُبقون منهم أحداً، لما رأى من صرامتهم وملكهم البلاد.

فأجابوه إلى ذلك، وعبروا الخليج عند القُسطنطينيّة سنة تسعين [وأربعمائة]، ووصلوا إلى بلاد قِلِيج[٨] أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش، وهي قُونِيَةُ وغيرها، فلمّا وصلوا إليها لقِيهم قِلِيج[٨] أرسلان في جموعه، ومنعهم، فقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين [وأربعمائة]، واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمنيّ. فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية فحصروها[٩].

ولمّا سمع صاحبها ياغي[١٠] سيان بتوجّههم إليها، خاف من النصارى الذين بها، فأخرج المسلمين من أهلها، ليس معهم غيرهم، وأمرهم بحفر الخندق، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضاً، ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلمّا

---

(١) في (ب): «فاقصد بذلك».
(٢) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٠، تاريخ الإسلام(٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ.) ص ٧، ٨.
(٣) في تاريخ الإسلام «أتسِز».
(٤) في الأوربية: «فخافوا».
(٥) من (ب)، وانظر: نهاية الأرب ٢٨/٢٤٩، ٢٥٠، وتاريخ الإسلام (٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ.) ص ٨.
(٦) في الأوربية: «تحلفون».
(٧) في الأوربية: «أن».
(٨) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٤ «قَلْج».
(٩) ذيل تاريخ دمشق ١٣٤، نهاية الأرب ٢٨/٢٥١، تاريخ الإسلام (٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ) ص ٨.
(١٠) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٤ «باغي»، والمثبت عن الباريسية، والمصادر.

أرادوا دخول البلد منعهم، وقال لهم: أنطاكية لكم تهبونها[1] لي حتّى أنظر ما يكون منّا ومن الفرنج؛ فقالوا له: من يحفظ أبناءنا ونساءنا؟ فقال: أنا أخلفكم فيهم؛ فأمسكوا، وأقاموا في عسكر الفرنج، فحصروها تسعة أشهر، وظهر من شجاعة ياغي سيان، وجودة رأيه، وحزمه، واحتياطه ما لم يشاهَد من غيره، فهلك أكثر الفرنج (موتاً، ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبّقوا بلاد الإسلام)[2]، وحفظ ياغي سيان أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم.

فلمّا طال مُقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو زرّادٌ يُعرف برُوزَبه، وبذلوا له مالاً وأقطاعاً، وكان يتولّى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبنيّ على شبّاك في الوادي، فلمّا تقرّر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزرّاد، جاؤوا إلى الشبّاك ففتحوه ودخلوا منه، وصعِد جماعة كثيرة بالحبال، فلمّا زادت عدّتهم على خمسمائة ضربوا البوق، وذلك عند السحَر، وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة، فاستيقظ ياغي سيان، فسأل عن الحال، فقيل: إنّ هذا البوق من القلعة، ولا شكّ أنّها قد مُلكت؛ ولم يكن من القلعة، وإنّما كان من ذلك البرج، فدخله الرعب، وفتح باب البلد، وخرج هارباً في ثلاثين غلاماً (على وجهه)[3]، فجاء نائبه في حفظ البلد، فسأل عنه، فقيل إنّه هرب، فخرج من باب آخر هارباً، وكان ذلك معونة للفرنج، ولو ثبت ساعةً لهلكوا[4].

ثمّ إنّ الفرنج دخلوا البلد من الباب، ونهبوه، وقتلوا من فيه من المسلمين، وذلك في جُمادى الأولى.

وأمّا ياغي سيان فإنّه لمّا طلع عليه النهار رجع إليه عقله، وكان كالوَلهان[5]، فرأى نفسه وقد قطع عدّة فراسخ، فقال لمن معه: أين أنا؟ فقيل: على أربعة فراسخ من أنطاكية؛ فندم كيف خلص سالماً، ولم يقاتل حتّى يزيلهم عن البلد أو يُقتل، وجعل يتلهّف، ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين، فلشدّة ما لحِقه سقَط عن فرسه مَغْشياً عليه، فلمّا سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يُركبوه، فلم يكن فيه مُسْكة [فإنّه

---

(١) في الأوربية: «تهبوها»

(٢) من (ب).

(٣) من (ب).

(٤) في (ب): «لم يملكوه».

(٥) في (ب): «كالدهان».

كان] قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه، واجتاز به إنسان أرمنيٌّ كان يقطع الحطب، وهو بآخر رمَق، فقتله وأخذ رأسه وحمله إلى الفرنج بأنطاكية.

وكان الفرنج قد كاتبوا صاحب حلب، ودمشق، بأنّنا لا[1] نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم، لا نطلب سواها؛ مكراً منهم وخديعةً، حتّى لا يساعدوا صاحب أنطاكية[2].

ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم

لمّا سمع قوام الدولة كربوقا[3] بحال الفرنج، وملكهم أنطاكية، جمع العساكر وسار إلى الشام، وأقام بمَرْج دابِق، واجتمعت معه عساكر الشام، تُركها وعربها سوى من كان بحلب، فاجتمع معه دُقاق بن تُتُش وطُغتِكين[4] أتابِك، وجناح الدولة، صاحب حمص، وأرسلان تاش، صاحب سِنجَار، وسليمان بن أُرتُق، وغيرهم من الأمراء ممّن ليس مثلهم. فلمّا سمعت الفرنج عظُمت المصيبة عليهم، وخافوا لِما هم فيه من الوَهْن، وقلّة الأقوات عندهم، وسار المسلمون، فنازلوهم على أنطاكية، وأساء كربوقا السيرة، فيمن معه من المسلمين، وأغضب الأمراء[5] وتكبّر عليهم ظنّاً منه أنّهم يقيمون معه على هذه الحال، فأغضبهم ذلك، وأضمروا له في أنفسهم الغدر، إذا كان قتال، وعزموا على إسلامه عند المصدوقة[6].

وأقام الفرنج بأنطاكية، بعد أن ملكوها، اثني[7] عشر يوماً ليس لهم ما يأكلونه، وتقوّت الأقوياء بدوابّهم، والضعفاء بالمَيتة وورق الشجر، فلمّا رأوا ذلك أرسلوا إلى

---

(١) في (ب): زيادة: «نأخذ ولا».

(٢) انظر الخبر في تاريخ الزمان لابن العبري ١٢٤، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٢، ٢٥٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢١٠، وأعمال الفرنجة(لمؤرخ مجهول) ٧٠، والحروب الصليبية لوليم الصوري، ترجمة د. حسن حبشي ١/ ٣٥٩، ٣٦٠، والعبر ١/ ٣٣٠، ودول الإسلام ٢/ ١٩، ٢٠، وتاريخ الإسلام (٤٩١ ـ ٥٠٠ هـ) ص ٨، ٩، والإعلام والتبيين ٩، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٠، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٦، ١٤٧، وتاريخ الأزمنة ٨٥.

(٣) في المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١٠«كربوغا» وفي تاريخ الإسلام ١٠ «كبربوقا». والمثبت يتفق مع: نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٣.

(٤) ويرِد في الأصل «طغدكين».

(٥) في الأوربية: «الآراء».

(٦) في (ب) «المصدر».

(٧) في (ب): «ثلاثة».

كربوقا يطلبون منه الأمان ليخرجوا من البلد، فلم يُعطِهم ما طلبوا، وقال: لا تخرجون[١] إلاّ بالسيف.

وكان معهم من الملوك بردويل، وصَنجيل، وكُندفري، والقُمّص، صاحب الرُّها، وبَيْمنُت[٢]، صاحب أنطاكية، وهو المقدّم عليهم[٣]. وكان معهم راهب مُطاع فيهم، وكان داهية من الرجال، فقال لهم: إنّ المسيح، عليه السّلام، كان له حَرْبة مدفونة بالقسيانِ الذي بأنطاكية، وهو بناء عظيم، فإنْ وجدتموها فإنّكم تظفرون، وإن لم تجدوها فالهلاك متحقّق.

وكان قد دفن قبل ذلك حربةً في مكانٍ فيه، وعفّى[٤] أثرها، وأمرهم بالصوم والتوبة، ففعلوا ذلك ثلاثة أيّام، فلمّا كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم، ومعهم عامّتهم، والصُّنّاع منهم، وحفروا في جميع الأماكن[٥] فوجدوها كما ذكر، فقال لهم: أبشِروا بالظَّفَر؛ فخرجوا في اليوم الخامس من الباب متفرّقين من خمسة، وستّة، ونحو ذلك، فقال المسلمون لكربوقا: ينبغي أن تقف على الباب، فتقتل كلّ من يخرج، فإنّ أمرهم الآن، وهم متفرّقون، سهل. فقال: لا تفعلوا! أمهلوهم حتّى يتكامل خروجهم فنقتلهم. ولم يمكّن من معاجلتهم[٦]، فقتل قوم من المسلمين جماعة من الخارجين، فجاء إليهم هو بنفسه، ومنعهم، ونهاهم.

فلمّا تكامل خروج الفرنج، ولم يبق بأنطاكية أحد منهم، ضربوا مصافّاً عظيماً، فولّى المسلمون منهزمين، لِما عاملهم به كربوقا أوّلاً من الاستهانة بهم، والإعراض عنهم، وثانياً من منعهم عن قتل الفرنج، وتمّت الهزيمة عليهم، ولم يضرِب أحد منهم بسيف، ولا طعن برمحٍ، ولا رمى بسهم، وآخر من انهزم سُقمان بن أُرتُق، وجناح الدولة، لأنّهما كانا فيّ الكمين، وانهزم كربوقا معهم. فلمّا رأى الفرنج ذلك ظنّوه مكيدة، إذ لم يجْرِ قتال يُنهزم من مثله، وخافوا أن يتبعوهم، وثبت جماعةٌ من المجاهدين، وقاتلوا حِسبةً، وطلباً للشهادة، فقتل الفرنج منهم ألوفاً، وغنموا ما في

---

(١) في الأوربية: «تخرجوا».
(٢) في الأصل: «سمنت». وهو «بوهموند».
(٣) في (ب) : «وهو مقدّم العسكر».
(٤) في الأوربية: «وعفّا».
(٥) في الأوربية: «الامكان».
(٦) في (ب): «مقاتلتهم».

العسكر من الأقوات والأموال والأثاث والدّوابّ والأسلحة، فصلحتْ حالهم، وعادت إليهم قوّتهم[1].

ذكر ملك الفرنج معرّة النُّعمان

لمّا فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا إلى مَعَرّة النّعمان، فنازلوها، وحصروها، وقاتلهم أهلُها قتالاً شديداً، ورأى الفرنج منهم شدّةً ونكاية، ولقوا منهم الجدّ في حربهم، والاجتهاد في قتالهم، فعملوا عند ذلك برجاً من خشب يوازي سور المدينة، ووقع القتال عليه، فلم يضرّ المسلمين ذلك، فلمّا كان الليل خاف قوْم من المسلمين، وتداخلهم الفشل والهلع، وظنّوا أنّهم إذا تحصّنوا ببعض الدُّور الكبار امتنعوا بها، فنزلوا من السور وأخلوا الموضع الذي كانوا يحفظونه، فرآهم طائفة أخرى، ففعلوا كفِعلهم، فخلا مكانهم أيضاً من السور.

(ولم تزل تتبع طائفة منهم التي تليها في النزول، حتّى خلا السور، فصعِد الفرنج إليه على السلاليم، فلمّا علَوه تحيّر المسلمون)[2]، ودخلوا دُورهم، فوضع الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيّام، فقتلوا ما يزيد على مائة ألف، وسبوا السبي الكثير، وملكوه، وأقاموا أربعين يوماً. وساروا إلى عِرْقَةَ فحصروها أربعة أشهر، ونقبوا سورها عدّة نقوب، فلم يقدروا عليها، وراسلهم مُنقِذ، صاحب شَيْزَر، فصالحهم عليها، وساروا إلى حِمص وحصروها، فصالحهم صاحبها جناح الدولة، وخرجوا على طريق النواقير إلى عكّا، فلم يقدورا عليها[3].

ذكر الحرب بين الملك سَنجَر ودولتشاه

كان دَوْلَتْشاه من أبناء الملوك السلجوقية، فاجتمع عليهم جمع من عساكر بَيْغُوا

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٦، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٤، دول الإسلام ٢/ ٢٠، تاريخ الإسلام ١١، ١٢، الإعلام والتبيين ١٠، الحروب الصليبية ١/ ٣٩٦، أعمال الفرنجة ٨٢، ٨٣، تاريخ الرهاوي ٢/ ٤٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٧، ١٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١٤٨، المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١١.

(٢) ما بين القوسين من (ب).

(٣) تاريخ حلب ٣٦٠ (٢٦)، تاريخ الزمان ١٢٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، أخبار الدول المنقطعة ٨٢، زبدة الحلب ٢/ ١٤١، ١٤٢، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٥، ٢٥٦، المختصر ٢/ ٢١١، العبر ٣/ ٣٣٠، دول الإسلام ٢/ ٢٠، تاريخ الإسلام ١٢، الدُرّة المضّية ٤٥٢، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، مآثر الإنافة ٢/ ١٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٣، الإعلام والتبيين ٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٦و١٦١، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٦، تاريخ الأزمنة ٨٧ وفيه: قتلوا منهم نحو عشرة الآف.

أخي طُغْرُلْبك، وكانوا بطخارستان، فأخذوا وَلْوالِجَ وكمنج، فسار إليهم السلطان سَنجَر وعساكره، فوصل إلى بَلْخ، فدخلها في رجب من هذه السنة، وخرج منها لقتال دَوْلَتشاه، فلم يكن له من الجموع ما ثبت مقابل عسكر سَنجَر، فقاتلوا شيئاً من قتال، وانهزموا، وأخذوا دَوْلتشاه أسيراً، وأُحضر عند سَنجَر، فعفا عنه من القتل، وحبسه، ثم بعد ذلك كحله، وسيّر سَنجَر جيشاً إلى مدينة تِرمِذ، فملكوها، وسلّمها إلى طُغْرَلتكين[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، جزيرة جَرْبَة وجزيرة قَرْقَنَّة[2]، ومدينة تُونُس، وكان بإفريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس[3].

وفيها أرسلَ الخليفة رسولاً إلى السلطان بركيارق مستنفراً على الفرنج، ومبالغاً في تعظيم الأمر وتداركه قبل أن يزداد قوّة.

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في شعبان، توفيّ أبو الحسين[4] أحمد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وكان فاضلاً في الحديث.

وفيها توفّي أبو الفضل عبد الوهّاب بن أبي محمّد[5] التميميُّ الحنبليُّ، وكان فاضلاً، فصيحاً.

وفيها، في شوّال، توفّي طِراد بن محمّد الزينبيُّ[6]، وهو عالي الإسناد في الحديث، ووليَ نقابة العباسيّين من بعده ابنه شرف الدين عليّ بن طِراد.

---

(١) انظر نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٠.

(٢) قرقنّة: في مقابل سفاقس، بينهما عشرة أميال. (البكري ٢٠).

(٣) نهاية الأرب: ٢٤/ ٢٣٤.

(٤) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٩ «أبو الحسن» والتصحيح من (ب) ومصادر ترجمته التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ) ص ١١٥ رقم ٥٦.

(٥) هو عبد الوهاب بن رزق الله بن عبد الوهاب . انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ١٠٢ رقم ٣٧، وذيل طبقات الحنابلة ١/ ٨٥ رقم ٨٢.

(٦) انظر عن (طِراد الزينبي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ٩٥ ـ ٩٧ رقم ٢٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في ذي القعدة، توفي أبو الفتح المظفّر[1] بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المُسلمة، وكان بيته مجمع الفُضلاء وأهل الدّين، ومن جملة من كان عنده إلى أن توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ.

وفيها توفي أبو الفرج سهل بن بِشْر[2] بن أحمد الإسْفَرايينيُّ، وهو من أعيان المحدّثين.

---

(1) انظر عن (المظفر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩١ هـ) ص ١٠٧، ١٠٨ رقم ٤٨ وفيه مصادر ترجمته.

(2) في (ب) «شير». والمثبت هو الصحيح. انظر عنه في تاريخ الإسلام(وفيات ٤٩١ هـ) ص ٩٣، ٩٤ رقم ٢٣ وفيه مصادر ترجمَته.

٤٩٢
ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة

ذكر عصيان الأمير أُنر[١] وقتله

لمّا سار السلطان بركيارُق إلى خُراسان ولّى الأميرَ أُنَر[١] بلاد فارس جميعها، وكانت قد تغلّب عليها الشوانكارة[٢] على اختلاف بطونهم وقبائلهم، واستعانوا بصاحب كَرمَان إيران شاه[٣] بن قاورت[٤]، فاجتمعوا، وصافّوا الأمير أُنَر، وكسروه، وعاد مفلولاً إلى أصبهان، وأرسل إلى السلطان يستأذنه في اللّحاق به إلى خُراسان، فأمره بالمُقام ببلد الجبال، وولاّه إمارة العراق، وكاتب العساكر المجاورة له بطاعته. فأقام بأصبهان، (وسار منها إلى أقطاعه بأَذَرْبَيْجان، وعاد وقد انتشر أمر الباطنيّة بأصبهان، فندب نفسه لقتالهم)[٥]، وحصر قلعة على جبل أصبهان.

واتّصل به مؤيّد المُلْك بن نظام المُلْك، وكان ببغداذ، فسار منها إلى الحلّة، فأكرمه صَدَقَة، وسار من عنده إلى الأمير أُنَر، فلمّا اجتمع بالأمير أُنَر خوّفه هو وغيره من السلطان بركيارق، وعظّموا عليه الاجتماع به، وحسّنوا له البُعد عنه، وأشاروا عليه بمكاتبة غِياث الدين محمّد بن ملكشاه، وهو إذ ذاك بكَنْجَةَ، فعزم على المخالفة للسلطان، وتحدّث فيه، فظهر ذلك، فزاد خوفه من السلطان، فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس، وسار من أصبهان إلى الريّ، وأرسل إلى السلطان يقول: إنّه مملوك، ومطيع، إن سلّم إليه مجد المُلك البلاسانيّ، وإن لم يسلّمه إليه فهو عاصٍ خارج عن الطاعة.

---

(١) قي (ب) «أنز»، وكذا في أصل المخطوط من تاريخ الإسلام . وفي نهاية الأرب ٣٤١/٢٦ «أتسز».
(٢) في (ب) «الشوانكار»، وفي الباريسية: «شوانكارة».
(٣) في (ب) «انران شاه»، والباريسية: «انر بن شاه».
(٤) في تاريخ الإسلام: «قاروت».
(٥) في (ب): «فهرب الى قتالهم».

فبينما هو يُفْطِر، وكانت عادته [أن] يصوم أيّاماً من الأسبوع، فلمّا قارب الفراغ من الإفطار هجم عليه ثلاثة نفر من الأتراك المولَّدين بخُوارزم، وهم من جُملة خيله، فصدم أحدهم المِشْعَل فألقاه، وصدم الآخر الشمعة فأطفأها، وضربه الثالث بالسكّين فقتله، وقتل معه جانْداره، واختلط الناس في الظُّلْمة، ونهبوا خزائنه، وتفرّق عسكره، وبقي مُلقىً فلم يوجد ما يُحمل عليه، ثم حُمل إلى داره بأصبهان، ودُفن بها.

ووصل خبر قتله إلى السلطان بركيارق، وهو بخُوارِ الرَّيّ، قد خرج من خُراسان عازماً على قتاله، وهو على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره، وفرح مجد المُلك البلاسانيُّ بقتله، وكان له مثل يومه عن قريب، وكان عمر أُنَر سبعاً[1] وثلاثين سنة، وكان كثير الصوم والصلاة والخير[2] والمحبّة للصالحين[3].

ذكر ملك الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس

كان البيت المقدّس لتاج الدولة تُتُش، وأقطعه للأمير سُقمان[4] بن أُرتُق التركمانيّ، فلمّا ظفر الفرنج بالأتراك على أنطاكية، وقتلوا فيهم، ضعُفوا، وتفرّقوا، فلمّا رأى المصريّون ضعف الأتراك ساروا إليه، ومقدّمهم الأفضل بن بدر الجماليُّ، وحصروه، وبه الأمير سُقمان، وإيلغازي ابنا أُرتُق، وابن عمّهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي، ونصبوا[5] عليه نيّفاً وأربعين منجنيقاً، فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال[6] والحصار نيّفاً وأربعين يوماً، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسعٍ وثمانين وأربعمائة.

وأحسن الأفضل إلى سُقمان وإيلغازي ومَن معهما، وأجزل لهم العطاء، وسيّرهم فساروا إلى دمشق، ثم عبروا[7] الفرات، فأقام سُقمان ببلد الرُّها وسار إيلغازي إلى العراق، واستناب المصريّون فيه رجلاً يُعرف بافتخار الدولة، وبقي فيه إلى الآن. فقصده

---

(١) في الأوربية: «سبع».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ) ص ١٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٠، ٢١، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤١، ٣٤٢.
(٤) في الباريسية: «سكمان».
(٥) في الأوربية: «ونصب».
(٦) في الباريسية: «المنجنيق».
(٧) في الأصل: «عبر».

الفرنج، بعد أن حصروا عكّا، فلم يقدروا عليها، فلمّا وصلوا إليه حصروه نيّفاً وأربعين يوماً، ونصبوا عليه برجَيْن أحدهما من ناحية صِهيَوْن، وأحرقه المسلمون، وقتلوا كلّ من به.

فلمّا فرغوا من إحراقه أتاهم المستغيث بأنّ المدينة قد مُلكتْ من الجانب الآخر، وملكوها من جهة الشمال[١] منه ضَحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان، وركب الناسَ السيفُ، ولبث الفرنج في البلدة أُسبوعاً يقتلون فيه المسلمين، واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود، فاعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيّام، فبذل لهم الفرنج الأمان، فسلّموه إليهم، ووفى[٢] لهم الفرنج، وخرجوا ليلاً إلى عَسْقَلان فأقاموا بها.

وقتل الفرنج، بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمّة المسلمين، وعلمائهم، وعُبّادهم، وزُهّادهم، ممّن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيّفاً وأربعين قِنديلاً من الفضّة، وزن كلّ قِنديل ثلاثة آلاف وستّمائة درهم، وأخذوا تَنّوراً من فضّة وزنه أربعون[٣] رِطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار[٤] مائة وخمسين قنديلاً (نُقْرة، ومن الذهب نيّفاً وعشرين قنديلاً)[٥]، وغنموا منه ما لا يقع عليها الإحصاء.

وورد المستَنفرون من الشام، في رمضان، إلى بغداذ صُحبة القاضي أبي سعد الهَرَويّ، فأوردوا في الديوان كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة، فاستغاثوا، وبكوا وأبكوا[٦]، وذُكر ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف المعظَّم مِن قتْل الرجال، وسبْي الحريم والأولاد، ونهب الأموال، فلشدّة ما أصابهم أفطروا، فأمر الخليفة أن يُسَيّر القاضي أبو محمّد الدّامغانيُّ، وأبو بكر الشاشيُّ، وأبو القاسم الزّنْجانيُّ، وأبو الوفا بن عُقيل، وأبو سعد الحُلوانيُّ، وأبو الحسين بن سماك[٧]، فساروا إلى حُلوان، (فبلغهم قتل)[٨] مجد المُلك البلاسانيّ، على ما نذكره، فعادوا من

---

(١) في الأوربية: «الشماليّ».
(٢) في الأوربية: «ووفا».
(٣) في الأوربية: «أربعين».
(٤) في الأوربية: «الصفار».
(٥) من (ب).
(٦) من (ب) .
(٧) في (ب): «السماك».
(٨) في الباريسية: «فمنعهم».

غير بلوغ أرَب، ولا قضاء حاجة[1].

واختلف السلاطين على ما نذكره، فتمكّن الفرنج من البلاد، فقال أبو المظفّر الآبِيورديُّ، في هذا المعنى، أبياتاً منها:

مَزَجْنَا دِماءً بالدُّموعِ السَّواجِمِ، فلم يَبقَ منّا عُرضةٌ[2] للمَراحِمِ
وشرُّ سلاحِ المَرْءِ دَمعٌ يُفيضُهُ[3]، إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصَّوارِمِ
فإيهاً، بني الإسلامِ، إنّ وراءكم وقائعَ يُلحِقْنَ الذُّرى بالمَناسِمِ
أتَهْويمةٌ في ظلّ أمْنٍ وغِبطةٍ، وعيشٍ كَنُوّارِ الخَميلةِ ناعِمِ
وكيفَ تنامُ العَينُ ملءَ جُفونِها، على هفَواتٍ[4] أيقظتْ كلَّ نائمِ
وإخوانُكم بالشام يُضحي[5] مَقيلُهم ظهورَ المَذاكي، أو بُطونَ القَشاعِمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهوانَ، وأنتُمُ تَجُرُّونَ ذَيلَ الخَفْضِ فعلَ المُسالِمِ
وكَم من دماءٍ قد أُبيحَت، ومن دُمىً[6] تُوارَى حياءً حُسْنُها بالمَعاصِمِ
بحيثُ السيوفُ البيضُ مُحْمَرَّةُ الظُّبى وسُمْرُ العَوالي داميَاتُ اللَّهاذِمِ
وبينَ اختلاسِ الطَّعْنِ والضَّربِ وقفةٌ[7] تَظَلُّ لها الوِلْدانُ شيبَ القَوادِمِ
وتلكَ حروبٌ مَن يَغِبْ عن غمارِها ليسلَم، يَقرَعْ بَعدَها سنَّ نادِمِ
سَلَلْنَ بأيدي المُشركينَ قَواضِباً، ستُغْمَدُ منهم في الطُّلى والجَماجِمِ
يَكادُ[8] لَهُنَّ المُستَجِنُّ[9] بطيبةٍ يُنادي بأعلَى الصَّوتِ يا آلَ هاشِمِ

---

(1) انظر عن سقوط بيت المقدس في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، والمنتظم ٩/ ١٠٥(١٧/ ٤٧)، وتاريخ مختصر الدول ١٩٧، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٩، والمختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١١، وأعمال الفرنجة ١١٨، ١١٩، والألكسيا لأنّا كومينا ١٦٦، وتاريخ الرهاوي ٢/ ٤٥٩، والعبر ٣/ ٣٣٢، ودول الإسلام ٢/ ٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٥- ١٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٤ و ١٥٨، والإعلام والتبيين ١١، ومآثر الإنافة٢/ ١٥، واتعاظ الحنفا ٣/ ٢٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، والجوهر الثمين ١٩٩، وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٢١، وشذرات الذهب ٣/ ٣٩٧، وأخبار الدول ٢/ ١٦٧، وتاريخ الأزمنة ٨٩، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٦- ٢٥٨.

(2) في الأوربية: «عرصة».

(3) في البداية والنهاية: «يريقه».

(4) في (ب) وتاريخ ابن الوردي: «هبوات». وفي الباريسية: «هعوات» وفي المنتظم «هنوات».

(5) في الباريسية: «نضحي».

(6) في المختصر «ومن دم».

(7) في (ب) «وقعة».

(8) في المنتظم، والنجوم الزاهرة «وكاد».

(9) في البداية والنهاية: «المستجير».

أرَى أُمّتي لا يَشْرَعُونَ إلى العِدَى رماحَهم، والدّينُ واهي الدَّعائمِ
ويَجتَنِبُونَ النارَ خَوفاً من الرَّدَى، ولا يَحسَبُون العارَ ضَربةَ لازِمِ
أتَرضى صَناديدُ الأعاريب بالأذى، ويُغْضي[1] على ذُلٍّ كُماةُ الأعاجمِ

ومنها:

فَليتَهُمُ، إذ لم يَذُودوا[2] حَمِيّةً عن الدِّين، ضنّوا غَيرةً بالمَحارمِ
وإنْ زهدوا في الأجر، إذ حَمس الوَغى، فهَلاّ أتَوْه رَغبةً في الغَنائمِ
لَئن أذعنَتْ تلك الخَياشيمُ للبُرَى، فلا عَطَسُوا[3] إلاّ بأجْدعَ راغِمِ
دَعَوْناكُمُ، والحربُ ترنُو مُلِحّةً إلينا، بألحاظ النّسورِ القَشاعِمِ
تُراقبُ فينا غَارةً عَربيّةً، تُطِيلُ عليَها الرُّومُ عَضّ الأباهمِ
فإنْ أنتُمُ لم تَغْضَبُوا بعدَ هذِهِ، رمَيْنَا إلى أعدائِنا بالجَرائمِ[4]

ذكر الحرب بين المصريّين والفرنج

في هذه السنة، (في رمضان)[5]، كانت وقعة بين العساكر المصريّة والفرنج، وسببها أنّ المصريّين لمّا بلغهم ما تمّ على أهل القُدس، جمع الأفضل أميرُ الجيوش العساكر، وحشد، وسار إلى عَسْقَلان، وأرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا، ويتهدّدهم، فأعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على[6] أثره، وطلعوا على المصريّين، عُقَيْب وصول الرسول، ولم يكن عند المصريّين خبرٌ من وصولهم، ولا من حركتهم، ولم يكونوا على أُهْبةِ القتال، فنادوا إلى ركوب خيولهم، ولبسوا أسلحتهم، وأعجلهم الفرنج، فهزموهم، وقتلوا منهم من قُتل، وغنموا ما في المعسكر من مال وسلاح وغير ذلك.

وانهزم الأفضل، فدخل عَسقَلان[7]، ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر

---

(١) في (ب): «ويقضي» وفي تاريخ ابن الوردي «تقضي».

(٢) في تاريخ الإسلام «يرذوا».

(٣) في (ب): «عطشوا».

(٤) انظر الأبيات أو بعضها في: المنتظم ١٠٨/٩(١٧/ ٤٧، ٤٨)، والمختصر ٢/ ١١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٨، ١٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٥١، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧، ٤٢٨، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٦، ١٥٧.

(٥) من (ب).

(٦) في (ب): «في».

(٧) من الباريسية.

الجُمّيز، وكان هناك كثيراً، فأحرق الفرَنج بعضَ الشّجَر، حتّى هلَك مَن فيه، وقتلوا مَن خرج منه، وعاد الأفضل في خواصّه إلى مصر، ونازل الفرَنجُ عَسْقَلان، وضايقوها، فبذل لهم أهلها قطيعة اثني عشر ألف دينار، وقيل عشرين ألف دينار، ثم عادوا إلى القُدس[١].

ذكر ابتداء ظهور السلطان محمّد بن ملكشاه

كان السلطان محمّد وسَنجَر أخوين[٢] لأمّ وأبٍ، أمّهما أمّ ولد، ولمّا مات أبوه ملكشاه كان محمّد معه ببغداذ، فسار مع أخيه محمود، وتركان خاتون زوجة والده إلى أصبهان، ولمّا حصر بركيارُق أصبهان خرج محمّد متخفّياً، ومضى إلى والدته، وهي في عسكر أخيه بركيارُق، وقصد أخاه السلطان بركيارق، وسار معه إلى بغداذ سنة ستّ وثمانين وأربعمائة، وأقطعه بركيارق كَنْجَةَ وأعمالها، وجعل معه أتابكاً له الأمير قتلغ[٣] تكين، فلمّا قوي محمّد قتله، واستولى على جميع أعمال أرّان الذي من جملته كَنْجَة، فعرف ذلك الوقت شهامة محمّد.

وكان السلطان[٤] ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الأسوار الرواديّ، وسلّمها إلى سرهنك ساوتكين الخادم، وأقطع فضلون أسْتَراباذ، وعاد فضلون ضمن بلاده، ثم عصى فيها لمّا قوي، فأرسل السلطان إليه الأمير بُوزان، فحاربه وأسره، وأقطع بلاده لجماعة منهم: ياغي[٥] سيان، صاحب أنطاكية، ولمّا مات ياغي[٥] سيان عاد ولده إلى ولاية أبيه في هذه البلاد، وتوفّي فضلون ببغداذ سنة أربعٍ وثمانين [وأربعمائة] وهو على غايةٍ من الإضاقة في مسجد على دجلة.

وقد ذكرنا فيما تقدّم تنقل الأحوال بمؤيّد المُلك عُبيد الله بن نظام المُلك، وأنّه كان عند الأمير أُنَر، فحسّن له عصيان السلطان بركْيارُق، فلمّا قُتل أُنَر سار إلى الملك محمّد، فأشار عليه بمخالفة أخيه، والسعي في طلب السلطنة، ففعل ذلك، وقطع خطبة بركيارق(من بلاده)[٦]، وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيّد الملك.

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، ذيل تاريخ دمشق ١٣٧، أعمال الفرنجة ١٢٤، دول الإسلام ٢/ ٢١، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٢ هـ.) ص ١٩، ٢٠، الإعلام والتبيين ١١، الجوهر الثمين ١٩٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٩.

(٢) في الأوربية: «أخوان».

(٣) في (ب): «صالح».

(٤) في الباريسية زيادة: «محمد بن».

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٢٨٧«باغي».

(٦) من الباريسية .

واتّفق قتل مجد الملك البلاسانيّ[١]، واستيحاش العسكر من السلطان بركْيارُق، وفارقوه وساروا نحو السلطان محمّد، فلقوه بخُرَّقان، فصاروا معه، وساروا نحو الرَّيّ.

وكان السلطان بركْيارُق لمّا فارقه عسكره سار مُجِدّاً إلى الرَّيّ، فأتاه بها الأمير ينّال بن أنوشتكين الحسامي، وهو من أكابر الأمراء، ووصل إليه أيضاً عزّ المُلك منصور بن نظام المُلك، وأمّه ابنة ملك الأبخاز، ومعه عساكر جمّة، فبلغه مسير أخيه محمّد إليه في العساكر، فسار من الريّ إلى أصفهان، فلم يفتح أهلها له الأبواب، فسار إلى خُوزِسْتان، على ما نذكره.

وورد السلطان محمّد إلى الريّ ثاني ذي القعدة، فوجد زُبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركْيارُق قد تخلّفت بعد ابنها، فأخذها مؤيّد المُلك وسجنها في القلعة، وأخذ خطّها بخمسة آلاف دينار، وأراد قتلها، وأشار عليه ثقاته أن لايفعل ذلك، فلم يقبل منهم، وقالوا له: العسكر محبّون لولدها، وإنّما استوحشوا منه لأجلها، ومتى قُتلت عدلوا عليه[٢]، فلا تغترّ بهؤلاء الجُند، فإنهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم، فلم يُصْغِ إلى قولهم، ورفعها إلى القلعة، وخُنقت، وكان عمرها اثنتين وأربعين سنة. فلمّا أسر السلطان بركْيارُق مؤيّد المُلك رأى خطّه في تذكرته بخمسة آلاف دينار، فكان أعظم الأسباب في قتله[٣].

ذكر الخطبة ببغداذ للملك محمّد

لمّا قوي أمر السلطان محمّد سار إليه سعد الدولة كوهرائين من بغداذ، وكان قد استوحش من السلطان بركْيارُق، فاجتمع هو وكربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب الجزيرة[٤]، وسُرخاب بن بدر، صاحب كِنْكَوَر، وغيرها، فساروا إلى السلطان محمّد، فلقوه بقُمّ، فردّ سعد الدولة إلى بغداذ، وخلع عليه، وسار كربوقا وجكرمش في خدمته إلى أصبهان، ولمّا وصل كوهرائين إلى بغداذ خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمّد، فأجاب إلى ذلك، وخُطب له يوم الجمعة سابع عشر ذي الحجّة،

---

(١) في نهاية الأرب، وتاريخ الإسلام «الباسلاني» وفي تاريخ ابن خلدون: «البارسلاني» و «الباسلاني». (٣/ ٤٨٢) و (٥/ ٢٢).

(٢) في (ب): «اليه».

(٣) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٢، المختصر ٢/ ٢١٢، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٠، ٢١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٢.

(٤) في (ب): «جزيرة ابن عمر».

ولُقِّب «غياب الدنيا والدين»[١].

ذكر قتل مجد الملك البلاسانيّ

قد ذكرنا تحكّم مجد المُلك أبي الفضل أسعد بن محمّد في دولة السّلطان بركْيارُق، وتمكّنه منها. فلمّا بلغ الغاية التي لامزيدَ عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لايحتسب.

وأمّا سبب قتله، فإنّ الباطنيّة لمّا توالى منهم قتلُ الأمراء الأكابر من الدولة السلطانيّة، نسبوا ذلك إليه، وأنّه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه، وعظّم ذلك قتلُ الأمير بُرْسُق، فاتّهم أولادُه زنكي واقبوري وغيرهما، مجدَ المُلك بقتله، وفارقوا السلطان.

(وسار السلطان إلى زَنجَان لأنه بلغه خروج السلطان محمّد)[٢] عليه، على ما ذكرناه، فطمع حينئذٍ الأمراء، فأرسل أمير آخر، وبلكابك، وطغايرك بن اليزن[٣]، وغيرهم، إلى الأمراء بني بُرسُق يستحضرونهم إليهم ليتّفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد المُلك إليهم ليقتلوه، فحضروا عندهم، فأرسلوا إلى السلطان بركْيارُق، وهم بِسِجَاس، مدينة قريبة من هَمذان، يلتمسون تسليمه إليهم، ووافقهم على ذلك العسكر جميعه، وقالوا: إن سُلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة، وإنْ منعنا فارقنا، وأخذناه قهراً. فمنع السلطان منه، فأرسل مجد المُلك إلى السلطان يقول له: المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك، وتقتلني أنت لئلاّ يقتلني القوم فيكون فيه وهنٌ على دولتك. فلم تَطبْ نفس السلطان بقتله، وأرسل إليهم يستحلفهم على حِفْظِ نفسه، وحبسه في بعض القلاع، فلمّا حلفوا سلّمه إليهم، فقتله الغلمان قبل أن يصل إليهم، فسكنت الفتنة.

ومن العجب أنه كان لايفارقه كَفنُه سَفَراً وحَضَراً، ففي بعض الأيّام فتح خازنه صندوقاً، فرأى الكفَن، فقال: وما أصنع بهذا؟ إنّ أمري لايؤول إلى كفن، والله ما أبقى إلاّ طريحاً على الأرض. فكان كذلك، ورُبّ كلمةٍ تقول لقائلها دَعْني.

ولمّ قُتل حُمل رأسه إلى مؤيّد[٤] المُلك بن نظام المُلك. وكان مجد المُلك خيّراً،

---

(١) تاريخ الزمان ١٢٥، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٣، المختصر ٢/٢١٢، العبر ٣/٣٣٣، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢١، تاريخ ابن الوردي ٢/١١، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٢) في (ب) «محمود ومؤيد الملك».

(٣) في الباريسية: «السزن»، وفي (ب): «النون».

(٤) في الأوربية: «يؤيد».

كثير الصلاة بالليل، كثير الصدقة، لاسيّما على العلويّين وأرباب البيوتات[1]، وكان يكره سفك الدماء، وكان يتشيّع إلاّ أنّه كان يذكر الصحابة ذِكراً حسناً، ويعلن من يسبّهم. ولمّا قُتل أرسل الأمراء يقولون للسلطان: المصلحة أن تعود إلى الريّ، ونحن نمضي إلى أخيك فنقاتله ونقضي هذا المهمّ. فسار بعد امتناع، وتبعه مائتا فارس لا غير، ونهب العسكر سُرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه، وعاد إلى الريّ، وسار العسكر إلى السلطان محمّد[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، وصل إلْكِيا أبو الحسن عليُّ بن محمّد الطبريُّ المعروف بالهرّاس، الفقيه الشافعيُّ، ولقبُه عماد الدين شمس الإسلام، برسالة من السلطان بركْيارُق إلى الخليفة، وهو من أصحاب إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجوَينيّ، ومولده سنة خمسين وأربعمائة، واعتنى بأمره مجد المُلك البلاسانيُّ، وقام له الوزير عميد الدولة بن جَهِير لمّا دخل عليه.

وفيها قُتل أبو القاسم ابن إمام الحرمَيْن(أبي المعالي الجُوَيْنيّ)[3] بنَيسابور، وكان خطيبها، واتّهم العامّة أبا البركات الثعلبيَّ بأنّه هو الذي سعى في قتله،فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه.

وفيها كان بخُراسان غلاء شديد، تعذّرت فيه الأقوات، ودام سنتَيْن، وكان سببه أنّ البرد أهلك الزروع جميعها، ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم(خلق كثير)[4] عجزوا عن دفنهم لكثرتهم[5].

[الوفيات]

وفيها، في شعبان، توفّي أبو الغنائم الفارقيُّ[6]، الفقيه الشافعيُّ، بجزيرة ابن عُمَر، وكان إماماً فاضلاً زاهداً.

---

(١) في (ب): «البيوت».

(٢) انظر عن (البلاساني) في: المناقب المزيدية ٤٢٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٨٠ رقم ١٠٠، وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤، ١٣٥ رقم ٩٢.

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية وفيها زيادة «من».

(٥) المنتظم ٩/ ١٠٩، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧.

(٦) تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٥ رقم ٩٣.

وفيها، في صفر، توفّي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعاليُّ، وعمره نحو تسعين سنة، وكان عالي الإسناد في الحديث، وقيل توفّي سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة][1].

وفيها، في شعبان، توفّي أبو غالب محمّد بن عليّ بن عبد الواحد بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيُّ، تفقه على ابن عمّه أبي نصر، وكان حسن الخُلق، متواضعاً.

---

(١) وبها ورّخه الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام ص ١٤٨ ـ ١٥٠ رقم ١١٨ وغيره من المؤرخين الذين ذكرت مصادرهم بالحاشية رقم (٤).

(٢) انظر عن (ابن الصّبّاغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٢ هـ.) ص ١٣٤ رقم ٩١.

٤٩٣
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

ذكر إعادة خطبة السلطان بركيارُق ببغداذ

في هذه السنة أُعيدت الخطبة للسلطان بركيارُق ببغداذ.

وسبب ذلك أنّ بركيارُق سار في العام الماضي(من الريّ)[١] إلى خُوزستان، فدخلها وجميع من معه على حالٍ سيّئة؛ وكان أمير عسكره حينئذ ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، وأتاه غيره من الأمراء، وسار إلى واسط، فظلم عسكره الناس، ونهبوا البلاد، واتّصل به الأمير صدقة بن مَزْيد، صاحب الحِلّة، ووثب على السلطان قوم ليقتلوه، فأُخذوا وأُحضروا بين يديه، فاعترفوا أنّ الأمير سرمز، شِحنة أصبهان، وضعهم على قتله، فقُتل أحدهم، وحُبس الباقون، وسار إلى بغداذ، فدخلها سابع عشر صفر، وخُطب له ببغداذ يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومَيْن.

وكان سعد الدولة كوهرائين بالشفيعي، وهوفي طاعة السلطان محمّد، فسار إلى داي[٢] مَرْج، ومعه إيلغازي بن أُرتُق وغيره من الأمراء، فأرسل إلى مؤيد المُلك والسلطان محمّد يستحثهما على الوصول إليه، فأرسلا إليه كربوقا، صاحب الموصل، وجكرمش، صاحب جزيرة ابن عُمر، فأمّا جكرمش فاستأذن كوهرائين في العود إلى بلده، وقال إنّه قد اختلّت الأحوال[٣]، فأذن له، وبقي مع كوهرائين جماعة من الأمراء، فاتّفقوا على أن يصدروا عن رأيٍ واحدٍ لايختلفون، ثم اتّفقت آراؤهم على أن كتبوا إلى السلطان بركيارُق يقولون له: اخرج إلينا، فما فينا مَن يقاتلك[٤].

---

(١) من الباريسية.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الباريسية: «أحواله».

(٤) في (ب): «يقابلك».

وكان الذي أشار بذا[1] كربوقا، وقال لكوهرائين: إننا لم نظفر من محمّد ومؤيّد المُلك بطائل؛ وكان منحرفاً عن مؤيّد المُلك. فسار بركْيارُق إليهم؛ فترجّلوا، وقبّلوا الأرض، وعادوا معه إلى بغداذ، وأعاد إلى[2] كوهرائين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودوابّ وغير ذلك، واستوزر بركْيارُق ببغداذ الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ بن محمّد الدِّهِستانيّ، وقبض على عميد الدولة ابن جَهِير، وزير الخليفة، وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لمّا تولاّها هو وأبوه أيام ملكشاه، فاستقرّ الأمر على مائة ألف دينار وستّين ألف دينار يحملها إليه، وخلع الخليفة على السلطان بركْيارُق[3].

ذكر الوقعة بين السلطانين بركيارُق ومحمّد وإعادة خطبة محمّد ببغداذ

في هذه السنة سار بركْيارُق من بغداذ على شَهرزور، فأقام بها ثلاثة أيام، والتحق [بِهِ] عالَم كثير من التركمان وغيرهم، فسار نحو أخيه السلطان محمّد ليحاربه، فكاتبه رئيس هَمَذان ليسير إليها ويأخذ أقطاع الأمراء الذين مع أخيه، فلم يفعل، وسار نحو أخيه، فوقعت الحرب بينهم رابع رجب، وهو المصافّ الأوّل بين بركيارُق وأخيه السلطان محمّد بإسْبِيذْرُوذَ، ومعناه النهر الأبيض، وهو على عدّة فراسخ من هَمَذان.

وكان مع محمّد نحو عشرين ألف مقاتل، وكان محمّد في القلب، ومعه الأمير سرمز، وعلى ميمنته أمير آخُر، وابنه إياز، وعلى ميسرته مؤيّد المُلك، والنظاميّة، وكان السلطان بركْيارُق في القلب، ووزيره الأعزّ أبو المحاسن، وعلى ميمنته كوهرائين وعزّ الدولة بن صدقة بن مَزْيَد، وسُرخاب بن بدر، وعلى ميسرته كربوقا وغيره، فحمل كوهرائين من ميمنة بركْيارُق على ميسرة محمّد، وبها مؤيّد المُلك، والنظاميّة، فانهزموا، ودخل عسكر بركْيارُق في خيامهم، فنهبوهم، وحملت ميمنة محمّد على ميسرة بركْيارُق، فانهزمت الميسرة، وانضافت ميمنة محمّد إليه في القلب على بركْيارُق ومَنْ معه، فانهزم بركْيارُق، ووقف محمّد مكانه، وعاد كوهرائين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديْه، وكبا به فرسه، فأتاه خُراسانيّ فقتله، وأخذ رأسه، وتفرقت عساكر بركْيارُق، وبقي في خمسين فارساً.

---

(١) في (ب): «بهذا».
(٢) من: (ب).
(٣) المنتظم ٩/١١٣(١٧/ ٥٢، ٥٣)، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٣ هـ.) ص ٢٢.

وأمّا وزيره الأعزّ أبو المحاسن فإنه أُخذ أسيراً، فأكرمه مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، ونصب له خِيَماً وخرْكاة، وحمل إليه الفُرش والكسوة، وضمّنه عمادة بغداذ، وأعاده إليها، وأمره بالمخاطبة في إعادة الخطبة للسلطان محمّد ببغداذ، فلمّا وصل إليها خاطب في ذلك، فأُجيب إليه، وخُطب له يوم الجمعة رابع عشر رجب[١].

ذكر قتل سعد الدولة كوهرائين

في هذه السنة، في رجب، قُتل سعد الدولة كوهرائين في الحرب المذكورة قبلُ، وكان ابتداء أمره أنّه كان خادماً للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بُوَيْه، انتقل إليه(من امرأة)[٢] من قُرقُوب بخُوزِستان، وكان إذا توجّه إلى الأهواز حضر عندها، واستعرض حوائجها، وأصاب أهلُها منه خيراً كثيراً، فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر إلى بغداذ، فلمّا قبض عليه السلطان طُغرُلْبَك مضى معه إلى قلعة طَبَرَك، فلمّا مات أبو نصر انتقل إلى خدمة السلطان ألب أرسلان، ووقاه بنفسه لمّا جرحه يوسف الخُوارزميُّ.

وكان ألب أرسلان قد أقطعه واسط، وجعله شِحنة لبغداذ، فلمّا قُتل ألب أرسلان أرسله ابنه ملكشاه إلى بغداذ، فأحضر له الخِلَع والتقليد، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الأمر، وتمام القدرة، وطاعة أعيان الأمراء، وخدمتهم إيّاه، وكان حليماً، كريماً، حسن السيرة، لم يصادر أحداً من أهل ولايته، ومناقبه كثيرة[٣].

ذكر حال السلطان بركْيارُق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضاً وقتل أمير داذَ حبشي

لمّا انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد سار قليلاً وهو في خمسين فارساً، ونزل عُتُمَةَ، واستراح، وقصد الرَّيّ، وأرسل إلى من كان يعلم أنه يريده، ويؤثر دولته، فاستدعاه، فاجتمع معه جمع صالح، فسار إلى إسْفَرَايين، وكاتب أمير داذَ حبشي بن ألْتُونتاق، وهو بدامَغان، يستدعيه، فأجابه يشير عليه بالمُقام بنَيسابور حتّى يأتيه، وكان بيده حينئذٍ أكثر خُراسان وطَبَرستان وجُرجان، فلمّا وصل بركْيارُق إلى

---

(١) المنتظم ٩/١١٣(١٧/٥٣)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٥، العبر ٣/٣٣٥، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٢/٢٣.

(٢) من (ب).

(٣) المنتظم ٩/١١٥، ١١٦ رقم ١٧٣ (١٧/٥٦، ٥٧ رقم ٣١٩٤)، دول الإسلام ٢/٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٣ و٥/٢٤ وفيه: «كوهراس».

نَيسابور قبض على رؤسائها، وخرج بهم، وأطلقهم بعد ذلك. وتمسّك بعميد خُرسان أبي محمّد، وأبي القاسم بن أبي المعالي الجوينيّ. فأمّا أبو القاسم فمات مسموماً في قبضه. وقد تقدّم أنه قُتل سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة].

وعاد بركْيارُق فاستدعى[1] أمير داذَ، فاعتذر بقصد السلطان سَنجَر بلاده في عساكر بَلْخ، ويسأل السلطان بركْيارُق أن يصل إليه ليعينه على الملك سَنجَر، ولم يُعْلموا الأصاغرَ لئلاّ ينهزموا.

وكان مع أمير[2] داذَ عشرون ألف فارس، فيهم من رجّالة الباطنيّة خمسة آلاف، ووقع المصافّ بين بركْيارُق وأخيه سَنجَر خارج النُوشَجان؛ وكان الأمير بزغش في ميمنة سنجَر، والأمير كندكز في ميسرته، والأمير رُستم في القلب، فحمل بركْيارُق على رستم فطعنه فقتله، وانهزم أصحابه وأصحاب سَنجَر، واشتغل العسكر بالنهب، فحمل عليهم بزغش وكندكز، فقتلا المنهزمين، وانهزم الرجّالة إلى مضيق بين جبلَيْن، فأرسل عليهم الماء فأهلكهم، ووقعت الهزيمة على أصحاب بركْيارُق، وكان قد أخذ والدة أخيه سنجر لمّا انهزم أصحابه أوّلاً، فخافت أن يقتلها بأمّه، فأحضرها وطيّب قلبها، وقال: إنّما أخذتُك حتى يطلق أخي سنجر مَنْ عنده من الأسرى، ولستِ كفؤاً لوالدتي حتّى أقتلَك. فلمّا أطلق سَنجَر الأسرى أطلقها بركْيارُق.

وهرب أمير داذَ إلى بعض القُرى، وأخذه بعض التركمان، فأعطاه في نفسه مائة ألف دينار، فلم يطلقه، وحمله إلى بزغش فقتله.

وسار بركيارق[3] إلى جُرجَان ثم إلى دَامغَان، وسار في البرّيّة، ورؤي[4] في بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارساً، وجمّازة واحدة[5]، ثم كَثُر جَمْعه، وصار معه ثلاثة آلاف فارس، منهم: جاولي سقاووا، وغيره، وساروا إلى أصبهان بمكاتبة من أهلها، فسمع السلطان محمّد، فسبقه إليها، فعاد إلى سُمَيْرَمَ[6].

---

(١) في الأوربية: «استدعى».

(٢) في الأوربية: «الأمير».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الأوربية: «ورأى».

(٥) الى هنا ينتهي النقص في نسخة (أ).

(٦) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٥، ٣٤٦، المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، دول الإسلام ٢/ ٢٢، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٣، ٤٨٤ و ٥/ ٢٤.

ذكر فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس

في هذه السنة فتح تميم بن المعزّ مدينة سفاقُس، وكان صاحبها حَمّو[1] قد عاد فتغلّب[2] عليها، واشتدّ أمره بوزيرٍ كان عنده قد قصده، وهو من كُتّاب المعزّ، كان حسن الرأي والتدبير، فاستقامت به دولته، وعظُم شأنه، فأرسل إليه تميم يطلبه ليستخدمه، ووعده، وبالغ في استمالته، فلم يقبل، فسيّر تميم جيشاً إلى حصار سفاقُس، وأمر الأمير الذي جعله مقدّم الجيش أن يهدم ما حول المدينة ويحرقه، ويقطع الأشجار سوى ما يتعلّق بذلك الوزير فإنّه لا يتعرّض له، ويبالغ في صيانته، ففعل ذلك، فلمّا رأى حمّو[3] ما فعل بأملاك الناس، ما عدا الوزير، اتّهمه، فقتله، فانحلّ نظام دولته، وتسلّم عسكر تميم المدينة، وخرج حمّو منها، وقصد مكن بن كامل الدّهمانيّ، فأقام عنده، فأحسن إليه، ولم يزل عنده حتّى مات[4].

ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته

لمّا أطلق مؤيّدُ الدولة، وزيرُ السلطان محمّد، الأعزَّ أبا المحاسن، وزيرَ بركْيارُق، وضمّنه عمادة بغداذ، أمره أن يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جَهِير، فسار من العسكر، وسمع عميد الدولة الخبر، فأمر أَصْبَهْبذ صباوة بن خُمَارِتكين بالخروج إلى طريق الأعزّ وقتله.

وكان أصْبَهْبذُ قد حضر الحرب مع بركْيارُق، ولمّا انهزم العسكر قصد بغداذ، فخرج إلى الطريق الأعزّ أبي المحاسن، فلقيه قريباً من بَعْقُوبَا، فأوقع بمن معه، والتجأ الأعزّ إلى القرية واحتمى، فلمّا رأى أصبهبذ صباوة ذلك أرسل إليه يقول له: إنّك وزير السلطان بركْيارُق، وأنا مملوكه، فإن كنتَ على خدْمته فاخرُج إلينا حتى نسير إلى بغداذ ونُقيم الخطبة للسلطان، وأنت الصاحب الذي لا يُخَالَفُ[5]، وإن لم تُجِبْ إلى هذا، فما بيننا غير السيف. فأجابه الأعزّ إلى ذلك، واجتمعا، فعرّفه صباوة الذي أمره به عميد الدولة من قتله، وباتا تلك الليلة، وأرسل الأعزّ إلى الأمير إيلغازي بن أُرتُق، وكان قد

---

(١) في الباريسية: «جمق»، وفي (أ) و(ب): «حمر».
(٢) في الأوربية: «تغلّب».
(٣) في (أ): «حمر»، وفي (ب): «حموماً».
(٤) البيان المغرب ١/ ٣٠٢، تاريخ الإسلام ٢٤.
(٥) في (أ): «تخالف».

ورد في صُحبته، وفارقه نحو الراذان، فحضر في الليل، فانقطع حينئذٍ أمل صباوة منه، وفارقه.

وسارالأعزّ إلى بغداذ وخاطب في عزل عميد الدولة، فعُزل في رمضان، وأُخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار، وقُبض عليه وعلى إخوته، وبقي معزولاً إلى سادس عشر شوّال، فتوفّي محبوساً في دار الخلافة؛ ومولده في المحرّم سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عاقلاً، كريماً، حليماً، إلاّ أنه كان عظيم الكِبر، يكاد يُعَدّ كلامه عدّاً، وكان إذا كلّم إنساناً كلمات يسيرة هُنّيء ذلك الرجل بكلامه[1].

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كُمُشْتِكين بن الدّانِشْمَنْد[2] طايلو، وإنّما قيل له ابن الدانشمند لأنّ أباه كان معلّماً للتركمان وتقلّبت به الأحوال،(حتّى ملك)[3]، وهو صاحب مَلَطْيَة وسِيواس وغيرهما، بيمُنْد[4] الفرنجيّ، وهو من مقدّمي الفرنج، قريب مَلَطْيَةَ،وكان صاحبها قد كاتبه، واستقدمه إليه، فورد عليه في خمسة آلاف، فلقيهم ابن الدّانِشْمَنْد، فانهزم بيمُنْد[4] وأُسر.

ثم وصل من البحر سبعة قمامصةٍ من الفرنج، وأرادوا تخليص بيمُنْد، فأتوا إلى قلعة تسمّى[5] أنكوريّة، فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين، وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدّانِشْمَنْد، وحصروها، فجمع ابن الدّانِشْمَنْد جَمْعاً كثيراً، ولقي الفرنج، وجعل له كميناً، وقاتلهم، وخرج الكمين عليهم، فلم يُفلِتْ أحدٌ من الفرنج، وكانوا ثلاثمائة ألف، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين.

وسار ابن الدّانِشْمَنْد إلى مَلَطْيَة، فملكها وأسر صاحبها، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكية، فلقِيهم وكسرهم، وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة[6].

---

(١) انظر عن (عميد الدولة الوزير) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٦٥ - ١٧٠ رقم ١٤٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) جاء في المختصر لأبي الفداء ٢/ ٢١٢: وقيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلّم التركمان، والمعلّم عندهم اسمه الدانشمند.

(٣) من(ب).

(٤) هو «بوهيموند».

(٥) من الباريسية.

(٦) تاريخ حلب (تحقيق زعرور) ٣٦٠ (تحقيق سويم) ٢٦، المنتظم ١٧/ ٥٥، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٥٩،

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة زاد أمر العيّارين بالجانب الغربيّ من بغداذ، في شعبان، وعظُم ضررهم، فأمر الخليفة كمالَ الدولة يُمن بتهذيب البلد، فأخذ جماعة من أعيانهم، وطلب الباقين فهربوا[(١)].

وفيها أيضاً انحلّت الأسعار بالعراق، وكان كُرّ الحنطة قد بلغ سبعين[(٢)] ديناراً[(٣)]، وربّما زاد كثيراً في بعض الأوقات، وانقطعت الأمطار، ويبست الأنهار، وكثُر الموت. حتى عجزوا عن دفن الموتى، فحُمل في بعض الأوقات ستة أموات على نعش واحد، وعدمت الأدوية والعقاقير[(٤)].

وفيها، في رجب، سار بيمُنْد الفرنجيُّ، صاحب أنطاكية، إلى قلعة أفَامِيَة، فحصرها، وقاتل أهلَها أيّاماً، وأفسد زروعها(ثم رحل عنها)[(٥)].

وفيها، في آخر رمضان، قُتل الأمير بلكابك سرمز[(٦)] بأصبهان، بدار السلطان محمّد، وكان كثير الاحتياط من الباطنيّة لا يفارقه لُبسُ الدِّرع ومَن يمنع عنه، ففي ذلك اليوم لم يلبسْ درعاً، ودخل دار السلطان في قلّة، فقتله الباطنيّة، فقُتل واحد ونجا آخر[(٧)].

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو الحسن البِسطاميُّ[(٨)] الصوفيُّ، ورباطه مشهور على دجلة غربيّ بغداذ، بناه أبو الغنائم بن المحلبان.

وفيها مات أبو نصر بن أبي عبد الله بن جَرْدة، وأصْله من عُكْبَرا، وإليه يُنسب مسجد ابن جَرْدة، وخَرابة ابن جردة ببغداذ.

= المختصر ٢/ ٢١٢، العبر ٣/ ٣٣٥، تاريخ الإسلام ٢٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١١، مرآة الجنان ٣/ ١٥٥، و«أنكورية» هي مدينة أنقرة عاصمة الجمهورية التركية الآن.

(١) المنتظم ١٧/ ٥٤.

(٢) في الباريسية: «تسعين».

(٣) في الأوربية: «دينار».

(٤) المنتظم ١٧/ ٥٤.

(٥) من (ب). والخبر في: ذيل تاريخ دمشق ١٣٨.

(٦) في المنتظم: «شحنة إصبهان».

(٧) المنتظم ١٧/ ٥٤، ٥٥.

(٨) انظر عن (البسطامي) في: المنتظم ١٧/ ٥٧ رقم ٣٦٩٦.

وفيها توفّي أبو عليّ يحيى بن جَزْلَة[1] الطبيب، وكان نصرانيّاً فأسلم، وهو مصنّف كتاب المنهاج.

وفيها، في شوّال، توفّي عبد الرزّاق الصوفيُّ، الغزنويُّ[2]، المقيم برباط عَتّاب، وحجّ عدّة حجّات على التجريد، ولم يخلّف ما تكفّن فيه، فقالت زوجتُه: إذا متَّ افتضحنا، قال: لِمَ نفتضح؟ قالت: لأنّك ليس لك ما تُكفّن فيه. فقال: إنّما أفتضح إذا خلّفتُ ما أُكفّن فيه.

وفيها، في رمضان، توفّي عزّ الدولة أبو المكارم محمّد بن سيف الدّولة صدقة بن مَزْيد[3].

---

(١) انظر عن (ابن جزلة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٣ هـ.) ص ١٧٤، ١٧٥ رقم ١٥٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الغزنوي) في: المنتظم ١٧/٥٧ رقم ٣٦٩٥، والبداية والنهاية ١٢/١٥٨.

(٣) انظر عنه في: المنتظم ١٧/ ٦٠، ٦١ رقم ٣٧٠٥.

٤٩٤
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة

ذكر الحرب بيّن السلطانين بركيارُق ومحمّد وقتل مؤيّد الملك

في هذه السنة، ثالث جمادى الآخرة، كان المصافّ الثاني بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد، وقد ذكرنا سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] انهزم السلطان بركْيارُق من أخيه السلطان محمّد، وتنقّلَهُ في البلاد، إلى أصبهان، وإنّه لم يدخلها، وسار منها إلى خُوزِستان، وأتى عسكرَ مُكرَم، فأتاه الأميران زنكي وألْبكي ابنا بُرْسُق[1]، وصارا معه، وأقام بها شهرَيْن، وسار منها إلى همذان، فاتّصل به الأمير إياز.

وكان سبب ذلك أنّ أمير آخُر قد مات مُذْ قريب، فاتّهم إياز مؤيّد المُلك بأنّه سقاه السمّ، وقوّى ذلك عنده أنّ وزير أمير آخُر هرب عُقَيْب موته، فازداد ظنّ إياز باتّهامه، فظفر بالوزير، فقتله.

وكان إياز قد اتّخذه أمير آخُر ولداً، واتّصل به العسكر[2]، ووصّى له بجميع ماله، فحين استوحش لهذا السبب كاتب السلطان بركْيارُق، واتّصل به، ومعه خمسة آلاف فارس،(وصار من جملة)[3] عسكره.

وسار السلطان محمّد إلى لقاء أخيه، فلمّا تقارب العسكران استأمن الأمير سُرخاب بن كَيْخسرو، صاحب آوة، إلى السلطان بركْيارُق، فأكرمه، ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة، وكان مع السلطان بركْيارُق، خمسون ألفاً، ومع أخيه السلطان

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) من الباريسية.

(٣) (٣)في (أ) و(ب): «من».

محمّد خمسة عشر ألفاً، فالتقوا، فاقتتلوا يومَهم أجمع، وكان النفر بعد النفر يستأمنون من عسكر محمّد إلى بركْيارُق، فيُحسن إليهم.

ومن العجب الدّالّ على الظفر أنّ رجّالة بركْيارُق احتاجوا إلى تراس، فوصل إليه يوم المصافّ بكرةً اثنا عشر حملاً سلاحاً من همَذان منها ثمانية أحمال تراس، ففُرّقت فيهم، فلمّا وصلت نزل السلطان بركْيارُق، وصلّى ركعتَيْن شكراً لله تعالى.

ولم يزل القتال بينهم إلى آخر النهار، فانهزم السلطان محمّد وعسكره، وأُسر مؤيّد المُلك، أسره غلام لمجد المُلك البلاسانيّ وأُحضر عند السلطان بركْيارُق، فسبّه، وأوقفه[1] على ما اعتمده معه(من سبّ والدته مرّةً، ونسبته إلى مذهب الباطنيّة أخرى، ومن حمْل أخيه محمّد)[2] على عصيانه، والخروج عن طاعته إلى غير ذلك، ومؤيّد المُلك ساكت لا يُعيد كلمة، فقتله بركْيارُق بيده، وأُلقي على الأرض عدّة أيّام، حتّى سأل الأمير إياز في دفنه، فأذِن فيه، فحُمل إلى أبيه بأصبهان فدُفن معه.

وكان بخيلاً، سيّىء السيرة مع الأمراء، ألاّ أنّه كان كثير المكر والحِيَل في إصلاح أمر المُلك، وكان عمره لمّا قُتل نحو خمسين سنة.

وكان السلطان بركْيارُق قد استوزر في صفر الأعزّ أبا المحاسن عبد الجليل بن عليّ الدِّهِستانيّ، فلمّا قُتل مؤيّد المُلك أرسل الوزير أبو المحاسن رسولاً إلى بغداذ، وهو أبو إبراهيم الأَسداباذي[3]، لأخذ أموال مؤيّد المُلك، فنزل ببغداذ بدار مؤيّد المُلك، وسُلّم إليه محمّد الشرابيُّ، وهو ابن خالة مؤيّد المُنك، فأُخذت منه الأموال والجواهر بعد مكروه[4] أصابه، وعذاب ناله، وأُخذ له ذخائر من مواضع أُخَر ببلاد العجم منها: قطعة بَلَخش، وزنها واحد وأربعون[5] مثقالاً.

ولمّا فرغ السلطان بركْيارُق من هذه الوقعة سار إلى الرّيّ، فوصل إليه قِوام الدولة كربوقا، صاحب الموصل، ونور الدولة دُبَيْس بن صدقة بن مَزْيَد[6].

---

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) في (أ): «الاستراباذي»، وفي (ب): «الإسابادي».

(٤) في (ب): «نكد».

(٥) في الأوربية: «أحد وأربعين».

(٦) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٧، المختصر ٢/٢١٣، العبر ٣/٣٣٧، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٤ و ٥/ ٢٤،٢٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

ذكر حال السلطان محمّد بعد الهزيمة واجتماعه بأخيه الملك سَنجَر

لمّا انهزم السلطان محمّد، سار طالباً خُراسان إلى أخيه سَنجَر، وهما لأمّ واحدة، فأقام بجُرجان، وراسل أخاه يطلب منه مالاً وكسوة، وغير ذلك، فسيّر إليه ما طلب، وتردّدت الرسل بينهما، حتّى تحالفا واتّفقا.

ولم يكن بقي مع السلطان محمّد غير أميرَيْن في نحو[1] ثلاثمائة فارس، فلمّا استقرّت القواعد بينهما سار الملك سَنجَر من خُراسان في عساكره نحو أخيه السلطان محمّد، فاجتمعا بجُرجان، وسارا منها إلى دَامغان، فخرّبها العسكر الخُراسانيُّ، ومضى أهلها هاربين إلى قلعة كردكوه، وخرّب العسكر ما قدروا عليه من البلاد، وعمّ الغلاء تلك الأصقاع، حتّى أكل الناس الميتة والكلاب، وأكل الناس بعضهم بعضاً، وسارا إلى الريّ، فلمّا وصلا إليها انضمّ إليهما النِّظاميّة وغيرهم، فكثر جمعهما، وعظُمت شوكتهما، وتمكّنت من القلوب هيبتهما[2].

ذكر ما فعله السلطان برکْيارُق ودخوله بغداذ

لمّا كان السلطان بركْيارُق بالريّ، بعد انهزام أخيه محمّد، اجتمعت عليه العساكر الكثيرة، فصار معه نَحو مائة ألف فارس، ثم إنّهم ضاقت عليهم الميرة، فتفرّقت العساكر، فعاد دُبيس بن صَدَقة إلى أبيه، وخرج الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي بأَذَرْبِيجان، فسيّر إليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف فارس، واستأذن الأمير إياز في أن يقصد داره بهَمَذان يصوم بها شهر رمضان، ويعود بعد الفِطْر، فأذِن له، وتفرّقت العساكر لمثل ذلك، وبقي في العدد القليل.

فلمّا بلغه أنّ أخوَيْه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود[3]، وأنّهما لمّا بلغهما قلّة من معه جدًا في المسير إليه، وطويا المنازل ليعاجلاه، قبل أن يجمع جموعه وعساكره، فلمّا قارباه سار من مكانه، وقد طمع فيه من كان يهابه، وأيِس منه من كان يرجوه، فقصد نحو همَذان ليجتمع هو وإياز، فبلغه أنّ إياز[4] قد راسل السلطان محمّداً ليكون

---

(١) في (أ) و(ب): «ونحو».

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٩٧، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٧، العبر ٣/ ٣٣٧، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٥.

(٣) في (ب) «الحشود».

(٤) في (أ): «إيازاً».

معه ومن جملة أعوانه، خوفاً على ولايته، وهي همذان وغيرها، فلمّا سمع ذلك عاد عنها، وقصد خُوزِستان، فلمّا قرب من تُستَر كاتب الأمراء بني برسق[1] يستدعيهم إليه، فلم يحضروا لمّا علموا أنّ إياز[2] لم يحضر، وللخوف من السلطان محمّد، فسار نحو العراق، فلمّا بلغ حُلوان أتاه رسول الأمير إياز يسأل التوقّف ليصل إليه.

وسبب ذلك أنّ إياز[2] راسل السلطان محمّداً في الانضمام إليه[3]، والمصير في جملة عسكره، فلم يقبله، وسيّر العساكر إلى همَذان، ففارقها منهزماً. ولحِق بالسلطان بركْيارُق، (فأقام السلطان بركْيارُق)[4] بحُلوان، ووصل إليه إياز، وساروا جميعهم إلى بغداذ.

وأخذ عسكر محمّد ما تخلّف للأمير إياز بهَمذان من مال، ودوابّ، وبَزْك، وغير ذلك، فإنّه أُعجل عنه، وكان من جملته خمسمائة حِصان عربيّة، قيل: كان يُساوي كلّ حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار، ونهبوا داره، وصادروا جماعة من أصحابه، وصودر رئيس همَذان بمائة ألف دينار.

ولمّا وصل إياز إلى بركْيارُق تكاملت عدّتهم خمسة آلاف فارس، وقد ذهبت خيامهم وثَقَلهم، ووصل بركْيارُق إلى بغداذ سابع عشر ذي القعدة، وأرسل الخليفة إلى طريقه يلتقيه أمين[5] الدولة بن موصلايا في الموكب[6].

ولمّا كان عيد الأضحى نفّذ الخليفة منبراً إلى دار السلطان، وخطب عليه الشريف أبو الكرم، وصلّى صلاة العيد، ولم يحضر بركْيارُق لأنّه كان مريضاً.

وضاقت الأموال على بركْيارُق، فلم يكن عنده ما يُخرجه على نفسه وعلى عساكره، فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلّة المال، ويطلب أن يُعان بما يخرجه، فتقرّر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار، حملها الخليفة إليه، ومدّ بركْيارُق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس، فعمّ ضررهم، وتمنّى أهل البلاد زوالهم عنهم، ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطّة شنعاء، وذلك أنّه قدم عليهم أبو محمّد عُبيد الله بن

---

(١) في (أ): «برشق».
(٢) في (أ): «إيازاً».
(٣) من (ب).
(٤) من (أ).
(٥) في (أ) و(ب): «أمير».
(٦) في (أ) و(ب): «المراكب».

منصور، المعروف بابن صُلَيْحة[1]، قاضي جَبَلَة من بلاد الشام وصاحبها، منهزماً من الفرنج، على ما نذكره، ومعه أموال جليلة المقدار، فأخذوها منه[2].

ذكر خلاف صدقة بن مَزْيَد على بركْيارُق

في هذه السنة خرج الأمير صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد، صَاحِب الحِلّة، عن طاعة السلطان بركْيارُق، وقطع خطبته من بلاده، وخطب فيها للسلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن الدِّهِستانيّ، وزير السلطان بركْيارُق، أرسل إلى صَدَقة يقول له: قد تخلّف عندك لخزانة السلطان ألف ألف دينار، وكذا وكذا ديناراً لسنين كثير، فإنْ أرسلتَها، وإلاّ سيّرنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك، فلمّا سمع هذه الرسالة قطع الخطبة، وخطب لمحمّد.

فلمّا وصل السلطان بركْيارُق إلى بغداذ على هذه الحال أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعوه إلى الحُضور عنده، فلم يُجِبْ إلى ذلك، فأرسل إليه الأمير إياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان، ويضمن له كلَّ ما[3] يريده، فقال: لا أحضر، ولا أطيع السلطان، إلاّ إذا سلّم وزيره أبا المحاسن إليّ، وإن لم يفعلْ فلا يتصوّر منّي الحضور عنده أبداً، ويكون في ذلك ما يكون، فإن سلّمه إليّ، فأنا العبد المخلص في العبوديّة بالحُسن والطاعة. فلم يُجَبْ إلى ذلك، فتمّ على مقاطَعته، وأرسل إلى الكوفة، وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها إليه[4].

ذكر وصول السلطان محمّد إلى بغداذ ورحيل السلطان بركيارُق عنها

في هذه السنة، في السابع والعشرين [من] ذي الحجّة، وصل السلطان محمّد وسَنْجَر إلى بغداذ، وكان السلطان محمّد لمّا استولى على همَذان وغيرها سار إلى بغداذ، فلمّا وصل إلى حُلوان سار إليه إيلغازي بن أُرتق في عساكره، وخدمه، وأحسن في الخدمة، وكان عسكر محمّد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الأتباع.

---

(١) في الباريسية: «صلىجة».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٨، المختصر ٢/٢١٣، العبر ٣/٣٣٧، ٣٣٨، دول الإسلام ٢/٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن خلدون ٥/٢٥.

(٣) في الأوربية: «كلّما».

(٤) نهاية الأرب: ٢٦/٣٤٨، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/١٦٠.

فلمّا وصلت الأخبار بذلك كان بركْيارُق على شدّة من المرض، يُرجف عليه خواصّه بُكرة وعشيّاً، فماج أصحابه، وخافوا، واضطّربوا، وحاروا، وعبروا به في محفّة إلى الجانب الغربيّ، فنزلوا بالرّملة، ولم يبقَ في بركْيارُق غير روح يتردّد، وتيقّن أصحابه موته، وتشاوروا في كفنه، وموضع دفنه.

فبينما هم كذلك إذ قال لهم: إني أجد نفسي قد قويت، وحركتي قد تزايدت؛ فطابت نفوسهم، وساروا، وقد وصل العسكر الآخر، فتراءى الجَمعان بينهما دجلة، وجرى بينهما مراماة[1] وسباب، وكان أكثر ما يسبّهم عسكر محمّد يا باطنيّة، يُعَيّرونهم بذلك، ونهبوا البلاد في طريقهم إلى أن وصلوا إلى واسط.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ، فنزل بدار المملكة، فبرز إليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمّن الامتعاض من سوء سيرة بركْيارُق ومن معه، والاستبشار بقدومه، وخُطب له بالديوان، ونزل الملك سَنجَر بدار كوهرائين، وكان محمّد قد استوزر بعد مؤيّد المُلك خطير[2] الملك أبا منصور محمّد بن الحسين، وقدِم إليه في المحرّم سنة خمس وتسعين [وأربعمائة] الأمير سيف الدولة صَدَقة، وخرج الخلْق كلّهم إلى لقائه[3].

ذكر حال قاضي جبلة

هو أبو محمّد عبيد[4] الله بن منصور المعروف بابن صُلَيْحة، وكان والده رئيسها أيّام كان الروم مالكين لها على المسلمين، يقضي بينهم، فلمّا ضعُف أمر الروم، وملكها المسلمون، وصارت تحت حكم جلال[5] الملك أبي الحسن عليّ بن عمّار، صاحب طرابُلُس، كان منصور على عادته في الحكم فيها. فلمّا توفّي منصور قام ابنه أبو محمّد مقامه، وأحبّ الجنديّة، واختار الجُند، فظهرت شهامته، فأراد ابن عمّار أن يقبض عليه، فاستشعر منه، وعصى عليه، وأقام الخطبة العبّاسيّة، فبذل ابن عمّار لدُقاق بن تُتُش مالاً ليقصده ويحصره، ففعل، وحصره، فلم يظفر منه بشيء، وأصيب صاحبه أتابَك طُغْتِكين بنُشّابة في ركبته وبقي أثرها.

---

(١) في (أ): «مراسلة»، وفي(ب): «مراسلات».
(٢) في (أ) و(ب): «خطيب».
(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٤٧، ٣٤٨، المختصر ٢/ ٢١٣، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥.
(٤) في الباريسية، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٣٨٥ «عبد».
(٥) في (أ) و(ب): «جمال».

وبقي أبو محمّد بها مطاعاً إلى أن جاء الفرنج، لعنهم الله، فحصروها، فأظهر[١] أنّ السلطان بركيارُق قد توجّه إلى الشام، وشاع هذا، فرحل الفرنج، فلمّا تحقّقوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا[٢] حصاره، فأظهر أنّ المصريّين قد توجّهوا لحربهم، فرحلوا ثانياً، ثم عادوا، فقرّر مع النصارى الذين بها أن يراسلوا الفرنجَ، ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلّموه إليهم ويملكوا البلد، فلمّا أتتهم الرسالة جهّزوا نحو[٣] ثلاثمائة رجل من أعيانهم وشجعانهم، فتقدّموا إلى ذلك البرج، فلم يزالوا يرقون في الحبال، واحداً بعد واحد[٤]، وكلّما صار عند ابن صُلَيْحة، وهو على السور، رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين، فلمّا أصبحوا رمى[٥] الرؤوس إليهم فرحلوا عنه.

وحصروه مرّة أخرى، ونصبوا على البلد برج خشب، وهدموا برجاً من أبراجه، وأصبحوا وقد بناه أبو محمّد، ثم نقب في السور نقوباً، وخرج من الباب وقاتلهم، فانهزم منهم، وتبعوه، فخرج أصحابه من تلك النقوب، فأتوا الفرنجَ من ظهورهم، فولّوا منهزمين وأُسر مقدّمهم[٦] المعروف بكُنْد اصطبل[٧]، فافتدى نفسه بمال جزيل.

ثمّ علم أنّهم لا يقعدون عن طلبه، وليس له من يمنعهم عنه، فأرسل إلى طُغْتِكين أتابَك يلتمس منه إنفاذ من يثق به ليسلّم إليه ثغر جَبلَة، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله، فأجابه إلى ما التمس، وسيّر إليه ولده تاج الملوك بوري، فسلّم إليه البلد، ورحل إلى دمشق، وسأله أن يسيّره إلى بغداذ، ففعل، وسيّره ومعه من يحميه إلى أن وصل إلى الأنبار.

ولمّا صار بدمشق أرسل ابن عمّار صاحب طرابلس إلى الملك دُقاق، وقال: سَلّم إليّ ابن صُلَيْحة عُرياناً، وخُذْ ماله أجمع، وأنا أعطيك ثلاثمائة ألف دينار؛ فلم يفعل. فلمّا وصل إلى الأنبار أقام بها أيّاماً، ثم سار إلى بغداذ، وبها السلطان بركيارُق، فلمّا وصل أحضره الوزير الأعزّ أبو المحاسن عنده، وقال له: السلطان محتاجٌ، والعساكر

---

(١) في (أ): «فأظهروا».

(٢) في (أ) و (ب): «عادوا إلى».

(٣) من (ب).

(٤) في الباريسية: «آخر».

(٥) في الأوربية: «رما».

(٦) في (ب): «فارسهم».

(٧) في الباريسية: «أصطبل». وكند اصطبل أو اسطبل، معّرب اللفظ اللاتيني المركّب **Comes Stabuli** ومعناه في مصطلح العصور الوسطى الأوربية: حاكم القلعة وحارسها. (السلوك ج ١ ق ٣/ ٩٦ حاشية ٣).

يطالبونه بما ليس عنده، ونريد منك ثلاثين ألف دينار، وتكون له[1] مِنَّةٌ عظيمة، تستحق بها المكافأة والشكرَ. فقال: السمع والطاعة؛ ولم يطلب أن يَحُطَّ[2] شيئاً، وقال: إنَّ رَحلي ومالي في الأنبار بالدّار التي نزلتها؛ فأرسل الوزير إليها جماعة، فوجدوا فيها مالاً كثيراً، وأعلاقاً نفيسة، فمن جملة ذلك ألف ومائة قطعة مصاغٍ عجيب الصنعة، ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شيء كثير.

كان ينبغي أن نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمّد إلى ها هنا، بعد قتل الباطنيّة، فإنّها كانت أواخر السنة، وكان قتلهم في شعبان، وإنّما قدّمناها لنتبع بعضُ الحادثة بعضاً لا يفصل بينها شيء.

وأمّا تاج الملوك بوري، فإنّه لمّا ملك جَبَلَة، وتمكّن منها، أساء السيرة هو وأصحابه مع أهلها، وفعلوا بهم أفعالاً أنكروها، فراسلوا القاضي فخر المُلك[3] أبا عليّ عمّار[4] بن محمّد بن عمّار صاحب طرابلس، وشكوا إليه ما يفعل بهم، وطلبوا منه أن يرسل إليهم بعض أصحابه ليسلّموا إليه البلد، ففعل ذلك، وسيّر إليهم عسكراً[5]، فدخلوا جَبَلَة، واجتمعوا بأهلها، وقاتلوا تاج الملوك ومَن معه، فانهزم الأتراك، وملك عسكر ابن عمّار جَبلَة، وأخذوا تاج الملوك أسيراً، وحملوه إلى طرابلس، فأكرمه ابن عمّار، وأحسن إليه، وسيّره إلى أبيه بدمشق، واعتذر إليه، وعرّفه صورة الحال، وأنّه خاف أن يملك الفرنج جَبلَة[6].

ذكر قتل الباطنيّة

في هذه السنة، في شعبان، أمر السلطان بركْيارُق بقتل الباطنيّة، وهم الإسماعيليّة وهم الذين كانوا قديماً يسمُّون قرامطة[7]، ونحن نبتدىء بأوّل أمرهم الآن ثم بسبب قتلهم.

---

(١) في (ب): «منك».

(٢) في الباريسية: (يحفظ).

(٣) هو أخو جلال الملك الذي توفي سنة ٤٩٢ هـ.

(٤) من الباريسية.

(٥) في (ب) زيادة: «وافراً».

(٦) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، معجم البلدان ٢/ ١٠٥، المختصر ٢/ ٢١٣، تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨، مرآة الزمان ج ١٢ ق ٣/ ٢٣٤ أ، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٥، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ـ ج ١/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٠٠ ـ ٢٠٤.

(٧) من (أ).

فأوّل ما عُرف من أحوالهم، أعني هذه الدعوة الأخيرة التي اشتهرت بالباطنية، والإسماعيليّة، في أيّام السلطان ملكشاه، فإنّه[1] اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً، فصلّوا صلاة العيد في ساوة، ففطن بهم الشُّحنة، فأخذهم وحبسهم، ثم سئل فيهم فأطلقهم، فهذا أوّل اجتماع كان لهم.

ثم إنهم دعوا مؤذّناً من أهل ساوة كان مقيماً بأصبهان، فلم يجبهم إلى دعوتهم، فخافوه أن[2] ينمّ عليهم، فقتلوه، فهو أوّل قتيل لهم، وأوّل دم أراقوه[3]، فبلغ[4] خبره إلى نظام المُلك، فأمر بأخذ من يُتّهم بقتله، فوقعت التهمة على نجّار اسمه طاهرٌ، فقُتل، ومُثّل به، وجرّوا برِجله في الأسواق، فهو أوّل قتيل منهم، وكان والده واعظاً، وقدِم إلى بغداذ مع السلطان بركْيارُق سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] فحظي[5] منه، ثم قصد البصرة فوليَ القضاء بها، ثم توجّه في رسالة إلى كَرْمان، فقتله العامّة في الفتنة التي جرت، وذكروا أنّه باطنيّ.

ثم إنّ الباطنيّة قتلوا نظام المُلك، وهي أوّل فتكة[6] مشهورة كانت لهم، وقالوا: قتل نجّاراً فقتلناه به.

وأوّل موضع غلبوا عليه وتحصّنوا به بلدٌ عند قَايِنَ، كان متقدّمهُ على مذهبهم، فاجتمعوا عنده، وقَووا به، فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كَرمان إلى قاين، فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنيّة، فقتل أهلَ القفل أجمعين، ولم ينجُ منهم غير رجل تركمانيّ، فوصل إلى قاينَ[7] فأخبر بالقصّة، فتسارع أهلها مع القاضي[8] الكرماني[9] إلى جهادهم، فلم يقدروا عليهم.

ثم قُتل نظام المُلك، ومات السلطان ملكشاه، فعظُم أمرهم، واشتدّت شوكتهم، وقويت أطماعهم.

---

(١) في(ب): «فإنهم».
(٢) في الأوربية: «لا».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «فبلح».
(٥) في (أ) و (ب): «فحضي».
(٦) في (أ) و (ب): «قتلة».
(٧) في (أ): «كرمان».
(٨) زاد في (أ): «علي».
(٩) في (أ) و (ب): «التركماني».

وكان سبب قوّتهم بأصبهان أنّ السلطان بركيارُق لمّا حصر أصبهان، وبها أخوه محمود[1]، وأُمّه خاتون الجلاليّة، وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنيّة بها، وانتشرت، وكانوا متفرّقين في المحالّ، فاجتمعوا، وصاروا يسرقون مَن قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم؛ فعلوا هذا بخلق كثير، وزاد الأمر، حتى إنّ الإنسان كان إذا تأخّر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقّنوا قتله، وقعدوا للعزاء به، فحذر الناس، وصاروا لا ينفرد أحد، وأخذوا في بعض الأيّام مؤذّناً، أخذه جارٌ له باطنيّ، فقام أهله للنياحة عليه، فأصعده الباطنيّة إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون، وهو لا يقدر [أن] يتكلّم خوفاً منهم.

ذكر ما فعل بهم العامّة بأصبهان

لمّا عمّت هذه المصيبة الناس بأصبهان، أذن الله تعالىٰ في هتك أستارهم، والانتقام منهم، فاتّفق أن رجلاً دخل دار صديق له، فرأى فيها ثياباً، ومداسات، وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده، وتحدّث بما كان، فكشف الناسُ عنها، فعلموا أنّها[2] من المقتولين.

وثار[3] الناس كافّة يبحثون عمّن قُتل منهم، ويستكشفون، فظهروا على الدورب التي هم فيها، وإنّهم كانو إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منهم وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صُنعت لذلك.

وكان على باب دربٍ منها رجلٌ ضرير، فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده[4] خطوات إلى باب الدرب، فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أُخذ وقُتل، فتجرّد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمّد الخُجَنْدِيُّ، الفقيه الشافعيُّ، وجمع الجمّ الغفير[5] بالأسلحة، وأمر بحفر أخاديد، وأوقد فيها النيران، وجعل العامّة يأتون بالباطنيّة أفواجاً ومنفردين، فيلقون في النار، وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران، وسمّوه مالكاً، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً[6].

---

(١) في (أ) و (ب): «محمد».

(٢) في الأوربية: «أنه».

(٣) في الباريسية: (وسار».

(٤) في (أ) و (ب): «يقود به».

(٥) في الباريسية: «جماعة».

(٦) في المنتظم ٩/ ١٢٠ (١٧/ ٦٣)، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٢، دول الإسلام ٢/ ٢٣، تاريخ الإسلام ٢٨، ٢٩.

ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم

واستولوا على عدّة حصون منها قلعة أصبهان، وهذه القلعة لم تكن قديماً، وإنّما بناها السلطان ملكشاه.

وسبب بنائها أنّه كان قد أتاه رجل من مقدّمي الروم، فأسلم وصار معه، فاتّفق أنّه سار[1] يوماً إلى الصيد، فهرب منه كلبٌ حسن الصيد، وصعد هذا الجبل، فتبعه السلطان والروميُّ معه، فوجده موضعَ القلعة، فقال له (الروميُّ) لو أنّ عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصناً ننتفع به؛ فأمر ببناء القلعة، ومنع منها نظام المُلك، فلم يُقبل قوله، فلمّا فرغتْ جعل فيها دزْداراً.

فلمّا انقضت أيّام السلطان ملكشاه، وصارت أصبهان بيد خاتون أزالت الدزْدار، وجعلت غيره فيها، وهو إنسان ديلميٌّ اسمه زيار، فمات، وصار بالقلعة إنسان خُوزيٌّ، فاتّصل به أحمد بن عطّاش، وكان الباطنيّة قد ألبسوه تاجاً[2]، وجمعوا له أموالاً، وقدّموه عليهم مع جهله، وإنّما كان أبوه مقدّماً فيهم، فلمّا اتّصل بالدزْدار بقي معه، ووثق به، وقلّده الأمور، فلمّا توفّي الدزْدار، استولى أحمد بن عطّاش عليها، ونال المسلمين منه ضرر عظيم من أخْذ الأموال، وقتْل النفوس، وقطع الطريق، والخوف الدائم، فكانوا يقولون: إنّ قلعةً يدلّ عليها كلبٌ، ويشير بها كافر لا بدّ وأن يكون خاتمة أمرها الشرّ.

ومنها أَلَمُوت، وهي من نواحي قَزوين، قيل إنّ ملكاً من ملوك الديلم كان كثير التصيّد، فأرسل يوماً عُقاباً، وتبعه، فرآه قد سقط على موضع هذه القلعة، فوجده موضعاً حصيناً، فأمر ببناء قلعة عليه، فسمّاها أَلُهْ مُوت، ومعناه بلسان الديلم: تعليم العُقاب، ويقال لذلك الموضع وما يجاوره طالقان.

وفيها قلاع حصينة أشهرها أَلَمُوت، وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجَعْفريّ، وقد استناب فيها رجلاً علوياً، فيه بلهٌ وسلامة صَدْرٍ.

وكان الحسن بن الصبّاح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب، والنجوم، والسحر، وغير ذلك؛ وكان رئيس الريّ إنسان يقال له أبو مُسلم، وهو صهر نظام المُلك، فاتّهم الحسن بن الصبّاح بدخول جماعة من دُعاة المصريّين عليه، فخافه

---

(١) في (ب) زيادة: «معه».

(٢) في (ب) زيادة: «واجتمعوا».

ابن الصبّاح، وكان نظام المُلك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفراسة: عن قريب يُضلّ[(١)] هذا الرجل ضعفاء العوامّ؛ فلمّا هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه.

وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطّاش، الطبيب الذي ملك قلعة أصبهان، ومضى ابن الصبّاح فطاف البلاد، ووصل إلى مصر، ودخل على المستنصر صاحبها، فأكرمه، وأعطاه مالاً، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمَنِ الإمامُ بعدك؟ فأشار إلى ابنه نِزار؛ وعاد من مصر إلى الشام، والجزيرة، وديار بكر، والروم، ورجع إلى خُراسان، ودخل كاشغَر، وما وراء النهر، يطوف على قوم يُضلّهم، فلمّا رأى قلعة أَلَمُوت، واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم، وطمع في إغوائهم، ودعاهم في السرّ، وأظهر الزهد، ولبس المِسْحَ[(٢)] فتبِعه أكثرهم، والعلويُّ صاحب القلعة حسن الظنّ فيه، يجلس إليه يتبرّك به، فلمّا أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلويّ بالقلعة، فقال له ابن الصبّاح: اخرج من هذه القلعة؛ فتبسّم العلويُّ، وظنّه يمزح، فأمر ابن الصبّاح بعض أصحابه[(٣)] بإخراج العلويّ، فأخرجوه[(٤)] إلى دامغان، وأعطاه ماله وملك القلعة.

ولمّا بلغ الخبر إلى نظام المُلك بعث عسكراً إلى قلعة أَلَمُوت، فحصروه فيها، وأخذوا عليه الطرق، فضاق ذَرْعه بالحصر، فأرسل مَن قتل نظام المُلك، فلمّا قُتل رجع العسكر عنها.

ثمّ إنّ السلطان محمّد بن ملكشاه جهّز نحوها العساكر، فحصرها، وسيرِد ذكر ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

ومنها طَبَسُ، وبعض قُهِسْتانَ، وكان سبب ملكهم لها أن قُهِسْتانَ كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور، أمراء خُراسان، أيّام السامانيّة، وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المُنَوّر، وكان رئيساً مُطاعاً عند الخاصّة والعامّة، فلمّا وليَ كلسارغ قُهِسْتَانَ ظلم الناس وعسفهم، وأراد أُختاً للمنوّر بغير حلّ، فحمل ذلك المنوّر على أن التجأ إلى الإسماعيليّة، وصار معهم، فعظُم حالهم في قُهِسْتان، واستولوا عليها ومن جملتها (خُورُ، وخُوسف)[(٥)]، وزوزن، وقاين، وتُون، وتلك الأطراف المجاورة لها.

---

(١) في (أ) و (ب): «يصل».
(٢) في (أ) و (ب): «المسوح».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الباريسية: «فأخرج».
(٥) من (أ) و (ب).

ومنها قلعة وَسْنَمكُوه[١]، ملكوها، وهي بقرب أبهَر، سنة أربع وثمانين [وأربعمائة]، وتأذّى بهم الناس، لا سيّما أهل أبهَر، فاستغاثوا بالسلطان بركْيارُق، فجعل عليها من يحاصرها، فحوصرت ثمانية أشهر، وأُخذت منهم سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، وقُتل كلّ من بها عن آخرهم.

ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من أصبهان، كانت لمؤيّد المُلك بن نظام المُلك، وانتقلت إلى جاولي سقاووا، فجعل بها إنساناً تركيّاً، فصادقه نجّارٌ باطني، وأهدى له هديّة جميلة، ولزِمه حتّى وثق به، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فعمل دعوةً للتركيّ وأصحابه، فسقاهم الخمر، فأسكرهم، واستدعى ابن عطّاش، فجاء في جماعة من أصحابه، فسلّم إليهم القلعة، فقتلوا من بها سوى التركيّ فإنّه هرب؛ وقوي ابن عطّاش بها، وصار له على أهل أصبهان القطائع الكثيرة.

ومن قلاعهم المذكورة أُستُونَاوَنْدُ، وهي بين الرَّيّ وآمل، ملكوها بعد ملكشاه، نزل منها صاحبها، فقُتل وأُخذت منه.

ومنها أَرْدَهْنُ، وملكها أبو الفتوح ابن أخت الحسن بن الصبّاح.

ومنها كُردكوه وهي مشهورة.

ومنها قلعة الناظر بخُوزستان؛ وقلعة الطُّنبُور وبينها[٢] وبين أرّجان فرسخان أخذها[٣] أبو حمزة الإسكاف، وهو من أهل أرّجان، سافر إلى مصر، وعاد داعيةً لهم.

وقلعة[٤] خلادخان[٥]، وهي بين فارس وخُوزستان، وأقام بها المفسدون نحو مائتَيْ سنة يقطعون الطريق حتّى فتحها عضُد الدولة بن بُوَيْه، وقتل من بها[٦].

فلمّا صارت الدولة لملكشاه أقطعها الأمير أُنَر[٧]، فجعل بها دزْداراً، فأنفذ إليه الباطنية الذين بأرّجان يطلبون منه بَيْعها فأبى[٨]، فقالوا له: نحن نرسل إليك من يناظرك

---

(١) في (أ): «وسمكوه». وفي (ب): «وسيمكوه».
(٢) في (أ) و (ب): «بينهما».
(٣) في (ب): «أخذهما».
(٤) في (أ) و (ب): «بقلعة».
(٥) في الباريسية: «حلادحان»، وفي (ب): «خلاوخان».
(٦) في (أ) و (ب) زيادة: «قال».
(٧) في (أ) و (ب): «أنز».
(٨) في الأوربية: «فأبا».

حتّى يظهر لك الحقّ؛ فأجابهم إلى ذلك، فأرسلوا إليه إنساناً ديلميّاً يناظره، وكان للدزدار مملوك قد ربّاه، وسلّم إليه مفاتيح القلعة، فاستماله الباطنيّ، فأجابه إلى القبض على صاحبه، وتسليم القلعة إليهم. فقبض عليه، وسلّم القلعة[١] إليهم، ثم أطلقه، واستولوا بعد ذلك على عدّة قلاع هذه أشهرها[٢].

ذكر ما فعله جاولي سقاووا بالباطنيّة

في هذه السنة قتل جاولي سقاووا خلقاً كثيراً منهم.

وسبب ذلك أنّ هذا الأمير كانت ولايته للبلاد التي بين رامَهُرْمُز وأَرَّجان.

فلمّا ملك الباطنيّة القلاع المذكورة بخُوزِستان وفارِسَ، وعظُم شرّهم، وقطعوا الطريق بتلك البلاد، واقف جماعة من أصحابه، حتّى أظهروا الشغب عليه، وفارقوه، وقصدوا الباطنيّة، وأظهروا أنّهم معهم. وعلى رأيهم، فأقاموا عندهم حتّى وثقوا بهم.

ثم أظهر جاولي أنّ الأمراء بني بُرْسُق يريدون قصده وأخذ بلاده، وأنّه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم، والمسير إلى هَمَذان، فلمّا ظهر ذلك وسار قال مَن عند الباطنيّة من أصحابه [مِمّن] لهم الرأي: إنّنا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما[٣] معه من الأموال؛ فساروا إليه في ثلاثمائة من أعيانهم وصناديدهم، فلمّا التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم، ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر، صعدوا إلى الجبل وهربوا، وغنم جاولي ما معهم من دوابّ، وسلاح، وغير ذلك.

ذكر قتل صاحب كرمان الباطنيّ (وملك غيره)[٤]

كان تيرانشاه[٥] بن تورانشاه[٦] بن قاوَرت[٧] بك هو الذي قتل الأتراك الإسماعيليّة، وليسوا منسوبين[٨] إلى هذه الطائفة الباطنيّة، إنما نُسبوا إلى أمير اسمه

---

(١) حتى هنا في نسخة (أ).

(٢) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٣، المختصر ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.

(٣) في الباريسية: «ونأخذ ما».

(٤) من الباريسية.

(٥) ورد الاسم بعدّة صيَغ: «ديرانساه»، و «سيرانشاه»، و «بيرانشاه»، و «تيرانشي».

(٦) في (أ) و (ب): «مورانشاه».

(٧) في تاريخ الإسلام ٣٤: «قاروت».

(٨) في الأوربية: «منسوبون».

إسماعيل، وكانوا من أهل السُّنّة قتلَ منهم أَلفَيْ رجل صبراً، وقطع أيدي أَلفَيْن، ووفد[١] عليه إنسان يقال له: أبو زُرْعَةَ، كان كاتباً بخُوزستان، فحسّن له مذهب الباطنيّة، فأجاب إليه.

وكان عنده فقيه حنفيّ يقال له: أحمد بن الحسين البَلْخيُّ، كان مطاعاً في الناس، فأحضره عندَه ليلاً، وأطال الجلوس معه، فلمّا خرج من عنده أتبعه بمن قتله، فلمّا أصبح الناس دخلوا عليه، وفيهم صاحب جيشه، فقال لتيرانشاه: أيّها الملك من قتل هذا الفقيه؟ فقال: أنت شِحنة البلد، تسألني مَن قتله؟ فقال: أنا أعرف قاتله! ونهض من عنده، ففارقه في ثلاثمائة فارس، وسار إلى أصبهان (فأرسل في أثره أَلفَيْ فارس ليردّوه، فقاتلهم، وهزمهم، وسار إلى أصبهان)[٢]، وبها السلطان محمّد ومؤيّد الملك، فأكرمه السلطان، وقال: أنت والد الملوك.

وامتعض عسكر كَرمان بعد مسيره، واجتمعوا، وقاتلوه تيرانشاه، وأخرجوه عن مدينة بَرْدَسيرَ (التي هي مدينة كَرمان)[٢]، فلمّا فارقها اتّفق القاضي والجُند، وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك، وسار تيرانشاه إلى مدينة بُمّ من كَرمان، فحاربه أهلها ومنعوه منها، وفيها أمير يُعرف بمحمّد بهستون، فأرسل أرسلانشاه جَيْشاً حصروا القلعة، فقال محمّد بهستون لتيرانشاه: انصرف عنّي، فلستُ أرى الغدر بك، وأنا رجل مسلم، ومقامك عندي يؤذيني، وأُتّهم بك في ديني. فلمّا عزم على الخروج أرسل محمّد بهستون إلى مقدّم الجيش الذين يحاصرونهم يُعلمه بمسير تيرانشاه، فجرّد عسكراً إلى طريقه، فخرجوا عليه، وأخذوه وما معه، وأخذوا أيضاً أبا زُرْعة، فأرسل أرسلانشاه فقتلهما، وتسلّم جميع بلاد كَرمان[٣].

ذكر السبب في قتل بركيارُق الباطنيّة

لمّا اشتدّ أمر الباطنيّة وقويت شوكتهم، وكثُر عددهم، صار بينهم وبين أعدائهم ذحولٌ وإحنٌ، فلمّا قتلوا جماعة من الأمراء الأكابر، وكان أكثر من قتلوا مَنْ هو في طاعة محمّد، مخالفٌ للسلطان بركْيارُق، مثل شِحنة أصبهان سرمز، وأرغش، وكمش[٤] النظاميّين، وصهره، وغيرهم، نسب أعداء بركْيارُق ذلك إليه، واتّهموه بالميل إليهم.

---

(١) في الأوربية: «ونفق».
(٢) من الباريسية.
(٣) تاريخ الإسلام ٣٤.
(٤) في (أ) و (ب): «وكجمح».

فلمّا ظفر السلطان بركْيارُق، وهزم أخاه السلطان محمّداً، وقتل مؤيّدَ المُلك وزيره، انبسط جماعة منهم في العسكر، واستغووا كثيراً منهم، وأدخلوهم في مذهبهم، وكادوا يظهرون بالكثرة والقوّة، وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم، وزاد أمرهم، فصاروا يتهدّدون من لا يوافقهم بالقتل، فصار يخافهم من يخالفهم، حتى إنّهم لم يتجاسر أحدٌ منهم، لا أمير ولا متقدّمٌ، على الخروج من منزله حاسراً بل يلبس تحت ثيابه دِرعاً. حتّى إنّ الوزير الأعزّ أبا المحاسن كان يلبس زرَديّة تحت ثيابه، واستأذن السلطانَ بركْيارُق خواصُّه في الدُّخول[1] عليه بسلاحهم، وعرّفوه خوفهم ممّن يقاتلهم، فأَذِن لهم في ذلك.

وأشاروا على السلطان أن يفتك بهم قبل أن يعجز عن تلافي أمرهم، وأعلموه ما يتّهمه الناس به من الميل إلى مذهبهم، حتّى إنّ عسكر أخيه السلطان محمّد يشنّعون بذلك، وكانوا في المصافّ يكبّرون عليهم، ويقولون: يا باطنيّة، فاجتمعت هذه البواعث كلّها، فأذِن السلطان في قتلهم، والفتك بهم، وركب هو والعسكر معه، وطلبوهم، وأخذوا جماعةً من خيامهم ولم يفلت منهم إلاّ من لم يُعرف.

وكان ممّن اتُّهم بأنّه مقدّمهم الأمير محمّد بن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكوَيْه، صاحب يَزْد، فهرب، وسار يومه وليلته، فلمّا كان اليوم الثاني وُجد في العسكر قد ضلّ الطريق ولا يشعر، فقُتل، وهذا موضع المثل: أتتك بحائن رِجلاه، ونُهبت خيامُه، فوُجد عنده السلاح المعدّ، وأُخرج الجماعة المتّهمون إلى الميدان فقتلوا، وقتل منهم جماعة براء لم يكونوا منهم سعى بهم أعداؤهم، وفيمن قُتل ولد كيقباذ، مستحفظ تكريت، فلم يغيّر والده خطبة بركْيارُق، ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها، ونقض جامع البلد، وكان يقاربها، لئلاّ يؤتى منه، وجعل بيعةً في البلد جامعاً، وصلّى الناس فيه.

وكتب إلى بغداذ بالقبض على أبي إبراهيم الأسَدَاباذيّ الذي كان قد وصل إليها رسولاً من بركْيارُق ليأخذ مال مؤيّد المُلك، وكان من أعيانهم ورؤوسهم، فأُخذ وحُبس، فلمّا أرادوا قتله قال: هبوا أنّكم قتلتموني، أتقدرون على قتل مَن بالقلاع والمدن؟ فقُتل، ولم يصلّ عليه أحدٌ، وأُلقي خارج السور، وكان له ولد كبير قُتل بالعسكر معهم.

وقد كان أهل عانَةَ نُسبوا إلى هذا المذهب قديماً، فأُنهي حالهم إلى الوزير أبي

---

(١) في الأوربية: «الوخدل».

شجاع أيّام المقتدي بأمر الله، فأحضرهم إلى بغداذ، فسأل مشايخهم على الذي يقال فيهم، فأنكروا وجحدوا، فأطلقهم.

واتُّهم أيضاً إِلْكِيَّا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، بأنّه باطنيّ، ونُقل ذلك عنه إلى السلطان محمّد، فأمر بالقبض عليه، فأرسل المستظهر بالله من استخلصه، وشهد له بصحّة الاعتقاد، وعُلُوّ الدرجة في العلم، فأُطلق[١].

ذكر حصر الأمير بزغش[٢] قُهِستان وطَبَس

في هذه السنة جمع الأمير بزغش، وهو أكبر أمير مع السلطان سَنجَر، جموعاً كثيرة، وقوّاهم بالمال والسلاح، وسار إلى بلد الإسماعيليّة، فنهبه، وخرّبه، وقتل فيهم فأكثر، وحصر طَبَس، وضيّق عليها، ورماها بالمنجنيق، فخرّب كثيراً من سورها، وضعُف من بها، ولم يبقَ إلاّ أخذها، (فأرسلوا إليه الرِّشا الكثيرة، واستنزلوه عمّا كان يريده منهم)[٣]، فرحل عنهم وتركهم، فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها، وملأوها ذخائر من سلاح وأقوات وغير ذلك، ثم عاودهم بزغش سنة سبعَ وتسعين [وأربعمائة]، فكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ[٤].

ذكر ما ملك الفرنج من الشام

فيها سار كُنْدُفري[٥]، (ملك الفرنج)[٦] بالشام، وهو صاحب البيت المقدّس، إلى مدينة عكّة، بساحل الشام، فحصرها، فأصابه سهم فقتله، وكان قد عمّر مدينة يافا وسلّمها إلى قُمّص من الفرنج اسمه طَنكَري، فلمّا قُتل كُنْدُفري سار أخوه بَغْدَوين إلى البيت المقدّس في خمسمائة فارس وراجل، فبلغ الملك دُقاق، صاحب دمشق خبره، فنهض إليه في عسكره، ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه، فقاتله، فنُصِر على الفرنج.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٤، ٣٥٥، المختصر ٢/ ٢١٤، تاريخ الإسلام ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٦.

(٢) في (ب): «برغش».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ الإسلام ٣٥.

(٥) هو الدوق غودفري godfirey من مقاطعة بويّون Bouillon في بلجيكا. (قصة الحضارة لول ديورنت ٤/ ٢٠، ٢١).

(٦) من (أ) و (ب).

وفيها ملك الفرنج مدينة سَرُوج من بلاد الجزيرة، وسبب ذلك أنّ الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرُّها بمكاتبة من أهلها لأنّ أكثرهم أرمن، وليس بها من المسلمين إلاّ القليل، فلمّا كان الآن جمع سُقمان بسَروج جمعاً كثيراً من التركمان، وزحف إليهم، فلقوه وقاتلوه، فهزموه في ربيع الأوّل. فلمّا تمّت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج إلى سَروج، فحصروها وتسلّموها، وقتلوا كثيراً من أهلها، وسَبَوْا حريمَهم، ونهبوا أموالهم، ولم يسلم إلاّ من مضى منهزماً[1].

وفيها ملك الفرنج مدينة حَيْفا[2]، وهي بالقرب من عكّة على ساحل البحر، ملكوها عَنوةً، وملكوا أَرْسُوفَ بالأمان، وأخرجوا أهلها منها.

وفيها، في رجب، ملكوا مدينة قَيسارِيّة بالسيف، وقتلوا أهلها، ونهبوا ما فيها[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شهر رمضان، تقدّم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر، وأن يُصلّى فيه صلاة التراويح، ولم تكن جرت بذلك عادة، وأمر بالجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم، وهذا أيضاً لم تجْرِ به عادة، وإنّما تُرك الجهر بالبَسْملة في جوامع بغداد لأنّ العلويّين أصحاب مصر كانوا يجهرون بها، فتُرِك ذلك مخالفة لهم لا اتّباعاً لمذهب (أحمد الإمام)[4]، وأمر أيضاً بالقنوت على مذهب الشافعيّ، فلمّا كانت اللّيلة التاسعة والعشرون ختم في جامع القصر، وازدحم الناس عنده، وكان زعيم الرؤساء أبو القاسم عليُّ بن فخر الدولة بن جَهِير أخو عميد الدولة قد أُطلق من الاعتقال، فاختلط بالناس، وخرج إلى ظاهر بغداذ من ثلمةٍ في السور، وسار إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد، فاستقبله وأنزله وأكرمه[5].

---

(١) تاريخ حلب (زعرور) ٣٦٠ (سويم) ٢٦، ذيل تاريخ دمشق ٣٨، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٠، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣١، العبر ٣/٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، الإعلام والتبيين ١٢، ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٠.

(٢) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٥ و ٢٨/ ٢٦٠، العبر ٣/٣٣٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٦، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦، تاريخ الخلفاء ٤٢٨.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٠، المختصر ٢/ ٢١٤، العبر ٣/٣٨٨، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٣٧، الدرّة المضية ٤٥٣، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣٨، مرآة الجنان ٣/ ١٥٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٢٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٧.

(٤) في الباريسية: «أحد».

(٥) تاريخ حلب ٣٦١ (٢٦)، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٣٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٠.

[الوفَيات]

وفيها، في المحرّم، توفّي جمال الدولة أبو نصر[1] بن رئيس الرؤوساء بن المُسلمة، وهو أُستاذ دار الخليفة.

وفيه توفّي القاضي أحمد بن محمّد بن عبد الواحد أبو منصور بن الصبّاغ[2] الفقيه الشافعيّ، وأخذ الفقه عن ابن عمّه الشيخ أبي نصر بن الصبّاغ، وكان يصوم الدهر، وروى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ وغيره.

وفيه توفّي شرف الملك أبو سعد محمّد بن منصور المستوفي[3]، الخُوارزميُّ، بأصبهان، وكان مستوفياً في ديوان السلطان ملكشاه، فبذل مائة ألف دينار، حتّى ترك الاستيفاء، وبنى[4] مشهداً على قبر[5] أبي حنيفة، رحمة الله عليه، ومدرسةً بباب الطاق، ومدرسةً بمرو جميعها للحنفيين.

وفيها، في صفر، توفّي القاضي أبو المعالي عزيزي[6]، وكان شافعيّاً، أشعريّاً، وهو من جِيلان، وله مصنَّفات كثيرة حسنة، وكان ورعاً، وله مع أهل باب الأَزَج أخبار ظريفة، وكان قاضياً عليهم، وكان يُبغضونه (ويبغضهم).

وتوفّي أسعد[7] بن مسعود بن عليّ بن محمّد أبو إبراهيم العُتبيُّ من ولد عُتبة بن غَزْوَان. نَيسابوري[8]، وُلِد سنة أربعٍ وأربعمائة، وروى عن أبي بكر الحِيريّ[9] وغيره.

وتوفّي في صفر محمّد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمّد بن طوق أبو الفضائل الرَّبَعيُّ[10] الموصليُّ الفقيه الشافعيُّ؛ تفقّه على أبي إسحاق الشيرازيّ؛ وسمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ وغيره، وكان ثقةً صالحاً.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن المسلمة. (تاريخ الإسلام ـ وفيات ٤٩٤ هـ. ص ١٩٩ رقم ١٩٠).

(٢) انظر عن (ابن الصباغ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٧٨، ١٧٩ رقم ١٦٠، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (المستوفي) في: المنتظم ١٧/ ٧٢ رقم ٣٧١٩، والبداية والنهاية ١٢/ ١٦١.

(٤) في الأوربية: «وبنا».

(٥) في (أ) و (ب): «قبة».

(٦) انظر عن (عزيزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٠، ١٩١ رقم ١٧٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) انظر عن (أسعد) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٨٠ رقم ١٦٢ وفيه مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «بنيسابور».

(٩) في (أ): «الخيري».

(١٠) انظر عن (الربعي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٦، ١٩٧ رقم ١٨٦ وفيه مصادر ترجمته.

وتوفّي في ربيع الأوّل منها محمّد بن عليّ بن عُبيد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن وَدْعان[1] أبو نصر القاضي الموصليُّ، وهو صاحب «الأربعين الودعانيّة» وقد تكلّموا فيها، فقيل إنّه سرقها، وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشميّ، والغالب على حديثه المناكير.

وتوفّي فيها، في ربيع الأوّل، نصر بن أحمد بن عبد الله بن البَطِر[2] القاري أبو الخطّاب، ومولده سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، سمع ابن رزقوَيهِ وغيره، وصارت إليه الرحلة لعُلُوّ إسناده، وكان سماعه صحيحاً.

---

(١) أنظر عن (ابن ودعان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ١٩٩ ـ ٢٠١ رقم ١٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (ابن البطر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٤ هـ) ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧ رقم ١٩٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٩٥
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر بأحكام الله

في هذه السنة توفّي المستعلي بالله أبو القاسم أحمد بن مَعَدّ المستنصر بالله العلويُّ، الخليفة المصريُّ، لسبع عشرة خلتْ من صفر، وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستّين وأربعمائة، وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهريْن، وكان المدبّر لدولته الأفضل(١).

ولمّا توفّي وليَ بعده ابنه أبو عليّ المنصور، ومولده ثالث عشر المحرّم سنة تسعين وأربعمائة، وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه، وله خمس سنين وأربعة أيام، ولُقّب الآمر بأحكام الله، ولم يكن [بين] من تسمّى بالخلافة قطّ أصغر منه ومن المستنصر، وكان المستنصر أكبر من هذا، ولم يقدر [أن] يركب وحده على الفرس لصِغر سنّه، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام، ولم يزل كذلك يدبّر الأمر إلى أن قُتل سنة خمس عشرة وخمسمائة(٢).

ذكر الحرب بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد والصُّلح بينهما

في هذه السنة، في صفر، كان المصافّ الثالث بين السلطانين بركْيارُق ومحمّد.

قد ذكرنا سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] قدوم السلطان محمّد إلى بغداذ، ورحيل

---

(١) انظر عن (المستعلي بالله) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤١، وفي (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٠٩، ٢١٠ رقم ٢٠٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٤١، تاريخ مختصر الدول ٢٩٧، أخبار الدول المنقطعة ٨٧، المختصر ٢/ ٢١٥، الدرّة المضيّة ٤٦١، الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣.

السلطان بركْيارُق عنها إلى واسط مريضاً، فأقام السلطان محمّد ببغداذ إلى سابع عشر المحرّم من هذه السنة، وسار عنها هو وأخوه السلطان[1] سَنجَر عائدين إلى بلادهما[2]، وسَنجَر يقصد خُراسان[3]، والسلطان محمّد يقصد همَذان. فلمّا سار محمّد عن بغداذ وصلت الأخبار أنّ بركْيارُق قد اعترض خاصّ الخليفة بواسط[4] وسُمع منه في حقّ الخليفة ما يقبح نقلُه، فأرسل الخليفة وأعاد السلطانَ محمّداً إلى بغداذ، وذكر له ما نُقل إليه، وعزم على الحركة مع محمّد إلى قتال بركيارُق، فقال السلطان محمّد: لا حاجة إلى حركة أمير المؤمنين، فإنّي أقوم في هذا القيام المرضي. وسار عائداً، ورتّب ببغداذ أبا المعالي (المفضّل بن عبد الرزّاق في جباية الأموال وإيلغازي)[5] شِحنةً.

وكان لمّا دخل بغداذ قد خلّف عسكره بطريق خُراسان، فنهبوا البلاد وخرّبوها، فأخذهم السلطان محمّد معه، وجدّ السير إلى رُوذراور.

وأمّا السلطان بركْيارُق فقد تقدّم سنة أربع وتسعين [وأربعمائة] أنّه سار من بغداذ عند وصول محمّد إليها قاصداً إلى واسط، فلمّا سمع عسكر واسط بقربه منهم، خافوا منه، وأخذوا نساءَهم، وأولادهم، وأموالهم، وجمعوا السفن جميعها، وانحدروا إلى الزُّبَيدِيّة، فأقاموا هناك.

ووصل السلطان، وهو شديد المرض، يُحمل في محفّة، وقد هلك من دوابّ عسكره ومتاعهم الكثير، فإنّهم كانوا يجدّون السير خوفاً أن يتبعهم السلطان محمّد، أو الأمير صدقة، صاحب الحِلّة، فكانوا كلّما جازوا قنطرة هدموها، ليمتنع من يجتاز بها من اتّباعهم.

ولمّا وصلوا إلى واسط عُوفي بركْيارُق، ولم يكن له ولأصحابه همّة غير العبور من الجانب الغربيّ إلى الجانب الشرقيّ، فلم يجد[6] هناك سفينة، وكان الزمان شاتياً، شديد البرد، والماء زائداً[7]، وكان أهل البلد قد خافوهم، فلزِموا الجامع وبيوتهم، فخلت الطرق والأسواق من مجتازٍ فيها، فخرج القاضي أبو عليّ الفارقيّ إلى العسكر

---

(١) من الباريسية.
(٢) في الأوربية: «بلادهم».
(٣) في (أ) و (ب): «بلاده بخراسان».
(٤) من (أ) و (ب).
(٥) من (ب).
(٦) في (أ): «يجدوا».
(٧) في الأوربية: «زائد».

واجتمع بالأمير إياز، والوزير، واستعطفهما للخلق، وطلب إنفاذ[1] شِحنةٍ لتطمئنّ القلوب، فأجابوه إلى ملتمسه، وقالوا له: نريد أن تجمع لنا من يعبّر دوابنا في الماء، ونسبح[2] معها، فجمع لهم من شباب واسط، وأعطاهم الأجرة الوافرة، فعبّروا دوابّهم من الخيل والبغال والجمال، وكان الأمير إياز بنفسه يسوق الدوابّ، ويفعل ما يفعله الغلمان، ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداذ، فعبّروا أموالهم ورحالهم[3] فيها. فلمّا صاروا في الجانب الشرقيّ اطمأنّوا ونهب العسكر البلد، فرجع القاضي وجدّد الخطاب في الكفّ عنهم، فأُجيب إلى ذلك، فأرسل معه مَنْ يمنع من النهب.

ثم إنّ عسكر واسط أرسلوا إلى السلطان بركْيارُق يطلبون الأمان ليحضروا الخدمة فأمّنهم، فحضر أكثرهم عنده، وساروا معه إلى بلاد بني بُرسُق، فحضروا أيضاً عنده وخدموه، واجتمعت العساكر عليه.

وبلغه مسير أخيه محمّد عن بغداذ، فسار يتبعه على نَهاوند، فأدركه بروذراوَر، وكان العسكران متقاربَيْن في العدّة، كلّ واحد منهما أربعة آلاف فارس من الأتراك، فتصافّوا، أوّلَ يوم، جميع النهار، ولم يجْر بينهم قتال لشدّة البرد، وعادوا في اليوم الثاني، ثم تواقفوا كذلك، ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفّيْن فيخرج إليه من يقاتله، فإذا تقاربا اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، وسلّم عليه، ويعود عنه[4].

ثمّ خرج الأمير بلدجي[5] وغيره من عسكر محمّد إلى الأمير إياز والوزير الأعزّ، فاجتمعوا، واتّفقوا على الصلح، لما قد عمّ الناس من الضّرر، والملل، والوهن، فاستقرّت القاعدة أن يكون بركْيارُق السلطان، ومحمّد الملك، ويُضرب له ثلاث نُوَب، ويكون له من البلاد جَنْزَةُ وأعمالها، وأَذَرْبيجان، وديار بَكر، والجزيرة، والموصل، وأن يمدّه السلطان بركْيارُق بالعساكر، حتّى يفتح ما يمتنع عليه منها، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وانصرف الفريقان من المصافّ رابع ربيع الأوّل، وسار بركْيارُق إلى مرج

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (أ) و (ب): «ويسبح».
(٣) في الباريسية: «ورجالهم».
(٤) زبدة التواريخ ١٦٤، المختصر ٢/ ٢١٥، العبر ٣/ ٣٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، تاريخ الإسلام ٤٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٦ و ٥/ ٢٧.
(٥) في (أ) و (أ): «بلداجي».

قُراتكين قاصداً ساوة، والسلطان محمّد إلى أسداباذ، وتفرّق هذا المصافّ وقصد كلّ أمير أقطاعه[1].

ذكر الحرب بين السلطان بركيارُق ومحمّد وانفساخ الصلح بينهما

في هذه السنة، في جمادى الأولى[2]، كان المصافّ الرابع بين السلطان بركْيارُق وأخيه محمّد.

وكان سببه أنّ السلطان محمّداً سار من روذراوَر[3]، من الوقعة المذكورة، إلى أَسَدَاباذ، ومنها إلى قَزوين، ونسب الأمراء الذين سعوا في ذلك الصلح إلى المخامرة عليه، والتقاعد به، فوضع رئيس قَزوين أن يتوسّل إليه بأولئك الأمراء ليحضر[4] دعوته، فاستشفع الرئيس بهم إلى السلطان، فحضر دعوته، بعد أن امتنع، ووصّى خواصّه بحمل السلاح تحت أقبيتهم، وحضر الدعوة ومعه الأمير أيتكين، وبسمل[5]، فقتل الأميرَ بسمل[5]، (وهو من أكابر الأمراء)[6]، وكحل الأميرَ أيتكين.

وكان الأمير ينّال بن أنوشتكين الحُساميّ قد فارق بركْيارُقَ، وأقام مجاهداً للباطنيّة الذين في القلاع والجبال، فقصد الآن السلطان محمّداً، وسار معه إلى الرَّيّ يضرب النُّوَب الخمس، واجتمعت إليه العساكر، وأقام ثمانية أيّام، ووافاه أخوه السلطان بركْيارُق في اليوم التاسع، ووقع بينهما المصافّ عند الرَّيّ، وكانت عدّة العسكرَيْن متقاربة كلّ عسكر منهما عشرة آلاف فارس، فلمّا اصطفّوا حمل الأمير سُرخاب بن كَيخَسْرو الديلميُّ، صاحب أبَة[7]، على الأمير يَنّال، فهزمه، وتبَعه في الهزيمة جميع عسكر محمّد، وتفرّقوا، ومضى معظمهم نحو طَبَرِستان، ولم يُقْتَلْ في هذا المصافّ غير رجل واحد قُتل صبراً.

---

(١) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، تاريخ الإسلام ٤٢، دول الإسلام ٢/٢٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٦ و ٥/٢٧.

(٢) في (أ) و (ب) زيادة: «أيضاً».

(٣) في (أ) و (ب): «روذوار».

(٤) في (أ) و (ب): «ليحضروا».

(٥) في (أ): «بسمك»، وفي تاريخ ابن خلدون ٥/٢٨ «يشمك»، وفي تاريخ الإسلام ٤٢ «سمل»، وانظر دول الإسلام ٢/٢٤.

(٦) من (أ) و (ب).

(٧) في (أ) و (ب): «أوة».

ومضَى قطعة من المنهزمين نحو قَزوين، ونُهبت خزائن محمّد، ومضى في نفر يسير إلى أصبهان، وحمل هو عَلمه بيده ليتبعه أصحابه، وسار في طلبه الأمير ألْبكي بن برسق[1]، والأمير إياز إلى قُمّ، وتتبّع السلطان بركْيارُق أصحاب أخيه محمّد، وأخذ أموالهم[2].

ذكر حصار السلطان محمّد بأصبهان

لمّا انهزم السلطان محمّد من الوقعة التي ذكرناها بالريّ، مضى إلى أصبهان في سبعين فارساً، والبلد في حكمه، وفيه نائبه، ومعه من الأمراء الأمير ينّال، (وغيره من الأمراء)[3]، ودخل المدينة في ربيع الأوّل، وأمر بتجديد ما تشعّث من السور، وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكَوَيْه سنة تسع وعشرين وأربعمائة، عند خوفه من طُغْرُلْبك، وأمر محمّد بتعميق الخندق حتى صعِدَ الماء فيه، وسلّم إلى كلّ أمير باباً، وكان معه في البلد ألف ومائة فارس وخمس مائة راجل، ونصب المجانيق.

ولمّا علم السلطان بركْيارُق بمسير أخيه محمّد إلى أصبهان سار يتبعه، فوصلها[4] في جمادى الأولى، وعساكره كثيرة، تزيد على خمسة عشر ألف فارس، ومعها مائة ألف من الحواشي، وأقام يحاصر البلد، وضيّق عليه.

وكان السلطان محمّد يدور كلّ ليلة على سور البلد ثلاث دفعات، فلمّا زاد الأمر في الحصار، أخرج الضعفاء والفقراء من البلد، حتّى خلت المحالّ، وعُدمت الأقوات، وأكل الناس الخيل، والجِمال، وغير ذلك، وقلّت الأموال، فاضطرّ السلطان محمّد إلى أن يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالاً عظيماً، ثم عاود الجُندُ الطلب، فقسّط على أهل البلد شيئاً آخر، وأخذه منهم بالشدّة والعنف، ولم تزل الأسعار تغلو، حتّى بلغ عشرة أمنان[5] من الحنطة بدينار، وأربعة أرطال لحماً بدينار، وكلّ مائة رطل تبناً بأربعة دنانير، ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطالب.

وكانت الأسعار، في عسكر بركْيارُق، رخيصةً، فبقي الحصار على البلد إلى عاشر

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٤، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، دول الإسلام ٢/٢٤، ٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣.

(٣) من (ب).

(٤) في (أ) و (ب): «فوصل إليها».

(٥) في الأوربية: «أمنا».

ذي الحجّة، فلمّا رأى السلطان محمّد أنّه لا قدرة له على الدفع عن البلد، وكلّما جاء أمره يضعف، قوّى عزمه[1] على مفارقته وقصْد جهةٍ أخرى، يجمع فيها العساكر، ويعود يدفع الخصم عن الحصار، فسار عن البلد في مائة وخمسين فارساً، ومعه الأمير ينّال، واستخلف بالبلد جماعة من الأمراء الكبار في باقي العسكر، فلمّا فارق العسكرَ والبلد لم يكن في دوابّهم ما (يدوم على السير)[2]، لقلّة[3] العلف في الحصار، فنزل على ستّة فراسخ.

فلمّا سمع بركْيارُق بمسيره سيّر وراءه الأمير إياز في عسكر كثير، وأمره بالجدّ في السّير في طلبه، فقيل: إنّ محمّداً سبقهم، فلم يدركوه، فرجعوا، وقيل: بل أدركوه، فأرسل إلى الأمير إياز يقول: أنت تعلم أنّني[4] لي في رقبتك عهود وأيمان ما نُقِضَتْ، ولم يكن منّي إليك ما تبالغ في أذاي. فعاد عنه، وأرسل له خَيْلاً، وأخذ علَمَه، والجَتَر، وثلاثة أحمال دنانير، وعاد إلى بركْيارُق، فدخل إليه، وأعلام أخيه السلطان محمّد منكوسة، فأنكر بركْيارُق ذلك، وقال: إن كان قد أساء، فلا ينبغي أن يعتمد معه هذا. (فأخبره الخبر)[5]، فاستحسن ذلك منه.

فلمّا فارق محمّد أصبهان اجتمع من المفسدين، والسواديّة، ومن يريد النهب، ما يزيد على مائة ألف فارس، وزحفوا إلى البلد بالسلاليم، والدّبّابات، وطمّوا الخندق بالتبن، والتصقوا بالسور، وصعِد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد [أن] يحمي حريمه وماله، فعادوا خائبين، فحينئذٍ أشار الأمراء على بركْيارُق بالرحيل، فرحل ثامن عشر ذي الحجّة من السنة، واستخلف على البلد القديم، الذي يقال له شَهْرِسْتان، ترشك الصوابيَّ في ألف فارس مع ابنه ملكشاه، وسار إلى همَذان؛ وكان هذا من أعجب ما سُطر أنّ سلطاناً محصوراً قد تقطّعت موادّه، وهو يُخْطَب له في أكثر البلاد، ثم يخلص من الحصر الشديد، وينجو من العساكر الكثيرة التي كلّها قد شرع إليه رُمحه، وفوّق إليه سهمه[6].

---

(١) في الباريسية: «أمر».

(٢) في الباريسية: «يدفع».

(٣) في الأوربية: «العلة».

(٤) في الباريسية و ب: «أن».

(٥) من (أ).

(٦) نهاية الأرب ٢٦/٣٤٩، ٣٥٠، المختصر ٢/٢١٥، العبر ٣/٣٤٠، دول الإسلام ٢/٢٥، تاريخ الإسلام ٤٢، ٤٣، تاريخ ابن الوردي ٢/١٣، البداية والنهاية ١٢/١٦٢، ١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٧ و ٥/٢٨.

ذكر قتل الوزير الأعزّ ووزارة الخطير أبي منصور

في هذه السنة، ثاني عشر صفر، قُتل الوزير الأعزّ أبو المحاسن عبد الجليل بن محمّد الدِّهِسْتانيُّ، وزير السلطان بركْيارُق على أصبهان، وكان مع بركْيارُق محاصراً لها، فركب هذا اليوم من خيمته إلى خدمة السلطان، فجاء شابٌّ أشقر، قيل: إنّه كان من غلمان أبي سعيد الحدّاد، وكان الوزير قتله في العام الماضي، فانتهز الفرصة فيه، وقيل: كان باطنيّاً، فجرحه عدّة جراحات، (فتفرّق أصحابه عنه، ثم عادوا إليه، فجرح أقربهم منه جراحات)[1]، أثخنته، وعاد إلى الوزير فتركه بآخر رمق[2].

وكان كريماً، واسع الصدر، حسن الخُلُق، كثير العمارة، ونفر الناس منه لأنّه دخل في الوزارة، وقد تغيّرت القوانين، ولم يبقَ دخلٌ ولا مال، ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه.

وكان حسن المعاملة مع التجّار، فاستغنى به خَلق كثير، فكانوا يسألونه ليعاملهم، فلمّا قُتل ضاع منهم مال كثير.

حُكي أنّ بعض التجّار باعه متاعاً بألف دينار، فقال له: خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرّاً، كلّ كرّ بعشرين ديناراً؛ فامتنع التاجر من أخذها، وقال: لا أريد غير الدنانير. فلمّا كان من الغد دخل إليه التاجر، فقال له: يُهنئك، يا فلان! فقال: وما هو؟ قال: خبر حنطتك؛ فقال: ما لي حنطة، ولا أريدها؛ قال: بلى، وقد بيعت كلّ كرّ بخمسين ديناراً؛ فقال: أنا لم أتقبّل بها! فقال الوزير: ما كنتُ أفسخ عقداً عقدتُهُ. قال: فخرجتُ، وأخذتُ ثمن الحنطة ألفَيْن وخمسمائة دينار، وأضفتُ إليها مثلها وعاملته، فقُتل فضاع الجميع.

وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء، واختصّ به إنسان كيميائيّ، فكان يَعِده الشهرَ بعد الشهر، والحَوْلَ بعد الحَوْل، وقال له بعض أصحابه، وقد أحاله عليك بكرّ حنطة، فاستزاده: لو كان صادقاً في عمله، لما كان يستزيد من القدر القليل؛ وقُتل ولم يصحّ له منه[3] شيء.

ولمّا قتل الأعزّ أبو المحاسن وَزَر بعده الوزير الخطير أبو منصور المَيْبُذيُّ الذي كانَ وزير السلطان محمّد.

---

(١) من (أ) و (ب).
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٥ هـ) ص ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٧ و ٥/ ٢٨.
(٣) من (أ) و (ب).

وكان سبب فراقه لوزارة محمّد أنّه كان معه بأصبهان، وبركْيارُق يحاصره، وقد سلّم إليه محمّدٌ باباً من أبوابها ليحفظها، فقال له الأمير يَنَال بن أنوشتكين: كنتَ قد كلّفتَنَا[1]، ونحن بالريّ، لنقصد همذان، وقلتَ: أنا أقيم بالعسكر من مالي، وأحصل لهم ما يقوم بهم، ولا بدّ من ذلك. فقال له الخطير: أنا أفعل ذلك. فلمّا كان اللّيل فارق البلد، وخرج من الباب الذي كان مُسَلَّماً إليه، وقصد بلده مَيْبُذ، وأقام بقلعتها متحصّناً، فأرسل إليه السلطان بركْيارُق وحصره، فنزل منها مستأمناً، فحُمل على بغلٍ بإكافٍ إلى العسكر، فوصله في طريقه قَتْل الوزير الأعزّ، وكتاب السلطان له بالأمان، وطُيّب قلبه، فلمّا وصل إلى العسكر خلع عليه واستوزره[2].

حادثة يُعْتَبَر بها

في سنة ثلاثٍ وتسعين [وأربعمائة] بيع رحلُ بني جَهِير ودُورهم بباب العامّة، ووصل ثمن ذلك إلى مؤيّد المُلك، ثمَّ قُتِل في سنة أربعٍ وتسعين مؤيّد المُلك، وبِيع ماله وبَركه، وأُخذ الجميع إلى الوزير الأعزّ، وقُتل الوزِير الأعزّ، هٰذه السنَة، وبِيع رَحْله، واقتُسمت أمواله، وأخذ السلطان ومن وليَ بعده أكثرها، وتفرّقت أيدي سبا، وهذا عاقبة خدمة الملوك.

ذكر الفتنة بين إيلغازي وعامّة بغداذ

في هذه السنة، في رجب، كانت فتنة شديدة بين عسكر الأمير إيلغازي بن أُرتُق، شِحنة بغداذ، وبين عامّتها.

وسببها أنّ إيلغازي كان بطريق خُراسان، فعاد إلى بغداذ. لمّا وصل أتى جماعة من أصحابه إلى دجلة، فنادوا ملاّحاً ليعبر بهم، فتأخّر، فرماه أحدهم بنشّابة، فوقعت في مَشْعره فمات، فأخذ العامّة القاتل، وقصدوا باب النُّوبي، فلقيهم ولد إيلغازي مع جماعة، فاستنقذوه، ورجمهم العامّة بسوق الثلاثاء، فمضى إلى أبيه مستغيثاً، فأخذ حاجبُ الباب من له في هذه الحادثة عملٌ فلم يُقنع إيلغازيَ ذلك، فعبر بأصحابه إلى محلّة الملاّحين، المعروفة بمربّعة القطّانين، ويتبعهم خلق كثير، فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه، فعطف عليهم العيّارون فقتلوا أكثرهم.

ونزل من سَلِم في السفن ليعبروا دجلة، فلمّا توسّطوها ألقَى الملاّحون أنفسهم في

---

(١) في (أ) و (ب): «كاتبتنا».

(٢) زبدة التواريخ ١٦٦، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٦ ـ ١١٤، تاريخ الإسلام ٤٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٢٨.

الماء وتركوهم فغرقوا، فكان الغريق أكثر من القتيل، وجمع إيلغازي التركمان، وأراد نهب الجانب الغربيّ، فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة، والكيا الهرّاس، المدرّس بالنظاميّة، فمنعاه من ذلك، فامتنع[١].

ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها

في هذه السنة، في العشرين من شوّال، قصد الأمير إسماعيل، صاحب البصرة، مدينة واسط للاستيلاء عليها.

ونحن نبتدىء بذِكر إسماعيل، وتنقّل الأحوال به إلى أن ملك البصرة، وهو إسماعيل بن سلانجق، وكان إليه في إيّام ملكشاه شِحنكيّة الريّ، ولمّا وليها كان أهل الريّ والرُّستاقيّة قد أعيَوا مَنْ وليهم، وعجز الوُلاة عنهم، فسلك معهم طريقاً أصلحهم بها، وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذّبوا بها، وأرسل مِن شعورهم إلى السلطان ما عمل منه مقاودَ وشُكُلاً للدوابّ، ثم عُزل عنها.

ثمّ إنّ السلطان برگيارُق أقطع البصرة للأمير قماج، فأرسل إليها هذا الأمير إسماعيل نائباً عنه، فلمّا فارق قماج برگيارُق، وانتقل إلى خُراسان، حدّثته نفسه بالتغلّب على البصرة، والاستبداد، فانحدر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[٢] من البطيحة إليه ليحاربه، ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الأسَديّ، صاحب الجزيرة الدُّبيسيّة، فأقبلا في جَمْعٍ كثير من السفن والخيل، ووصلوا إلى مَطّارَا.

فبينما معقل يقاتل قريباً من القلعة التي بناها ينّال بمَطّارَا، وجدّدها إسماعيل وأحكمها، أتاه سهم غَربٍ فقتله، فعاد ابن أبي الجبر إلى البطيحة، وأخذ إسماعيل سفنه، وذلك سنة إحدى وتسعين [وأربعمائة]، فاستمدّ ابن أبي الجبر كوهرائين، فأمدّه بأبي الحسن الهَرَويّ، وعبّاس بن أبي الجبر، فلقياه، فكسرهما، وأسرهما، وأطلق عبّاساً على مال أرسله أبوه، واصطلحا.

وأمّا الهرويّ فبقي في حبسه مدّةً، ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار، فلم يصحّ له منها شيء.

وقوي حال إسماعيل، فبنى[٣] قلعة بالأُبُلّة، وقلعة بالشاطىء مقابل مَطّارَا، وصار

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٥، ٤٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٧، ٤٨٨.

(٢) في (أ): «الخير».

(٣) في الأوربية: «فبنا».

مخوفَ الجانب وأمن البصريّون به، وأسقط شيئاً من المكوس، واتّسعتْ إمارته باشتغال السلاطين، وملك المَشَان، واستضافها إلى ما بيده.

فلمّا كان هذه السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم إليه، فقوي طمعه في واسط، فأصعد في السفن إلى نَهْرَابان[1]، وراسلهم في التسليم، فامتنعوا من ذلك، وقالوا: راسلناك، وقد رأينا غير ذلك الرأي. فأصعد إلى الجانب الشرقيّ، فخيّم تحت النخيل، وسفنه بين يديْه، وخيّم جُند واسط حِذاءه، وراسلهم، ووعدهم، وهم لا يجيبونه[2].

واتّفقت العامّة مع الجُند، وشتموه أقبح شتم، فلمّا أيس منهم عاد إلى البصرة، وساروا بإزائه من الجانب الآخر، فوصل إلى العَمَر، وعبّر طائفة من أصحابه فوق البلد، وهو يظنّ أنّ البلد خالٍ[3]، وأنّ الناس قد خرجوا منه، لمّا رأى كثرة مَن بإزائه، فيوقع الحريق في البلد، فإذا رجع الأتراك عاد هو من ورائهم، فكان ظنّه خائباً لأنّ العامّة كانوا على دجلة، أوّلهم في البلد، وآخرهم مع الأتراك بإزائه[4].

فلمّا عبر أصحابه عاد الأتراك عليهم، ومعهم العامّة، فقتلوا منهم ثلاثين رجلاً، وأسروا خلقاً كثيراً، وألقى الباقون أنفسهم في الماء، فأتاه من ذلك مصيبة لم يظنّها، وصار[5] أعيان أصحابه مأسورين، وعاد إلى البصرة، وكان عوده من سعادته، فإنّه كان قد قصد الأمير أبو سعد محمّد بن مُضَر بن محمود[6] (البصرة ذلك الوقت)[7]، وله أعمال واسعة، منها: نصف عُمان، وجَنّابَة، وسِيراف، وجزيرة بني نَفِيس.

وكان سبب قصده إيّاها أنّه كان قد صار مع إسماعيل إنسان يُعرف بجعفرك، وآخر اسمه زنجوَيْه، والثالث بأبي الفضل الأبُلّيّ، فأطمعوه في أن يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلةً في البحر إلى أبي سعد هذا وغيره، فعمل نيّفاً وعشرين قطعةً، فلمّا علم أبو سعد الحال، أرسل جماعة كثيرة من أصحابه في نحو خمسين قطعة، فأتوا إلى دجلة البصرة، وذلك في السنة الخالية، فأقاموا بها محاربين[8]، وظفروا بطائفة من أصحاب إسماعيل،

---

(١) في (أ) و (ب): «نهراجان».
(٢) في (أ) و (ب): «يحسرونه»، وفي (أ): «العلّه يخشونه».
(٣) في الأوربية: «خالياً».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «فتوقع الحريق في البلد».
(٥) في (أ) و (ب): «وعاد».
(٦) في الباريسية: «محمويه».
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ): «غارتين»، و (ب): «غاريين».

وقتلوا صاحب قلعة الأُبُلّة، وكاتبوا بني بُرسُق[1] بخُوزستان يطلبون أن يرسلوا عسكراً ليساعدوهم على أخذ البصرة، فتمادى الجواب، وركن الطائفتان إلى الصلح، على أن يسلّم إليهم إسماعيل جعفرك ورفيقه، ويُقطعهم مواضع ذكروها من أعمال البصرة.

فلمّا رجعوا لم يفعل شيئاً من ذلك، وأخذ مركبَيْن لقوم من أصحاب أبي سعد، فحمله ذلك على أن سار بنفسه في قطعٍ كثيرة تزيد على مائة قِطعة بين كبيرة وصغيرة، ووصل إلى فوهة نهر الأُبُلّة.

وخرج عسكر إسماعيل في عدّة مراكب، ووقع القتال بينهم، وكان البحريّون في نحو عشرة آلاف، وإسماعيل في سبعمائة، وأصعد البحريّون في دجلة، فأحرقوا عدّة مواضع، وتفرّق عسكر إسماعيل، فبعضه بالأُبُلّة، وبعضه بنهر الدَّيْر، وبعضه في مواضع أُخر.

فلمّا ضعُف إسماعيل عن مقاومة أبي سعد طلب من وكيل[2] الخليفة، على ما يتعلّق بديوانه من البلاد، أن يسعى في الصلح، فأرسل إليه في ذلك، فأعاد الجواب يذكر قُبح ما عامله به إسماعيل مرّة بعد أخرى، وتكرّرت الرسائل بينهم، فأجاب إلى الصُّلح، فاصطلحا، واجتمعا، وعاد أبو سعد إلى بلاده، وحمل كلّ واحد منهما لصاحبه هديّة جميلة.

ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانيّ الموصل وجكرمش بعده وملك سُقمان الحصن

في هذه السنة، في ذي القعدة، تُوفّي قوام الدولة كربوقا[3]، عند مدينة خُوَيّ، وكان السلطان بركيارُق قد أرسله في العام الماضي إلى أَذَربيجان، كما ذكرناه، فاستولى على أكثرها، وأتى إلى خُوَيّ، فمرض بها ثلاثة عشر يوماً، وكان معه أَصْبَهْبَذْ صباوة بن خُمارتكِين، وسُنْقُرْجَهْ، فوصّى إلى سُنْقُرْجَهْ، وأمر الأتراك بطاعته، وأخذ له على عسكره العهد، ومات على أربعة فراسخ من خُوَيّ، ولُفّ في زليّة لعدم ما يكفّن فيه ودُفن بخُوَيّ.

وسار سُنْقُرْجَهْ وأكثر العسكر إلى الموصل فتسلّمها، فأقام بها ثلاثة أيام، وكان

---

(١) في (أ): «برشق».

(٢) في (أ) و (ب): «ديوان».

(٣) يرد بعدّة صِيَغ: «كبربوقا»، و «كربوغا» و «كربوقا».

أعيان الموصل قد كاتبوا موسى التركمانيّ، وهو بحصن كِيفا ينوب عن كربوقا فيها، وسألوه أن يبادر إليهم ليسلّموا إليه البلد، فسار مجدّاً، فسمع سُنْقرجَهْ بوصوله، فظنّ أنّه جاء إليه خدمةً له، فخرج ليستقبله في أهل البلد، فلمّا تقاربا نزل كلّ واحد منهما لصاحبه عن فرسه، واعتنقه، وبكيا على قوام الدولة، فتسايرا[١].

فقال سُنْقُرْجَهْ لموسى في جملة حديثه: أنا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا المخدّة؛ والمنصبُ، والأموال، والولايات لكم وبحكمكم.

فقال موسى: مَنْ نحن حتّى يكون لنا مناصب ودسوتٌ؟ الأمرُ في هذا إلى السلطان يرتّب فيه من يريد، ويولّي من يختار.

وجرى بينهما محاوراتٌ، فجذب سُنْقُرْجَهْ سيفه وضربه صفحاً على رأسه فجرحه، فألقى موسى نفسه إلى الأرض، وجذب سُنْقُرْجَهْ فألقاه إلى الأرض، وكان مع موسى ولد منصور بن مروان الذي كان أبوه صاحب ديار بكر، فجذب سكّيناً وضرب بها رأس سُنْقُرْجَهْ فأبانه، ودخل موسى البلد، وخلع على أصحاب سُنْقُرْجَهْ، وطيّب نفوسهم فصارت الولاية له.

ولمّا سمع شمس الدولة جكرمِش، صاحب جزيرة ابن عُمَر، الخبر قصد نَصِيبين وتسلّمها، وسار موسى قاصداً إلى الجزيرة، فلمّا قارب جكرمِشَ غدر بموسى عسكره، وصاروا مع جكرمِش، فعاد موسى إلى الموصل، وقصده جكرمِش، وحصره مدّةً طويلة، فاستعان موسى بالأمير سقمان بن أُرتُق، وهو يومئذٍ بديار بكر، وأعطاه حصن كِيفا وعشرة آلاف دينار، فسار سُقْمان إليه، فرحل جكرمِش عنه.

وخرج موسى لاستقبال سُقمان، فلمّا كان موسى عند قرية تسمّى كَرَاثا، وثب[٢] عليه عدّة من الغلمان القواميّة، فقتلوه: رماه أحدهم بنشّابة فقتله، فعاد أصحابه منهزمين، ودُفن على تلّ هناك يُعرف الآن بتلّ موسى، ورجع الأمير سُقمان إلى الحصن، فملكها وهي بيد أولاده إلى يومنا هذا، سنة[٣] عشرين وستّمائة، وصاحبها حينئذٍ غازي[٤] بن قُرا أرسلان بن داود بن سُقمان بن أُرتُق.

---

(١) من الباريسية.
(٢) في الأوربية: «فوثب».
(٣) في (أ) و (ب) زيادة: «خمس و».
(٤) في (أ): «محمود بن محمد»، وفي (ب) زيادة: «ابن».

وقصد جكرمِش الموصل وحصرها أياماً، ثم تسلّمها صُلحاً، وأحسن السّيرة فيها، وأخذ القواميّة الذين قتلوا موسى، فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور، وملك العرب والأكراد، فأطاعوه[1].

ذكر حال صَنْجيل الفرنجيّ وما كان منه في حصار طرابلس

كان صَنْجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد لقي قِلج أرسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش، صاحب قونية، وكان صَنجيل في مائة ألف مقاتل، وكان قِلج أرسلان في عددٍ قليل[2]، فاقتتلوا، فانهزم الفرنج وقُتل منهم كثير، وأُسر كثير، وعاد قِلج أرسلان بالغنائم، والظَّفَر الذي لم يحسبه.

ومضى صَنْجيل مهزوماً في ثلاثمائة، فوصل إلى الشام، فأرسل فخر المُلك[3] بن عمّار صاحب طرابلس، إلى الأمير ياخز[4]، خليفة جناح الدولة على حمص، فإلى الملك دُقاق بن تُتُش، يقول: من الصواب أن يعاجِل صَنْجيل إذا[5] هو في هذه العدّة القريبة؛ فخرج الأمير ياخز[4] بنفسه، وسيّر دُقاق أَلفَيْ مقاتل، وأتتهم الأمداد[6] من طرابلس، فاجتمعوا على باب طرابلس، وصافّوا صَنْجيل هناك، فأخرج مائة من عسكره إلى أهل طرابلس، ومائة إلى عسكر دمشق، وخمسين إلى عسكر حمص، وبقي هو في خمسين.

فأمّا عسكر حمص فإنّهم انكسروا عند المشاهدة، وولّوا منهزمين، وتبعهم عسكر دمشق.

وأمّا أهل طرابلس فإنّهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم، فلمّا شاهد ذلك صَنْجيل حمل في المائتَيْن الباقيتين، فكسروا أهل طرابلس، وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل، ونازل صَنْجيل طرابلس وحصرها.

---

(١) التاريخ الباهر ١٦، الروضتين ١/ ٦٧، المختصر ٢/ ٢١٥، تاريخ الإسلام ٤٦، ٤٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٠.

(٢) في (أ) و (ب): «يسير»، وفي الباريسية: «قسريب».

(٣) في (أ) و (ب): «الدولة».

(٤) في الباريسية: «ناجر».

(٥) في (أ) و (ب): «أن».

(٦) في (أ) و (ب): «الأمراء».

وأتاه أهل الجبل فأعانوه على حصارها، وكذلك أهل السواد، وأكثرهم نصارى، فقاتل من بها أشدّ قتال، فقُتل من الفرنج ثلاثمائة، ثم إنّه هادنهم على مال وخيل، فرحل عنهم إلى مدينة أنطَرسُوسَ، وهي من أعمال طرابلس، فحصرها، وفتحها، وقتل من بها من المسلمين، ورحل إلى حصن الطُّوبان[1]، وهو يقارب رَفَنِيَّة، ومقدّمه يقال له ابن العريض، فقاتلهم، فنُصر عليه أهل الحصن، وأسر ابن العريض منه فارساً من أكابر فرسانه، فبذل صَنْجيل في فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير، فلم يُجِبْه ابن العريض إلى ذلك[2].

---

(١) في الباريسية: «المصوبان».

(٢) هذا الخبر يستدعي التوقف لأمرين، الأول: أن الموقعة ربّما جرت عند أنطرطوس وليس طرابلس. والثاني: تغلّب خمسين من الإفرنج على ألفين من العسكر الحمصي، وتغلّب مائة آخرين على عسكر دمشق، ثم تغلّب مائتين من الافرنج على عسكر طرابلس وقتل سبعة آلاف رجل؟
يقول ابن العبري: «وكان سان جيل في طرسوس، وبلغ العرب أن جنوده قليلون، فأجمعوا على مبارزته وأقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص، ولم يكن مع سان جيل إلا ثلاثمائة فارس لا غير، وجّه المائة منهم نحو الدماشقة، والمائة نحو الطرابلسيين، والخمسين نحو الحمصيّين، وأبقى الخمسين لمؤآزرته. ولمّا التقى الصفّان لاذ الحمصيون والدمشقيّون بالفرار نحو الجبال، وكانوا أكثر من خمسة آلاف، وظلّ الطرابلسيّون وهم ثلاثة آلاف، فشدّ عليهم سان جيل في من معه وهم خمسون، وطحطحهم، وتتبّع المنهزمين، وقتل من العرب نحو سبعة آلاف، وغادر قيليقية إلى طرابلس وشدّ عليها واحتلّ أنطرطس وفتك بكلِ من بها من العرب. ودوّخ عدّة قلاع». (تاريخ الزمان ١٢٧).
ويذكر كلٌ من «ابن القلانسي» و «سبط ابن الجوزي» أن القتال مع الإفرنج كان عند أنطرطوس وليس عند طرابلس. وقد جاء عند ابن القلانسي:
«ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الإفرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي، ويستغيث بهم، فأجيب إلى ما التمس، ونهض العسكر نحوه، وقد استدعى الأمير جناح الدولة صاحب حمص، فوصل أيضاً في عسكره، فاجتمعوا في عدد وافر وقصدوا ناحية أنطرطوس، ونهد الفرنج إليهم في جمعهم وحشدهم، وتقارب الجيشان والتقيا هناك، فانفلّ عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقُتل منهم الخلق الكثير، وقفل من سلم إلى دمشق وحمص بعد فقْد من فُقِد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة». (ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، ١٤١، مرآة الزمان ج ١٢/ ق ٣/ ورقة ٢٤٦أ).
وجاء في (تاريخ ابن الراهب ٧٢) إنه كان مع جند المسلمين «جُند حلب».
وجاء في (الإعلام والتبيِّين ١٤) أن صنجيل وصل إلى بلاد الشام في ثلاثمائة ألف وحاصر طرابلس! وأقول: هذا وهْم.
وانظر نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦١، ٢٦٢، والمختصر ٢/ ٢١٦، وتاريخ الإسلام ٤٨، ٤٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، وكتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري (ط ٢) ج ١/ ٤٠٢ ـ ٤٠٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٠٥ ـ ٢٠٨ وفيه مناقشة للموضوع.

ذكر ما فعله الفرنج

في هذه السنة أطلق الدَّانِشمَنْدُ بيمندَ الفرنجيَّ، صاحب أنطاكية، وكان قد أسره، وقد تقدّم ذكر ذلك، وأخذ منه مائة ألف دينار، وشرط عليه إطلاق ابنة ياغي[1] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وكانت في أسره.

ولمّا خلص بيمُنْد من أسره عاد إلى أنطاكية، فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقرّ حتى أرسل إلى أهل العواصم وقِنَّسْرِينَ وما جاورها يطالبهم بالإتاوة، فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشِمَنْد.

وفيها سار صَنْجيل إلى حصن الأكراد فحصره، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطنيٌّ بالمسجد الجامع، فقيل: إنّ الملك رضوان ربيبه وضع عليه مَن قتله، فلمّا قُتل صبّح صَنْجيل حمص من الغد، ونازلها، وحصر أهلها، وملك أعمالها.

ونزل القُمّص على عكّة في جمادى الآخرة، وضيّق عليها، وكاد يأخذها، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج، وكان له في البحر ستّ عشرة قطعة، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل، وأتوا إلى منجنيقاتهم، وأبراجهم[2]، فأحرقوها، وأحرقوا سفنهم أيضاً، وكان ذلك نصراً عجيباً أذلّ الله به الكفّار[3].

وفيها صار القُمّص الفرنجيُّ، صاحب الرُّها، إلى بيروت من ساحل الشام، وحصرها وضايقها، وأطال المقام عليها، فلم يرَ فيها طمعاً فرحل عنها[4].

وفيها، في رجب، خرجت عساكر مصر إلى عَسْقَلان ليمنعوا الفرنج عمّا بقي في أيديهم من البلاد الشاميّة، فسمع بهم بردويل، صاحب القدس، فسار إليهم في سبعمائة فارس، وقاتلهم، فنصر الله المسلمين، وانهزم الفرنج، وكثُر القتل فيهم، وانهزم بردويل، فاختفى في أَجَمَة قصب، فأُحرقت تلك الأَجَمَة، ولحقت النار بعض جسده[5]، ونجا منها إلى الرَّملة، فتبِعه المسلمون، وأحاطوا به فتنكّر[6]، وخرج منها إلى يافا، وكثُر القتل والأسر في أصحابه.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٣٤٥: «باغي»، وفي الباريسية: «ناغي».

(٢) من (ب)، وفي (أ): «وأبراجتهم».

(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٣٤٥، لمختصر ٢/ ٢١٦، تاريخ الإسلام ٤٩، ٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، الإعلام والتبيين ١٤.

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٠، دول الإسلام ٢/ ٢٥، تاريخ الإسلام ٥٠، الإعلام والتبيين ١٤.

(٥) في (ب): «جنده».

(٦) في (أ) و (ب): «فسار».

ذكر عَود قلعة خُفْتِيذْ كان[1] إلى سُرخاب بن بدر

في هذه السنة عادت قلعة خُفْتِيذْ كانَ[1] إلى الأمير سُرخاب بن بدر بن مهلهِل.

وكان سبب أخذها منه أنّ القرابلي، وهو من (قبيل من)[2] التركمان يقال لهم سَلغُر، كان قد أتى إلى بلد سُرخاب، فمنعه من المراعي، وقتل جماعة من أصحابه، فمضى قرابلي إلى التركمان، واستجاش بهم، وجاء في عسكر كثير، فلقِيه سُرخاب وقاتله، فقتل قرابلي من أصحابه الأكراد قريباً من ألفَيْ رجل، وانهزم سُرخاب إلى بعض جباله في عشرين رجلاً.

فلمّا سمع المستحفظان بقلعة خُفْتِيذْ كانَ ذلك، وكانا رجلَيْن حدّثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها، وكان بها ذخائره، وأمواله، وقدرها يزيد على ألفَيْ ألف دينار، فتملّكاها، واجتاز بها السلطان برْكيارُق، فأنفذا إليه مائتَيْ ألف دينار، واستولى التركمان على جميع بلاد سُرخاب بن بدر، سوى دَقُوقا وشَهْرَزور، فلمّا كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظَيْن الآخَر، وأرسل إلى سُرخاب يطلب منه الأمان ليسلّم إليه القلعة، فأمّنه على نفسه، وعلى ما حصل بيده من أموالها، فسلّمها إليه ووفى[3] له.

ذكر قتل قدرخان صاحب سَمَرْقَنْد

قد ذكرنا قبل قُدوم الملك سَنجَر مع أخيه السلطان محمّد إلى بغداذ وعوده[4] إلى خُراسان، فلمّا وصل إلى نَيسابور خطب لأخيه محمّد بخُراسان جميعها، ولمّا كان ببغداذ طمع قدرخان جبريل بن عمر، صاحب سَمَرْقَنْد، في خُراسان لبعده عنها، وجمع عساكر تملأ الأرض، قيل: كانوا مائة ألف مقاتل فيهم مسلمون وكفّار، وقصد بلاد سَنجَر.

وكان أمير من أمراء سَنجَر، اسمه كُنْدُغْدي، قد كاتب قَدرخانَ بالأخبار، وأعلمه مرض سَنجَر، بعد عوده إلى بلاده، وأنّه قد أشفى على الهلاك، وقوّى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانَيْن برْكيارُق ومحمّد، وبشدّة[5] عداوة برْكيارُق لسَنجَر، وأشار عليه

(١) في (أ): «حقيدكان»، وفي (ب): «حقييدكان».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في الأوربية: «ووفا».
(٤) في (أ) و (ب): «وعود سنجر».
(٥) في الأوربية: «ولشدة».

بالسرعة مهما[1] الاختلاف واقع، وأنّه متى أسرع مَلَكَ خُراسان والعراق. فبادر قدرخان وأقدم، وقصد البلاد، فبلغ السلطان[2] سنجر الخبر، وكان قد عوفي، فبادر وسار نحوه قاصداً قتاله ومنعه عن البلاد، وكان من جملة من معه كُنْدُغدي[3] المذكور، وهو لا يتّهمه بشيء ممّا فعل، فوصل إلى بلْخ في ستّة آلاف فارس، فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة أيّام، فهرب كُنْدُغدي إلى قدرخان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه عى الاتّفاق والمناصحة، وسار من عنده إلى تِرمِذ، فملكها. وكان الباعث للكُنْدُغدي على ما فعل (حسده للأمير)[4] بزغش على منزلته.

ثم تقدّم قدرخان، لمّا تدانى[5] العسكران أرسل سنجَر يذكّر قدرخان العهود والمواثيق القديمة، فلم يصْغِ إلى قوله، وأذكى سنجَر العيون والجواسيس على قدرخان، فكان لا يخفى عنه شيء منَ خبره، فأتاه من أخبره أنّه نزل بالقرب من بَلْخ، وأنّه خرج متصيّداً في ثلاثمائة فارس، فندب سنجَر، عند ذلك، الأمير بزغش لقصده، فسار إليه، فلحقه وهو على تلك الحال، فقاتله، فلم يصبر من مع قدرخان، فانهزموا، وأسر كُنْدُغدي وقدرخانَ، وأحضرهما عند سنجَر، فأمّا قدرخان فإنّه قبّل الأرض واعتذر، فقال له سنجَر: إن خدمتّنا، أو لم تخدمنا، فما جزاؤك إلاّ السيف؛ ثم أمر به فقُتل.

فلمّا سمع كُنْدُغْدي الخبر نجا بنفسه، ونزل في قناة، ومشى فيها فرسخَيْن تحت الأرض، على ما به من النِّقْرِس، وقتل فيها حيّتَيْن عظيمتَيْن، وسبق أصحابه إلى مخرجها، وسار منها في ثلاثمائة فارس إلى غزنة.

وقيل: بل جمع سنجَر عساكر كثيرة، والتقى هو وقدرخان، (وجرى بينهما مصافّ، وقتال عظيم، أكثر فيه القتل فيهم، فانهزم قدرخان)[6] وعسكره، وحُمل أسيراً إلى سنجَر، فقتله، وحصر تِرْمِذ، وبها كُنْدُغْدي، فطلب الأمان، فأمَّنه سنجر، ونزل إليه، وسلّم ترمذ، فأمره سنجَر بمفارقة بلاده، فسار إلى غَزْنَة، فلمّا وصل إليها أكرمه صاحبها علاء الدولة، وحلّ عنده المحلّ الكبير.

---

(١) في (ب): «فأدام».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «كون طوغدي».
(٤) في (أ) و (ب): «الأمير».
(٥) في (أ) و (ب): «ترامى»، وفي الأوربية: «تدانا».
(٦) من (ب).

واتّفق أنّ صاحب غَزْنَة عزم على قصد أوتان[1]، وهي جبال منيعة، على أربعين فرسخاً من غَزْنَة، وقد عصى عليه فيها قوم، وتحصّنوا بمعاقلها، ووعورة مسالكها، فقاتلهم عسكر[2] علاء الدولة، فلم يظفروا منهم بطائل، فتقدّم كُنْدُغْدي منفرداً عنهم، فأبلى بلاءً حسناً، ونُصر عليهم، وأخذ غنائمهم، وحملها إلى علاء الدولة، فلم يقبل منها شيئاً، ووفّرها عليه، فغضب العسكر، وحسدوه على ذلك، وعلى قربه من صاحبهم، ونفاقه عليه، فأشاروا بقبضه، وقالوا: إنّا لا نأمن أن يقصد بعض الأماكن فيفعل في أمر الدولة ما لا يمكن تلافيه، فقال: قد تحقّقتُ قصدكم، ولكن بمن أقبض عليه؟ فإنّي أخاف أن آمركم بالقبض عليه، فينالكم منه ما تفتضحون به. فقالوا: الصواب أن تولّيه ولاية ويُقبض[3] عليه إذا سار إليها، فولاّه حصنَيْن جرت عادته أن يسجن فيهما من يخاف جانبه، فسار إليهما.

فلمّا قاربهما عرف ما يراد منه، فأحرق جميع ماله، ونحر جماله، وسار جريدة، وكان في مدّة مقامه بغَزْنَة يسأل عن الطرق وتشعّبها[4]، فإنّه ندم على قصد تلك الجهة، فلمّا سار سأل راعياً عن الطريق التي يريدها، فدلّه، فأخذه معه خوفاً أن يكون قد غرّه، ولم يزل سائراً إلى أن وصل إلى قريب هَراة، فمات هناك، وهو (من مماليك تُتُش)[5] بن ألب أرسلان الذي كحله أخوه ملكشاه، وسجنه بتكْريت، وقد تقدّم ذكر حادثته[6].

ذكر ملك محمّد خان سمرقند

في هذه السنة أحضر السلطان[7] سَنجَر محمّداً أرسلان خان بن سليمان بن داود بُغْراخان، من مَرْوَ، وملّكه سَمَرْقَنْد، بعد قتل قدرخان، وكان محمّد خان هذا من أولاد الخانيّة بما وراء النهر، وأُمّه ابنة السلطان ملكشاه، فدفع[8] عن ملك آبائه، فقصد مَرْوَ، وأقام بها إلى الآن.

---

(١) في (أ) والباريسية: «أويان».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «وتقبض».
(٤) في (أ): «وشعبها».
(٥) في (أ) و(ب): «تكش».
(٦) في (أ) و(ب): «حديثه»، والخبر في: دول الإسلام ٢/ ٢٥، وتاريخ الإسلام ٥٠، ٥١.
(٧) من الباريسية.
(٨) في (أ) و(ب): «فرقع».

فلمّا قُتل قدرخان ولاّه سنجَر أعماله، وسيّر معه العساكر الكثيرة، فعبروا النهر، فأطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها، وعظُم شأنه، وكثُرت جموعه، إلاّ أنه انتصب له أمير اسمه هاغُوبك، وزاحمه في المُلك، فطمع فيه، فجرى له معه حروب احتاج في بعضها إلى الاستنجاد بعساكر سَنْجَر، على ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ولمّا ملك محمّد خان البلاد أحسن إلى الرعايا بوصيّة من سَنجَر، وحقن الدماء، وصار بابه مقصداً، وجنابه ملجأ[1].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، خرج تاج الرؤساء ابن أخت أمين الدولة أبي سعد بن الموصلايا إلى الحلّة السّيفيّة، مستجيراً بسيف الدولة صدقة.

وسبب ذلك أنّ الوزير الأعزّ وزير السلطان بركْيارُق كان يُنسب إليه أنّه هو الذي يميل جانب الخليفة إلى السلطان محمّد، فسار خائفاً، واعتزل خاله أمين الدولة الديوان، وجلس في داره، فلمّا قُتل الوزير الأعزّ، على ما ذكرناه، عاد تاج الرؤساء من الحلّة إلى بغداذ، وعاد خاله إلى منصبه.

وفي ربيع الأوّل أيضاً ورد العميد المهذّب أبو المجد، أخو الوزير الأعزّ، إلى بغداذ، نائباً عن أخيه، ظنّاً منه أنّ إيلغازي لا يخالفهم، حيث كان بركْيارُق ومحمّد قد اتّفقا، كما ذكرناه، فقبض عليه إيلغازي، ولم يتغيّر عن طاعة محمّد.

وفيها، في جمادىٰ الأولى، ورد إلى بغداذ ابن تُكش بن ألب أرسلان، وكان قد استولى على الموصل، فخدعه من كان بها، حتّى سار عنها إلى بغداذ، فلمّا وصل إليها زوّجه إيلغازي بن أُرتُق ابنته.

وفيها، في شهر رمضان، استوزر الخليفة سديد الملك أبا المعالي بن عبد الرزّاق، ولقّب عَضُد الدّين[2].

وفيها، في صفر، قتل الرّبَعيّون[3] بهيت قاضي البلد أبا عليّ بن المثنّى، وكان ورعاً، فقيهاً، حنفيّاً، من أصحاب القاضي أبي عبد الله الدامغانيّ، وكان هذا القاضي

---

(١) تاريخ الإسلام ٥١.

(٢) المنتظم ١٧/٧٦.

(٣) في الأوروبية: «الربعيون».

على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول[1] بين القبائل، فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم، فقتله أحدهم، فندِم الباقون على قتله وقد فات الأمرُ.

وفيها بنى[2] سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد الحِلّة بالجامعيْن، وسكنها، وإنّما كان يسكن هو وآباؤه قبله في البيوت العربيّة[3].

وفي جمادى الأولى قُتل المؤيّد بن شرف الدولة مُسلم بن قُريش أمير بني عُقَيْل، قتله بنو نُمير عند هَيت قِصاصاً.

[الوفيات]

وفيها توفّي القاضي البَنْدَنِيجيُّ الضرير[4]، الفقيه الشافعيُّ، انتقل إلى مكّة، فجاور بها أربعين سنة يدرّس الفقه، ويسمع الحديث، ويشتغل بالعبادة.

وفيها توفّي أبو عبد الله الحسين بن محمّد الطبري[5] بأصبهان، وكان يدرّس (فقه الشافعيّ)[6] بالمدرسة النظاميّة، وقد جاوز تسعين سنة، وهو من أصحاب أبي إسحاق.

وفيها توفّي الأمير منظور بن عُمارة الحسينيُّ، أمير المدينة، على ساكنها السلام، وقام ولده مقامَهُ، وهو من ولد المهنّا، وقد كان قَتَلَ المعمار الذي أنفذه مجد الملك البلاسانيّ لعمارة القبّة التي على قبر الحسن بن عليّ والعبّاس، رضي الله عنهما، وكان من أهل قُمّ، فلمّا قُتل البلاسانيّ قتله منظور بعد أن أمّنه، وكان قد هرب منه إلى مكّة، فأرسل إليه بأمانه.

---

(١) في (أ) و(ب): «القبول».

(٢) في الأوربية: «بنا».

(٣) المنتظم ١٧/ ٧٦.

(٤) هو محمد بن هبة الله بن ثابت. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٥ هـ) ص ٢٢٤، ٢٢٥ رقم ٢٢٩، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (الطبري) في: تاريخ الإسلام ٢١٢، ٢١٣ رقم ٣٠٨، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢١٠ رقم ١٢٨.

(٦) من الباريسية.

٤٩٦
ثم دخلت سنة ستّ وتسعين وأربعمائة

ذكر استيلاء يَنّال على الرَّيّ وأخذها منه ووصوله إلى بغداذ

كانت الخطبة بالرَّيّ للسلطان بركْيارُق، فلمّا خرج السلطان محمّد من أصبهان، على ما ذكرناه، ومعه ينّال بن أنوشتكين الحُساميُّ، استأذنه في قصد الرَّيّ وإقامة الخطبة له بها، فأذِن له، فسار هو وأخوه عليُّ بن أنوشتكين، (فوصلا إليها في صفر، فأطاع من بها من نوّاب بركْيارُق، وخطب لمحمّد بالرَّيّ، واستولى)[١] ينّال على البلد، وعسف أهله، وصادرهم بمائتَيْ ألف دينار، وأقام بها إلى النصف من ربيع الأوّل، فورد إليه الأمير بُرْسُق[٢] بن بُرْسُق[٢] من عند السلطان بركْيارُق، فوقع القتال بينهم على باب الريّ، فانهزم ينّال وأخوه عليّ.

فأمّا عليّ فعاد إلى ولايته قَزوِين، وسلك ينّال الجبال، فقُتل من أصحابه كثير، وتشتّتوا، فأتى[٣] إلى بغداذ في سبعمائة رجل، فأكرمه الخليفة، واجتمع هو وإيلغازي وسُقْمان ابنا أُرتُق بمشهد أبي حنيفة، وتحالفوا على مناصحة السلطان محمّد، وساروا إلى سيف الدولة صدقة، فحلف لهم أيضاً على ذلك، وعادوا[٤].

ذكر ما فعله يَنّال بالعراق

قد ذكرنا وصول ينّال بن أنوشتكين إلى بغداذ قبلُ. فلمّا استقرّ ببغداذ ظلم الناس

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «برشق»، وكذا في (أ).

(٣) في الأصل: «فأتوا».

(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٨ و ٥/ ٣١.

بالبلاد جميعاً، وصادرهم، واستطال أصحابه على العامّة بالضرب والقتل والتقسيط، وصادر العُمّال.

فأرسل إليه الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغانيَّ ينهاه عن ذلك، ويقبّح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان، وتردّد أيضاً إلى إيلغازي، وكان ينّال قد تزوّج هذه الأيام بأخته، وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تُتُش، حتّى توسّط الأمر معه فمضوا إليه[1]، وحلّفوه على الطاعة، وترْك ظلم الرعيّة، وكفّ أصحابه، ومنْعهم، فحلف، ولم يقف على اليمين، ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة.

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة، وعرّفه ما يفعله ينّال من نهب الأموال، وسفْك الدماء، وطلب منه أن يحضر بنفسه ليكفّ ينّال، فسار من حِلّته في رمضان، ووصل بغداذ رابع شوّال، وضرب خيامه بالنجميّ، واجتمع هو وينّال، وإيلغازي، ونوّاب ديوان الخليفة، وتقرّرت القواعد على مالٍ يأخذه ويرحل عن العراق، فطلب ينّال المهلة، فعاد صَدَقَة عاشر شوّال إلى حِلّته، وترك ولده دُبيساً ببغداذ ليمنعه من الظلم والتعدّي عمّا استقرّ الأمر عليه، فبقي ينّال إلى مستهلّ ذي القعدة، وسار إلى أوَانَا، فنهب، وقطع الطريق، وعسف الناس، وبالغ في الفعل القبيح، وأقطع القُرى لأصحابه، فأرسل الخليفة إلى صَدَقَة في ذلك، فأرسل ألف فارس، وساروا إليه ومعهم جماعة من أصحاب الخليفة، وإيلغازي، شِحنة بغداذ، فلمّا سمع ينّال بقربهم منه عبر دجلة، وسار إلى باجِسْرَى[2] وشعثها، وقصد شَهرَابَانَ، فمنعه أهلها، فقاتلهم، فقُتل بينهم قتلى، ورحل عنهم، وسار إلى أَذَرْبيجان قاصداً إلى السلطان محمّد، وعاد دُبَيْس بن صَدَقَة، وإيلغازي (شِحنة بغداذ)[3]، إلى مواضعهم[4].

ذكر وصول كُمُشْتِكِين القَيْصريّ شِحنة إلى بغداذ والفتنة بينه وبين إيلغازي وسُقمان وصَدَقَة

في هذه السنة، منتصف ربيع الأوّل، ورد كُمُشْتِكِين القيصريّ إلى بغداذ، شِحنةً، أرسله إليها السلطان بركْيارُق، وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركْيارُق من[5]

---

(١) من (ب).

(٢) في (أ): «تاخسرئي»، وفي (ب): «باحسروا».

(٣) من الباريسية.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٣، المنتظم ٩/ ١٣٥ (١٧/ ٨٠، ٨١)، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٩.

(٥) في (أ) زيادة: «على».

أصبهان إلى همذان، فلمّا وصلها أرسل إلى بغداذ كُمُشْتِكِين شحنةً، فلمّا سمع إيلغازي، وهو شِحنة ببغداذ، للسلطان محمّد، أرسل إلى أخيه سُقمان بن أُرتُق، صاحب حصن كِيفا، يستدعيه إليه ليعتضد به على منعه، وسار إلى سيف الدولة صَدَقة بالحِلّة، واجتمع به، وسأله تجديد عهد في دفع من يقصده من جهة بركْيارُق، فأجابه إلى ذلك وحلف له، فعاد إيلغازي.

وورد سُقمان في عساكر، ونهب في طريقه تَكْريت، وسبب تمكّنه منها أنّه أرسل جماعة من التركمان إلى تكريت، معهم أحمال جبن، وسمن، وعسل، فباعوا ما معهم، وأظهروا أن سُقمان قد عاد عن الانحدار، فاطمأنّ أهل البلد، ووثب التركمان، تلك الليلة، على الحرّاس فقتلوهم، وفتحوا الأبواب، وورد إليها سُقمان، ودخلها ونهبها، ولمّا وصل إلى بغداذ نزل بالرَّمْلَة.

وأمّا كُمُشْتِكِين فوصل، أوّل ربيع الأوّل، إلى قرميسين، وأرسل إلى من له هوًى مع بركْيارُق، وأعلمهم بقُربه منهم، فخرج إليه جماعة منهم، فلقوه بالبَنْدَنِيجَيْنِ، وأعلموه الأحوال، وأشاروا عليه بالمعاجلة، فأسرع السير، فوصل إلى بغداذ منتصف ربيع الأوّل، ففارق إيلغازي داره، واجتمع بأخيه سُقمان، وأصعدا من الرحلة، ونهبا بعض قرى دُجَيْل، فسار طائفة من عسكر كُمُشْتِكِين وراءهما، ثم عادوا عنهما، وخُطب للسلطان بركْيارُق ببغداذ، فأرسل كُمُشْتِكِين القيصريَّ إلى سيف الدولة صَدَقَة، ومعه حاجب من ديوان الخليفة، في طاعة بركْيارُق، فلم يجِب إلى ذلك، وكشف القناع ببغداذ[1] في مخالفته، وسار من الحِلّة إلى جسر صَرْصَر، فقُطعتْ خطبة بركْيارُق ببغداذ، ولم يُذْكَر على منابرها أحدٌ من السلاطين، واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير.

ولمّا وصل سيف الدولة إلى صَرْصَر أرسل إلى إيلغازي وسُقمان، وكانا بحَرْبى، يعرّفهما أنّه قد أتى لنصرتهما، فعادا ونهبا دُجَيْلاً، ولم يبقيا على قرية كبيرة ولاصغيرة، وأُخذت الأموال، وافتضّت الأبكار، ونهب العرب والأكراد الذين مع سيف الدولة بنهر ملك، إلاّ أنهم لم يُنقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهنّ، لكنّهم استقصوا في أخذ الأموال بالضرب، والإحراق[2]، وبطلت معايش الناس، وغلت الأسعار، فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط، فصار ثلاثة أرطال بقيراط، وجميع الاشياء كذلك.

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «والأخراق».

فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة في الإصلاح، فلم تستقرّ قاعدة، وعاد إيلغازي وسُقمان ومعهما دُبَيْس بن سيف الدولة صَدَقَة من دُجَيْل، فخيمّوا بالرملة، فقصدهم جماعة كثيرة من العامة. فقاتلوهم، فقُتل من العامّة أربعة نفر، وأُخذ منهم جماعة، فأُطلقوا بعد أن أُخذت أسلحتهم، وازداد الأمر شدّةً على الناس، فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغانيّ، وتاج الرؤساء بن الموصلايا إلى سيف الدولة يأمره[1] الكفّ عن الأمر الذي هو ملابسه، ويعرّفه ما الناس فيه، ويعظّم الأمر عليه، فأظهر طاعة الخليفة، إنْ أخرج القيصريَّ من بغداذ، وإلاّ فليس غير السيف، وأرعد وأبرق.

لمّا عاد الرسول استقرّ الأمر على إخراج القيصريّ من بغداذ، ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر، وسار إلى النَّهروان، وعاد سيف الدولة إلى بلده، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد ببغداذ، وسار القيصريُّ إلى واسط، فخاف الناس منه، وأرادوا الانحدار منها[2] ليأمنوا، فمنعهم القيصريُّ، وخطب لبركْيارُق بواسط، ونهبوا كثيراً من سوادها.

فلمّا سمع صَدَقَة ذلك سار إلى واسط، فدخلها، وعدل في أهلها، وكفّ عسكره عن أذاهم، ووصل إليه إيلغازي بواسط، وفارقها القيصريُّ، ونزل متحصّناً بدِجلة فقيل لسيف الدولة: أنّ هناك مخاضة، فسار إليها بعسكره وقد لبسوا السلاح، فلمّا رآهم عسكر القيصريّ تفرّقوا عنه، وبقي في خواصّ أصحابه، فطلب الأمان من سيف الدولة، فأمّنه، فحضر عنده، فأكرمه، وقال له: قد سمنتَ؛ قال: وتركتَنا نسمن؟ أخرجتَنا من بغداذ، ثم من واسط، ونحن لا نعقل.

ثم بذل صَدَقَة الأمان لجميع عسكر واسط، ومن كان مع القيصريّ، سوى رجلَيْن، فعادا إليه فأمّنهما[3]، وعاد القيصريُّ إلى بركْيارُق، وأُعيدت خطبة السلطان محمّد بواسط؛ وخُطب بعده لسيف الدولة وإيلغازي، واستناب كلّ واحد منهما فيها ولدَهُ، وعادا عنها في العشرين من جُمادى الأولى، وأمِن أهل واسط ممّا كانوا يخافونه.

فأمّا إيلغازي فإنّه أصعد إلى بغداذ، وأمّا سيف الدولة صَدَقَة فإنّه عاد إلى الحِلّة، وأرسل ولده الأصغر منصوراً مع إيلغازي إلى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه، فإنّه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة، فوصل إلى بغداذ، وخاطب في ذلك، فأُجيب إليه[4].

---

(١) في (أ) و (ب): «يأمرونه».

(٢) في الباريسية: «منه».

(٣) في الأوربية: «فعادوا إليه فأمنهم».

(٤) تاريخ الإسلام ٥٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣.

ذكر استيلاء صدقة على هَيت

كانت مدينة هَيت لشرف الدولة مسلم بن قريش[١]، أقطعه إيّاها السلطان ألب أرسلان، ولم تزل معه حتّى قُتل، فنظر فيها عمداء بغداذ إلى أن مات السلطان ملكشاه، ثم أخذها أخوه تُتُش بن ألب أرسلان. فلمّا استولى السلطان بركْيارُق أقطعها لبهاء الدولة ثروان(بن وهب)[٢] بن وُهَيْبة، وأقام هو وجماعة من بني عُقَيْل عند سيف الدّولة صَدَقَة، وكانا متصافيَيْن[٣]، وكان صَدَقَة يزوره كثيراً ثم تنافرا.

وكان سبب ذلك أنّ صَدَقَة زوّج بنتاً له من ابن عمّه، وكان ثروان قد خطبها فلم يُجِبْه إلى ذلك، فتحالفت عُقَيْل، وهم في حِلّة سيف الدولة، أن يكونوا يداً واحدة عليه، فأنكر صَدَقَة ذلك، وحجّ ثروان عُقَيْبَ ذلك وعاد مريضاً، فوكّل به صدقة، وقال: (لابدّ من هَيْت؛ فأرسل ثروان حاجبه، وكتب خطّه بتسليم البلد إليه.

وكان بهَيت حينئذٍ)[٤] محمّد بن رافع بن رفاع[٥] بن ضُبيعة بن مالك بن مقلّد بن جعفر، وأرسل صدقة ابنه دُبَيْساً مع الحاجب ليتسلمها فلم يسلّم إليه محمّد، فعاد دُبَيْس إلى أبيه، فلمّا أخذ صَدَقَة واسطاً، هذه النوبة،أصعد في عسكره إلى هَيت، فخرج إليه منصور بن كثير ابن أخي ثروان، ومعه جماعة من أصحابه، فلقوا سيف الدولة، وحاربوه ساعة من النهار.

ثمّ إنّ جماعة من الرَّبَعيّين[٦] فتحوا لسيف الدولة البلد، فدخله أصحابه، فلمّا رأى ذلك منصور ومن معه سلّموا البلد إليه، فملكه يوم نزوله، وخلع على منصور وجماعة من وجوه[٧] أصحابه، وعاد إلى حِلّته، واستخلف عليه ابن عمّه ثابت بن كامل.

ذكر الحرب بين بركْيارُق ومحمّد

في هذه السنة، ثامن جمادى الآخرة، كان المصافّ الخامس بين السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد.

---

(١) في (أ): «فراس».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) في (ب): «متضامنين».
(٤) من (ب).
(٥) في الباريسية: «دفاع»، والمثبت من (ب).
(٦) في (أ) و (ب): «الدبيسيين».
(٧) من الباريسية.

وكانت كَنْجَةُ وبلاد أرَّان جميعها للسلطان محمّد، وبها عسكره، ومقدّمهم الأمير غزغلي، فلمّا طال مقام محمّد بأصبهان محصوراً توجّه غزغلي والأمير منصور بن نظام المُلك وابن أخيه محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك قاصدين لنصرته، ليراهم بعين الطاعة.

وكان آخر ما تُقام فيه الخطبة لمحمّد زَنْجَان ممّا يلي أذربِيجان، فوصلوا إلى الريّ في العشرين من ذي الحجّة سنة خمسٍ وتسعين [وأربعمائة]، ففارقه عسكر بركْيارُق، (ودخلوه وأقاموا)[1] به ثلاثة أيام.

ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمّد من أصبهان، وأنّه وصل إلى ساوة، فساروا إليه، ولحِقوه بهمَذان ومعه ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين الحساميّ، فبلغ عددهم[2] ستّة آلاف فارس، فأقاموا بها إلى أواخر المحرّم، فأتاهم الخبر بأنّ السلطان بركْيارُق قد أتاهم، فتلوّنوا في رأيهم، فسار ينّال وعليّ ابنا أنوشتكين إلى الرَّيّ، على ما ذكرناه، وعزم السلطان محمّد على التوجّه إلى شَرْوان، فوصل إلى أرْدَبيل، فأرسل إليه الملك[3] مودود بن إسماعيل بن ياقوتي، صاحب بعض أَذَرْبيجان، وكانت قبله لأبيه إسماعيل بن ياقوتي، وهو خال السلطان بركْيارُق، وكانت أخته زوجة السلطان محمّد، وهو مطالب السلطان بركْيارُق بثأر أبيه، وقد تقدّم مقتله أوّل دولة بركْيارُق، وقال له: ينبغي أن تقدم إلينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك، وقتال خصمنا؛ فسار إليه مُجِدّاً، وتصيّد في طريقه بين أرْدَبيل وبَيْلَقَانَ، وانفرد عن عسكره، فوثب عليه نَمِر، وهو غافل، فجرح السلطان محمّداً في عضده، فأخذ سكّيناً وشقّ بها جوف النَمِر فألقاه عن فرسه ونجا.

ثم أنّ مودود بن إسماعيل تُوفّي في النصف من ربيع الأوّل، وعمره اثنتان وعشرون[4] سنة، ولمّا بلغ بركْيارُق اجتماع السلطان محمّد والملك مودود سار غير متوقّف، فوصل بعد موت مودود، وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمّد، وحلفوا له، وفيهم سكمان القُبْطيّ، ومحمّد بن ياغي[5] سيان[6]، الذي كان

---

(١) في (أ) و (ب): «ودخله عسكر محمد وأقام».
(٢) في الأوربية: «عنهم».
(٣) في الباريسية: «الأمير».
(٤) في الأوربية: «اثنتين وعشرين».
(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٣٦٠: «باغي».
(٦) في (أ): «سبان».

أبوه صاحب أنطاكية، وقزل أرسلان بن السبع الأحمر، فلمّا وصل بركْيارُق وقعت الحرب بينهما على باب خُوَيّ من أَذَرْبِيجان عند غروب الشمس، ودامت إلى العشاء الآخرة.

فاتّفق أنّ الأمير إياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين، وحمل بهم، وقد أعيا العسكر من الجهتَيْن، على عسكر السلطان محمّد، فكسرهم[1]، وولّوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد.

فأمّا السلطان بركْيارُق، فإنه قصد جبلاً بين مَراغة وتِبريز، كثير العُشْب والماء[2]، فأقام به أيّاماً، وسار إلى زَنْجان.

وأمّا السلطان محمّد فإنّه سار مع جماعة إلى أرجيش، من بلاد أرمينية، على أربعين فرسخاً من الوقعة، وهي من أعمال خِلاط، من جملة أقطاع الأمير سُكْمان القُبطيّ، وسار منها إلى خِلاط، واتّصل به الأمير عليّ صاحب أرْزَن الروم، وتوجّه إلى آني، وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي، ومنها سار إلى تِبرِيز(من أذربيجان)[3]. وسنذكر باقي أخبارهم سنة سبعٍ وتسعين[وأربعمائة] عند صُلحهم إن شاء الله[4].

وكان الأمير محمّد بن مؤيّد المُلك بن نظام المُلك مع السلطان محمّد في هذه الوقعة، فمرّ منهزماً، ودخل ديار بكر، وانحدر منها إلى جزيرة ابن عُمَر، وسار منها إلى بغداذ، وكان في حياة أبيه يقيم ببغداذ في سوق المدرسة، فاتّصلت الشكاوى منه إلى أبيه، فكتب إلى كوهرائين بالقبض[5] عليه، فاستجار بدار الخلافة، وتوجّه سنة اثنتين وتسعين[وأربعمائة] إلى مجد المُلك البلاسانيّ، ووالده حينئذٍ بكَنْجَة عند السلطان محمّد، قبل أن يخطب لنفسه بالسلطنة، وتوجّه بعد قتل[6] مجد المُلك إلى والده، وقد صار وزير السلطان محمّد، وخطب لمحمّد بالسلطنة، وبقي بعد قتل والده، واتّصل بالسلطان محمّد، وحضر معه هذه الحرب فانهزم.

---

(١) في (أ): «فهزمهم»، وفي (ب): «فهزموهم».

(٢) من الباريسية.

(٣) من الباريسية.

(٤) المختصر ٢/٢١٦، العبر ٣/٣٤٣، دول الإسلام ٢/٢٦، تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٣، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٨٩ و ٥/٣١.

(٥) في الباريسية: «ليقبض».

(٦) من الباريسية.

ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبي سعد بن الموصلايا في الوزارة

في هذه السنة، منتصف رجب، قُبض على الوزير سديد المُلك أبي المعالي، وزير الخليفة، وحُبس في دارٍ بدار الخلافة، وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان، فنُقلوا إليه، وكان محبسه جميلاً.

وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة، فإنّه قضى[١] عمره في أعمال السلاطين، وليس لهم هذه القواعد، ولمّا قُبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا إلى النظر في الديوان.

ومن عجيب ما جرى من الكلام الذي وقع بعد أيّام أنّ سديد المُلك كان يسكن في دار عميدِ الدولة بن جَهِير، وجلس فيها مجلساً عامّاً يحضره الناس لوعظ المؤيّد عيسى الغَزْنويّ، فأنشدوا أبياتاً ارتجلها:

سديد الملكِ سُدْتَ وخُضتَ بحراً ... عميقَ اللُّجّ فاحفَظْ فيه رُوحَكْ
وأخْيِ مَعالمَ الخَيراتِ واجعَلْ ... لِسانَ الصِّدقِ في الدُّنيا فُتُوحَكْ
وفي الماضين مُعْتَبَرٌ فأسرِجْ ... مَرُوحَكَ في السلامة أو جَموحَكْ

ثم قال سديد المُلك: مَن شرب من مرقة السلطان احترقت شفتاه، ولو بعد زمان؛ ثم أشار إلى الدار وقرأ: **﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾**[٢]، فقبض على الوزير بعد أيّام[٣].

ذكر ملك الملك دُقاق مدينة الرَّحبة

في هذه السنة، في شعبان، ملك الملك دُقاق بن تُتُش، صاحب دمشق، مدينة الرَّحْبة، وكانت بيد إنسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألبْ أرسلان، فلمّا قُتل كربوقا استولى عليها، فسار دُقاق وطُغتكين أتابكه إليه، وحصراه بها، ثم رحل عنه[٤].

---

(١) في الأوربية: «قضا».

(٢) سورة إبراهيم، الآية ٤٥.

(٣) تاريخ الإسلام ٥٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠ (باختصار شديد).

(٤) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، زبدة الحلب ٢/١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٤، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٣، المختصر ٢/٢١٦، الدرّة المضية ٤٦٢، تاريخ سلاطين المماليك ٣، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٥٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وتوفّي قايماز هذه السنة في صفر، وقام مقامه غلامٌ تركيّ اسمه حسن، فأبعد عنه كثيراً من جُنده، وخطب لنفسه، وخاف من دُقاق، فاستظهر، وأخذ جماعة من السالاريّة الذين يخافهم، فقبض عليهم، وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم. فتوجّه دُقاق إليه وحصره، فسلّم العامة البلد إليه، واعتصم حسن بالقلعة، فأمّنه دُقاق، فسلّم القلعة إليه، فأقطعه إقطاعاً كثيراً بالشام، وقرّر أمر الرَّحْبة، وأحسن إلى أهلها، وجعل فيها من يحفظها، ورحل عنها إلى دمشق.

ذكر أخبار الفرنج بالشام

كان الأفضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكاً لأبيه، لَقَبُهُ سعد الدولة، ويُعرف بالطواشي[١]، إلى الشام لحرب الفرنج، فلقيهم بين الرَّمْلة ويافا، ومقدّم الفرنج يُعرف ببَغْدوين، لعنه الله تعالى، وتصافّوا واقتتلوا، فحملت الفرنج حملة صادقة، فانهزم المسلمون.

وكان المنجّمون يقولون لسعد الدولة: إنّك تموت مُتردّياً؛ فكان يحذر من ركوب الخيل، حتّى إنّه وليَ بيروت، وأرضها مفروشة بالبلاط، فقلعه خوفاً أن يزلق به فرسه، أو يعثُر، فلم ينفعه الحذر عند نزول[٢] القدر، فلمّا كانت هذه الوقعة انهزم، فتردّى به فرسه، فسقط ميّتاً، وملك الفرنج خِيَمَه وجميع ما للمسلمين.

فأرسل الأفضل بعده ابنه شرف المعالي في جمْعٍ كثير، فالتقوا هم والفرنج بيَازُورَ، بقرب الرَّملة، فانهزم الفرنج، وقُتل منهم مقتلةً عظيمة، وعاد من سلم منهم مغلولين، فلمّا رأى بَغْدوين شدّة الأمر، وخاف القتل والأسر، ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه، فلمّا أبعد المسلمون خرج منه إلى الرَّملة. وسار شرف المعالي بن الأفضل من المعركة، ونزل على قصر بالرَّملة، وبه سبعمائة من أعيان الفرنج، وفيهم بَغْدوين، فخرج متخفّياً إلى يافا، وقاتل ابن الأفضل من بقي خمسة عشر يوماً،(ثم أخذهم)[٣]، فقتل منهم أربعمائة صبراً، وأسر ثلاثمائة إلى مصر.

ثم اختلف أصحابه في مقصدهم، فقال قوم: نقصد البيت المقدّس ونتملّكه؛ وقال قوم: نقصد يافا ونملكها[٤].

---

(١) في (ب): «بالقواسي».
(٢) في (ب): «حلول».
(٣) من (أ) و (ب).
(٤) في الأوربية: «ونملكه».

فبينما هم في هذا الاختلاف، إذ وصل إلى الفرنج خلق كثير في البحر، قاصدين زيارة البيت المقدّس، فندبهم بغدوين للغزو معه، فساروا إلى عَسْقَلان، وبها شرف المعالي، فلم يكن يقوى بحربهم، فلطف الله تعالى بالمسلمين، فرأى الفرنج البحريّة حصانة عَسْقَلان، وخافوا البيات، فرحلوا إلى يافا، وعاد ولد الأفضل إلى أبيه، فسيّر رجلاً يقال له تاج العجم(في البرّ وهو)[1] من أكبر[1] مماليك أبيه، وجهّز معه أربعة آلاف فارس، وسيّر في البحر رجلاً يقال له القاضي ابن قادوس، في الأسطول، فنزل الأسطول على يافا، ونزل تاج العجم على عَسقلان، فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتّفقا على حرب الفرنج، فقال تاج العجم: ما يمكنني أن أنزل إليك إلاّ بأمر الأفضل؛ ولم يحضر عنده، ولا أعانه، فأرسل القادوسيُّ إلى قاضي عسقلان، وشهودها، وأعيانها، وأخذ خطوطهم بأنّه أقام على يافا عشرين يوماً، واستدعى تاج العجم، فلم يأته، ولا أرسل رجلاً، فلمّا وقف الأفضل على الحال أرسل مَنْ قبض على تاج العجم، وأرسل رجلاً، لَقَبُه جمال المُلك، فأسكنه عَسقلان، وجعله متقدّم العساكر الشاميّة.

وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج، لعنهم الله، البيت المقدّس، وفلسطين، ما عدا عَسقلان، ولهم أيضاً يافا، وأرسُوفُ، وقَيساريّةُ، وحَيفا، وطَبرِيّةُ، واللاّذِقِيّة[2]، وأنطاكيّةُ، ولهم بالجزيرة الرُّها، وسَروج[3].

وكان صَنْجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام، والموادّ تأتيها، وبها فخر المُلك بن عمّار، وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج، ويقتلون من وجدوا، وقصد بذلك أن يخلو السواد ممّن يزرع لتقلّ المرادّ من الفرنج فيرحلوا عنه[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، سادس المحرّم، توفّيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله، التي كانت زوجة السلطان طُغْرُلْبك، وكانت موصوفة بالدّين، وكثْرة الصدقة، وكان الخليفة المستظهر بالله قد ألزمها بيتها، لأنّه أُبلغ عنها أنها تسعى في إزالة دولته[5].

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «ولاذقية».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٤٢، ١٤٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥، العبر ٣/ ٣٤٣، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٥، الإعلام والتبيين ١٤/ ١٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٦ و ٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام ٥٥.

(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣.

وفيها، في شعبان أيضاً، استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جَهِير، واستقدمه من الحِلّة من عند سيف الدولة صَدَقَة، وقد ذكرنا(في السنة المتقدّمة)[1] سبب مسيره إليها، فلمّا قدم إلى بغداذ خرج كلّ أرباب الدولة فاستقبلوه، وخُلع عليه الخِلع التامّة، وأجلس[2] في الديوان ولُقّب قِوام الدين[3].

وفيه[4] أيضاً قُتل أبو المظفّر بن الخُجَنْدِيّ بالرَّيّ، وكان يعِظُ الناس، فقتله رجل علويّ حين نزل من كرسيّه، وقُتل العلويُّ ودُفن الخُجَنْدِيّ بالجامع، وأصل بيت الخُجَنْدِيّ من مدينة خُجَنْدَة، بما وراء النهر، ويُنسبون إلى المهلّب بن أبي صُفرة، وكان نظام المُلك قد سمع أبا بكر محمّد بن ثابت الخُجَنْديُّ يعظ بمَرْوَ، فأعجبه كلامه، وعرف محلّه من الفِقه والعلم، فحمله إلى أصبهان، وصار مدرِّساً بمدرسته بها، فنال جاهاً عريضاً، ودنيا واسعة، وكان نظام المُلك يتردّد إليه ويزوره[5].

وفيها جمع ساغربك[6]، بما وراء النهر، جموعاً كثيرة، وهو من أولاد الخانيّة، وقصد محمّد خان الذي ملّكه السلطان سَنجَر سَمَرْقَنْد، ونازعه في ملكها، فضعُف محمّد خان عنه، فأرسل إلى السلطان سَنجَر يستنجده، فسار إلى سَمَرقَنْد، فأبعد عنه ساغربك[6]، وخافه، واحتمى منه، وأرسل يطلب الأمان من سنجَر، والعفو، فأجابه إلى ما طلب، وحضر ساغربك[7] عنده، وقرّر الصُلح بينه وبين محمّد خان، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وعاد إلى خُراسان، فوصل إلى مَرو في ربيع الأوّل سنة سبعٍ وتسعين وأربعمائة.

[الوفيات]

وفيها توفّي أبو المعالي [الرجل][8] الصالح، ساكن باب الطاق، وكان مُقِلاً من الدنيا، له كرامات ظاهرة[9].

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (أ) و (ب): «وجلس».

(٣) المنتظم ١٧/ ٨٠، ٨١.

(٤) في (أ) و (ب): «وفيها».

(٥) المنتظم ١٧/ ٨٣ رقم ٣٧٣٥.

(٦) في (أ): «ساغوبك»، و (ب): «ساغونك».

(٧) في (أ) و (ب): «ساغوبك».

(٨) إضافة من (أ) و (ب).

(٩) انظر عن (أبي المعالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٦ هـ.) ص ٢٤١ رقم ٢٥٥، وفيه مصادر ترجمته، وهو باسم «معالي العابد».

٤٩٧
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة

ذكر ملك بَلْك بن بهرام بن أُرتق مدينة عانة

في هذه السنة، في المحرّم، استولى بَلْك بن بهرام بن أرتُق، وهو ابن أخي إيلغازي بن أُرتُق، على مدينة عانة، والحديثة، وكان له مدينة سَروج، فأخذها الفرنج منه، فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يَعيش بن عيسى بن خِلاط، فقصد بنو يَعيش سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومعهم مشايخهم، فسألوه الإصعاد إليها، وأن يتسلّمها منهم، ففعل وأصعد معهم.

فرحل التركمان وبهرام عنها، وأخذ صدقة رهائنهم، وعاد إلى حِلّته، فرجع بَلك إليها ومعه ألفا رجل من التركمان، فمانعه أصحابه قليلاً، واستدلّ على المخاضة إليها، فخاضها وعبر، وملكهم ونهبهم، وسبى[1] جميع حُرَمهم وانحدر طالباً هَيت من الجانب الشاميّ، فبلغ إلى قريب منها، ثم رجع من يومه، ولمّا سمع صدقة جهّز العساكر، ثم أعادهم عند عود بلك.

ذكر غارة الفرنج على الرَّقّة وقلعة جَعْبَر

في هذه السنة، في صفر، أغار الفرنج من الرُّها على مرج الرَّقّة وقلعة جَعْبَر، وكانوا لمّا خرجوا من الرُّها افترقوا فرقتَيْن، وأبعدوا يوماً واحداً تكون الغارة على البلدَيْن فيه، ففعلوا ما استقرّ بينهم، وأغاروا، واستاقوا المواشي، وأسروا مَن وقع بأيديهم من المسلمين، فكانت القلعة[2] والرَّقّة لسالم بن مالك بن بدران بن المقلّد بن المسيّب سلّمها إليه السلطان ملكشاه سنة تسعٍ[3] وسبعين [وأربعمائة]، وقد ذكرناه فيها.

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في (ب): «قلعة جعبر»، وفي الباريسية: : «الوقعة».

(٣) في (ب): «سبع».

ذكر الصلح بين السلطان برْكيارُق ومحمّد

في هذه السنة، في ربيع الآخر، وقع الصُّلح بين السلطانَيْن برْكيارُق ومحمّد ابنَيْ ملكشاه.

وكان سببه أنّ الحروب تطاولت بينهما، وعمّ الفساد، فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاد مخرّبةً، والقرى محرقةً، والسلطنة مطموعاً[1] فيها، محكوماً عليها، وأصبح الملوك مقهورين، بعد أن كانوا قاهرين، وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه[2] ليدوم تحكّمهم، وانبساطهم، وإدلالهم.

وكان السلطان برْكيارُق حينئذٍ بالريّ والخطبة له بها، وبالجبل، وطَبَرِستان، وخُوزستان، وفارس، وديار بكر، والجزيرة، وبالحَرَمَيْن الشريفَيْن.

وكان السلطان محمّد بأذَرْبيجان، والخطبة له فيها[3]، وببلاد أرانيّة، وأرمينية، وأصبهان، والعراق، كلّها ما عدا تكريت.

وأمّا أعمال البطائح فيُخطب ببعضها لبرْكيارُق، وببعضها لمحمّد.

وأمّا خُراسان فإنّ السلطان سَنجَر كان يُخطب له في جميعها، وهي من حدود جُرجان إلى ما وراء النهر، ولأخيه السلطان محمّد.

فلمّا رأى السلطان برْكيارُق المال عنده معدوماً، والطمع من العسكر زائداً، أرسل القاضي أبا المظفّر الجُرجانيَّ الحنفيَّ، وأبا الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمَذانيَّ، المعروف بصاحب قُراتِكين، إلى أخيه محمّد في تقرير قواعد الصلح، فساروا إليه، وهو بالقرب من مراغَة، فذكرا له ما أُرسلا فيه، ورغّباه في الصلح وفضيلته، وما شمل البلاد من الخراب، وطمع عدوّ الإسلام في أطراف الأرض. فأجاب إلى ذلك، وأرسل فيه رُسلاً، واستقرّ الأمر، وحلف كلّ واحد منهما لصاحبه، وتقرّرت القاعدة: أنّ السلطان بركيارق لا يعترض[4] أخاه محمداً في الطبل، وأن لا يذكر معه على سائر البلاد التي صارت له، وأن لا يكاتب أحدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرَيْن، ولا يعارض أحد من العسكر في قصد أيّهما شاء، وأن يكون للسلطان محمّد من النهر المعروف

---

(١) في الأوربية: «مطموعة»، وفي (أ) و (ب): «مطموعاً».
(٢) في الأوربية: ويخترونه».
(٣) في الأوربية: «فيه».
(٤) في الأوربية: «يتعرض».

بإسبِيذَرُوذَ، إلى باب الأبواب، وديار بكر، والجزيرة، والموصل، والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة.

فأجاب بركْيارُق إلى هذا، وزال الخُلْف، والشغب، وأرسل السلطان محمّد إلى أصحابه بأصبهان يأمرهم بالانصراف عن البلد، وتسليمه إلى أصحاب أخيه، (وسار السلطان بركْيارُق إلى أصبهان، فلمّا سلّمها إليه[١] أصحاب أخيه)[٢] دعاهم إلى أن يكونوا معه، وفي خدمته، فامتنعوا، ورأوا لزوم خدمة صاحبهم، فسمّاهم أهل العسكرَيْن جميعاً: أهل الوفاء، وتوجّهوا من أصبهان، ومعهم حريم السلْطان محمّد، إليه، وأكرمهم بركْيارُق، وحمل لأهل أخيه المال الكثير، ومن الدوابّ ثلاثمائة جَمَل، ومائة وعشرين بغلاً، تحمل الثَّقَل، وسيّر معهم العساكر يخدمونهم.

ولما وصلت رسل السلطان بركْيارُق إلى الخليفة المستظهر بالله بالصُّلح، وما استقرّت القواعد عليه، حضر إيلغازي بالديوان، وسأل في إقامة الخطبة لبركْيارُق، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جُمادى الأولى، وخُطب له، من الغد، بالجوامع، وخُطب له أيضاً بواسط.

ولمّا خطب إيلغازي ببغداذ لبركْيارُق، وصار في جملته، أرسل الأمير صَدَقَة إلى الخليفة يقول: كان أمير المؤمنين ينسب إليّ[٣] كلّ ما[٤] يتجدّد من إيلغازي من إخلال[٥] بواجب الخدمة، وشرط الطاعة، ومن اطّراح المراقبة، والآن، فقد أبدى[٦] صفحته للسلطان[٧] الذي استنابه، وأنا غير صابرٍ على ذلك، بل أسير لإخراجه عن بغداذ.

فلمّا سمع إيلغازي ذلك شرع في جمع التركمان، وورد صَدَقَة بغداذ، فنزل مقابل التاج، وقبّل الأرض، ونزل في مخيّمه بالجانب الغربيّ، ففارق إيلغازي بغداذ إلى بَعقُوبا، وأرسل إلى صَدَقَة يعتذر من طاعته لبركْيارُق بالصُّلح الواقع، وأنّ إقطاعه حُلوان وغيرها في جملة بلاده، وأنّ بغداذ التي هو شِحنةٌ فيها قد صارت له، فذلك الذي أدخله في طاعته. فرضي عنه صدقة، وعاد إلى الحِلّة.

---

(١) في الأوربية: «سلمه».
(٢) من (أ) و (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «كلّما».
(٥) في (أ) و (ب): «إخلاله».
(٦) في الأوربية: «أبدأ».
(٧) في (أ) و (ب): «السلطانه».

وفي ذي القعدة سُيِّرت الخِلع من الخليفة للسلطان بركْيارُق، وللأمير إياز، ولوزير بركْيارُق، وهو الخطير، والعهد بالسلطنة، وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا[1].

ذكر ملك الفرنج جُبَيْل وعكّا من الشام

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى مدينة اللاذِقِيّة[2]، فيها التجّار، والأجناد، والحجّاج، وغير ذلك، واستعان[3] بهم صَنْجِيل الفرنجيُّ على حصار طرابلس، فحصروها معه برّاً وبحراً، وضايقوها، وقاتلوها أيّاماً، فلم يروا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها إلى مدينة جُبَيْل، فحصروها، وقاتلوا عليها[4] قتالاً شديداً. لمّا رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أماناً، وسلّموا البلد إليهم، فلم تف[5] الفرنج لهم بالأمان، وأخذوا أموالهم، واستنقذوها[6] بالعقوبات وأنواع العذاب[7].

فلمّا فرغوا من جُبيل ساروا إلى مدينة عكّا، استنجدهم الملك بغدوين، (ملك الفرنج)[8] صاحب القدس على حصارها، فنازلوها، وحصروها في البرّ والبحر.

وكان الوالي بها اسمه بنا، ويُعرف بزهر الدولة الجيوشيّ، نسبة إلى ملك الجيوش الأفضل، فقاتلهم أشدّ قتال، فزحفوا إليه غير مرّة، فعجز عن حفظ البلد، فخرج منه، وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً، وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة، وسار الوالي به إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد إلى مصر، واعتذر إلى الأفضل فقبل عُذره[9].

---

(١) المنتظم ٩/ ١٣٨ (١٧/ ٨٠ ـ ٨٥)، تاريخ مختصر الدول ١٩٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٨، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٥٠، ٣٥١، المختصر ٢/ ٢١٦، ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٦، تاريخ الإسلام ٥٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، مآثر الإنافة ٢/ ١٣، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٩٠، ٤٩١ و ٥/ ٣٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٧، ١٨٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢) في الأوربية: «لاذقية».

(٣) في (أ): «واستغاث».

(٤) في (ب): «أهلها».

(٥) في (أ) و (ب): «يف».

(٦) في الباريسية: «واستنفدوا أحوالهم».

(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٣، معجم البلدان ٤/ ٥٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٦ و ٢٨/ ٢٦٣، المختصر ٢/ ٢١٧، العبر ٣/ ٣٤٥، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٥٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٤، ١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٦، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٤، وفيه: «جبل» بدل «جبيل». وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٠٦، ٤٠٧.

(٨) من الباريسية.

(٩) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، أخبار مصر لابن ميسر ٤١، أخبار الدول المنقطعة =

ذكر غزو سُقمان وجكرمِش الفرنج

لمّا استطال الفرنج، خذلهم الله تعالى، بما ملكوه من بلاد الإسلام، واتّفق لهم اشتغال عساكر الإسلام، وملوكه، بقتال بعضهم بعضاً، تفرّقت حينئذ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزّقت الأموال.

وكانت حرّان لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه[1]، فاستخلف عليها إنساناً يقال له محمد الأصبهانيُّ، وخرج في العام الماضي، فعصى الأصبهانيُّ على قراجه، وأعانه أهل البلد لظلم قراجه.

وكان الأصبهانيُّ جَلداً، شهماً، فلم يترك بحَرّان من أصحاب قراجه سوى غلام تركيّ يُعرف بجاولي، وجعله أصْفَهْسَلار العسكر، وأنِس به، فجلس معه يوماً للشرب فاتّفق جاولي مع خادم له[2] على قتله فقتلاه وهو سكران. فعند ذلك سار الفرنج إلى حرّان وحصروها.

فلمّا سمع معين الدولة سُقمان، وشمس الدولة جكرمِش ذلك، وكان بينهما حرب، وسُقمان يطالبه بقتل ابن أخيه، وكلّ منهما يستعد للقاء صاحبه، وأنا أذكر سبب قتل جكرمِش له، إن شاء الله تعالى، أرسل[3] كلّ منهما إلى صاحبه يدعوه إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حَرّان، ويعلمه أنّه قد بذل نفسه لله تعالى، وثوابه، فكلّ واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه، وساروا، فاجتمعا على الخابور، وتحالفا، وسارا إلى لقاء الفرنج.

وكان مع سُقمان سبعة آلاف فارس من التركمان، ومع جكرمِش ثلاثة آلاف فارس من الترك، والعرب، والأكراد، فالتقوا على نهر البَلِيخ، وكان المصافّ بينهم هناك، فاقتتلوا، فأظهر المسلمون الانهزام، فتبِعهم الفرنج نحو فَرسخَيْن، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤوا، وامتلأت أيدي التركمان من الغنائم، ووصلوا إلى الأموال

= ٨٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ٩/١، نهاية الأرب ٢٥٦/٢٣ و ٢٦٣/٢٨، المختصر ٢١٧/٢، تاريخ الرهاوي ٤٦٧/٢ ـ ٤٦٩، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣٤٥/٣، دول الإسلام ٢٧/٢، تاريخ سلاطين المماليك ٢٣، تاريخ ابن الوردي ١٥/٢، الإعلام والتبيين ١٥، مآثر الإنافة ١٦/٢، إتعاظ الحنفا ٣٤/٣ و ٣٦، النجوم الزاهرة ١٨٨/٥، شذرات الذهب ٤٠٤/٣، تاريخ الأزمنة ٩٥.

(١) في (أ) و (ب): «قراجا».

(٢) من (ب).

(٣) في الأوربية: «فأرسل».

العظيمة، لأنّ سواد الفرنج كان قريباً، وكان بيمُند، صاحب أنطاكية، وطَنكِري[١]، صاحب الساحل، قد انفردا[٢] وراء جبل ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدّت الحرب، فلمّا خرجا رأيا الفرنج منهزمين، وسوادهم منهوباً، فأقاما إلى الليل، وهربا، فتبعهما المسلمون، وقتلوا من أصحابهما كثيراً، وأسروا كذلك، وأفلتا في ستّة فرسان.

وكان القُمّص بردويل، صاحب الرُّها، قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم، وخاضوا نهر البَلِيخ، فوَحِلَت خيولهم، فجاء تركمانيّ[٣] من أصحاب سُقمان فأخذهم[٤]، وحملَ بردويل إلى خيم صاحبه، وقد سار فيمن معه لاتّباع بيمُنْد، فرأى أصحاب جكرمِش أنّ أصحاب سُقمان قد استولوا على مال الفرنج، ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل، فقالوا لجكرمِش: أيّ منزلة تكون لنا عند الناس، وعند التركمان إذا انصرفوا[٥] بالغنائم دوننا؟ وحسّنوا له أخذ القُمّص، فأنفذ فأخذ القُمّص من خيم سُقمان، فلمّا عاد سُقمان شقّ عليه الأمر، وركب أصحابه للقتال، فردّهم، وقال لهم: لايقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمّهم باختلافنا، ولا أؤثر شفاء غيظي بشماتة الأعداء بالمسلمين. ورحل لوقته، وأخذ سلاح الفرنج، وراياتهم، وألبس أصحابه لبسهم، وأركبهم خيلهم، وجعل يأتي حصون شَيْحَان[٦]، وبها الفرنج، فيخرجون ظنّاً منهم أنّ أصحابهم نُصروا، فيقتلهم ويأخذ الحصن منهم، فعل ذلك بعدّة حصون.

وأما جكرمِش فإنّه سار إلى حرّان، فتسلمها، واستخلف بها صاحبه، وسار إلى الرُّها، فحصرها خمسة عشر يوماً، وعاد إلى الموصل ومعه القُمّص الذي أخذه من خيام سُقمان، ففاداه بخمسة وثلاثين ديناراً، ومائة وستّين أسيراً من المسلمين، وكان عدّة القتلى من الفرنج يقارب اثني عشر ألف قتيل[٧].

---

(١) في (أ) و (ب): «تنكري».

(٢) في الأوربية: «انفرد».

(٣) في الأوربية: «تركمان».

(٤) في الأصل: «فأخذوهم».

(٥) في (ب): «أفردوا».

(٦) في الباريسية: «سحل»، وفي (ب): «سحان».

(٧) تاريخ الفارقي ٢٧٤ (حوادث سنة ٤٧٩ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ٩/١، ١٠، المختصر ٢/٢١٧، العبر ٣/٣٤٥، ٣٤٦ دول الإسلام ٢/٢٧، تاريخ الإسلام ٥٩، ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥، الإعلام والتبيين ١٥، مرآة الجنان ٣/١٦٠، تاريخ ابن خلدون ٥/٣٣، شذرات الذهب ٣/٤٠٤، تاريخ الأزمنة ٩٧.

ذكر وفاة دُقاق وملك ولده

في هذه السنة، في شهر رمضان توفّي الملك دقاق بن تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب دمشق، وخطب أتابكه طُغْتِكِين لولدٍ له صغير، له سنة واحدة، وجعل اسم المملكة فيه، ثم قطع خطبته لبكتاش[1] بن تُتُش، عمّ هذا الطفل، في ذي الحجّة، وله من العمر اثنتا عشرة[2] سنة.

ثم إنّ طُغْتِكِين أشار عليه بقصد الرَّحبة، فخرج إليها فملكها وعاد، فمنعه طُغْتكين من دخول البلد، فمضى إلى حصون له، وأعاد طُغْتِكين خطبة الطفل ولد دُقاق.

وقيل أنّ سبب استيحاش بكتاش من طُغْتِكِين أنّ والدته خوّفته منه، وقالت: إنّه زوج والدة دُقاق، وهي لا تتركه حتّى تقتلك ويستقيم المُلك لولدها؛ فخاف، ثم إنّه حسّن له من كان يحسد طُغْتكين مفارقة دمشق، وقصْد بعلبكّ، وجمع الرجال، والاستنجاد بالفرنج، والعَوْد إلى دمشق، وأخْذها من طُغْتكين، فخرج من دمشق سِرّاً في صفر سنة ثمانٍ وتسعين[وأربعمائة]، ولحِقه الأمير أيتكين الحلبيُّ، وهو من جملة من قرّر مع بكتاش ذلك، وهو صاحب بُصْرَى، فعاثا في نواحي[3] حَوران، ولحِق بهما[4] كلّ من يريد الفساد، وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه، فأجابهما إلى ذلك، وسار إليهما[5] فاجتمعا به، وقرّرا القواعد معه، وأقاما عنده مدّةً، فلم يريا منه[6] غير التحريض على الإفساد في أعمال دمشق، وتخريبها، فلمّا يئسا من نصره عادا من عنده، وتوجّها في البرّية إلى الرَّحْبة، فملكها بكتاش وعاد عنها.

واستقام أمر طُغْتِكِين بدمشق واستبدّ بالأمر، وأحسن إلى الناس، وبثّ فيهم العدل، فسُرّوا به سروراً كثيراً[7].

---

(١) في (أ) و (ب): «اليلناس»، و « نكاش»، و «بكاش»، و «يلياس».

(٢) في الأوربية: «عشر».

(٣) في الأوربية: «ناحية».

(٤) في الأوربية: «بها».

(٥) في الأوربية: «إليه».

(٦) في الباريسية: «عنده».

(٧) تاريخ حلب ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٤، تاريخ الفارقي ٢٧١ (حوادث سنة ٤٩٨ هـ.)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٩ و ١١، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٤، المختصر ٢/ ٢١٧، الدرّة المضية ٤٦٣، العبر ٣/ ٣٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، تاريخ الإسلام ٦٠، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٣، ١٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٩، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيّين ٢٦٣، ٢٦٤.

ذكر استيلاء صدقة على واسِط

في هذه السنة، في شوّال، انحدر سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد من الحِلّة إلى واسِط في عسكر كثير، وأمر فنودي بها في الأتراك: من أقام فقد بَرِئَتْ منه الذمّة؛ فسار جماعة منهم إلى بركيارق، وجماعة إلى بغداذ، وصار مع صدقة جماعة منهم، ثم إنّه أحضر مهذّب الدولة بن أبي الجبر[1]، صاحب البطيحة، فضمّنه البلد لمدّة، آخرها آخر السنة، بخمسين ألف دينار، وعاد إلى الحِلّة، وأقام مهذّب الدولة بواسِط إلى سادس ذي القعدة، وانحدر[2] إلى بلده.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، أُطلق سديد الملك أبو المعالي من الاعتقال، وهو الذي كان وزير الخليفة، ولمّا أُطلق هرب إلى الحِلّة السّيفيّة، ومنها إلى السلطان بركْيارق، فولاّه الإشراف على ممالكه.

وفيها توفّي أمين الدولة أبو سعد العلاء[3] بن الحسن بن الموصلايا، فجأةً، وكان قد أضرّ، وكان بليغاً فصيحاً، وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، خدم الخلفاء خمساً[4] وستّين سنة، كلّ يوم تزداد منزلته، حتّى تاب عن الوزارة، وكان نَصرانياً، فأسلم سنة أربع وثمانين[وأربعمائة]، وكان كثير الصدقة، جميل المحضر، صالح النيّة، ووقف أملاكه على أبواب البرّ؛ ومكاتباته مشهورة حسنة؛ ولمّا مات خُلع على ابن أخته أبي نصر، ولُقّب «نظام الحضرتَين»، وقُلّد ديوان الإنشاء[5].

وفيها كانت ببغداذ بين العامّة فتَن كثيرة، وانتشر العيّارون[6].

وفيها قُتل أبو نُعَيْم بن ساوة[7] الطبيب الواسطيُّ، وكان من الحُذّاق في الطبّ، وله فيه إصابات[8] حسنة.

---

(١) في (أ): «الخير».

(٢) في (أ) و (ب): «وعاد منحدراً».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الأوربية: «خمس».

(٥) انظر عن (ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر: المنتظم ١٧/ ٨٤.

(٧) في (أ) و (ب): «رساده».

(٨) في (ب): «اختيارات».

وفيها عزل السلطان سَنجَر وزيرَهُ المجير أبا الفتح الطُّغرائيّ، وسبب ذلك أنّ الأمير بزغش، وهو أصْفَهْسَلار العسكر السَّنجريّ، أُلقي إليه ملطّف فيه: لا يتمّ لك أمرٌ مع هذا السلطان، ووقع إلى سنجَر، لا يتمّ لك أمر مع الأمير بزغش، مع كثرة جموعه، فجمع بزغش أصحاب العمائم، وعرض عليهم الملطّفَيْن، فاتّفقوا على كاتب الطُّغرائيّ، وظهرت علّيه فقُتل[1]، وقبض سَنجَر على الطُّغرائيّ، وأراد قتله، فمنعه بزغش، وقال: له حقُ خدمةٍ؛ فأبعده إلى غَزْنة. وفيها جمع بزغش كثيراً من عساكر خُراسان، وأتاه[2] كثير من المتطوّعة، وسار إلى قتال الإسماعيلية، فقصد طَبَس، وهي لهم، فخربها وما جاورها من القلاع والقُرى، وأكثر فيهم القتل، والنهب، والسبي، وفعل بهم الأفعال العظيمة، ثم أنّ أصحاب سنجَر أشاروا بأن يؤمّنوا[3]، ويُشرط عليهم أنّهم لا يبنون حصناً، ولا يشترون سلاحاً، ولا يدْعون أحداً إلى عقائدهم، فسخط كثير من الناس هذا الأمان، وهذا الصلح، ونقموه على سَنجَر؛ ثم إنّ بزغش، بعد عوده من هذه الغزاة، توفّي، وكانت خاتمة أمره[4] الجهاد، وحمه الله.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي أبو بكر[أحمد بن علي بن الحسين][5] بن زكريّاء الطُّرَيْثيثيُّ، وكان صوفيّاً محدّثاً مشهوراً.

وفي رجب توفّي القاضي أبو الحسين[6] أحمد بن محمّد الثقفيُّ، قاضي الكوفة، ومولده في ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وهو من ولد عُرْوة بن مسعود، ومن تلاميذ القاضي الدامغانيّ، ووليَ القضاء بعده ابنه أبو البركات.

---

(١) في (أ): «فقبل وضمن».

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «يزينوا»، وفي (ب): «يرموا».

(٤) في (أ) و (ب): «أعماله».

(٥) في طبعة صادر ١٠/٣٧٩، «أبو بكر علي بن أحمد بن زكرياء»، وهو غلط، والتصويب من تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.) ص ٢٤٧، ٢٤٨ رقم ٢٦٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) في تاريخ الإسلام ٢٤٦ رقم ٢٦٢ «أبو الحسن».

وفي ربيع الآخر توفّي أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن البُسريّ[1] البندار[2]، المحدّث، ومولده سنة أربعٍ وأربعمائة[3].

---

(1) انظر عن (ابن البُسْري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٧ هـ.)، ص ٢٥٥ رقم ٢٧٥ وفيه مصادر ترجمته. وقد وقع في الطباعة خطأً: «البسيري».

(2) من (أ) و (ب).

(3) في الأنساب ٢/٢١٢، وتاريخ الإسلام ٢٥٥، وُلد سنة تسع أو عشر.

٤٩٨
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة

ذكر وفاة السلطان بركيارُق

في هذه السنة، ثاني ربيع الآخر، توفّي السلطان بركْيارُق بن ملكشاه[١]، وكان قد مرض بأصبهان بالسلّ، والبواسير، فسار منها في مَحفّة طالباً بغداذ، فلمّا وصل إلى بَرُوجرْدَ ضعُف عن الحركة، فأقام بها أربعين يوماً، فاشتدّ مرضه، فلمّا أيَس من نفسه خلع على ولده ملكشاه، وعُمره حينئذٍ أربع سنين وثمانية أشهر، وخلع على الأمير إياز، وأحضر جماعة الأمراء، وأعلمهم أنّه قد جعل ابنه وليّ عهده في السلطنة، وجعل الأمير إياز أتابكه، وأمرهم بالطاعة لهما، ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده، والذّبّ عنها، فأجابوا كلّهم بالسمع والطاعة، وبَذْل النفوس والأموال في حِفْظ ولده وسلطنته عليه، واستحلفهم على ذلك، فحلفوا، وأمرهم بالمسير إلى بغداذ، فساروا، فلمّا كانوا على اثني عشر فرسخاً من بَرُوجِرُدَ وصلهم خبر وفاته، وكان بركْيارُق قد تخلّف على عزم العَود إلى أصبهان فعاجلته منيّته.

فلمّا سمع الأمير إياز بموته أمر وزيرَه الخطير المبيذيَّ وغيره بأن يسيروا مع تابوته إلى أصبهان، فحُمل إليها، ودُفن في تربة جدّدتْها له سُرّيّته، ثم ماتت بعد أيام، فدُفنت بإزائه، وأحضر إياز السرادقات، والخيام، والجتر، والشمسة، وجميع ما يحتاج إليه السلطان، فجعله برسم ولده ملكشاه.

ذكر عمره وشيء من سيرته

لمّا توفّي بركيارُق كان عمره خمساً[٢] وعشرين سنة، ومدّة وقوع اسم السلطنة

---

(١) انظر عن (السلطان بركيارق) في: تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.)، ص ٦٣ وفيه حشدت مصادره.

(٢) في الأوربية: «خمس».

عليه اثنتي عشرة[1] سنة وأربعة أشهر، وقاسى من الحروب واختلاف الأمور عليه ما لم يقاسيه أحد، واختلفت به الأحوال بين رخاء وشدّة، ومُلك وزواله، وأشرف، في عدّة نُوَب، بعد إسلام[2] النعمة، على ذهاب المهجة[3].

ولمّا قوي أمره، في ذلك الوقت، وأطاعه المخالفون، وانقادوا له، أدركته منيّته، ولم يُهْزَمْ في حروبه غير مرّة واحدة، وكان أُمراءُه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع، حتّى إنّهم كانوا يطلبون نوّابه ليقتلوهم،فلا يمكنه الدفع عنهم، وكان متى خُطب له ببغداذ وقع الغلاء، ووقفت المعايش والمكاسب، وكان أهلها مع ذلك يحبّونه، ويختارون سلطانه.

وقد ذكرنا من تغلّب الأحوال به ما وقفتُ عليه، ومن أعجبها دخوله أصبهان هارباً من عمّه تُتُش، فمكّنه عسكر أخيه محمود صاحبها من دخولها ليقبضوا عليه، فاتّفق أنّ أخاه محموداً مات، فاضطرّوا إلى أن يملّكوه، وهذا من أحسن الفرج بعد الشدّة.

وكان حليماً، صبوراً، عاقلاً، كثير المداراة[4]، حَسَن القدرة، لايبالغ في العقوبة، وكان عفوه أكثر من عقوبته[5].

ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارُق

في هذه السنة خُطب لملكشاه بن بركيارُق بالديوان يوم الخميس سلْخ ربيع الآخر، وخُطب له(بجوامع بغداذ)[6] من الغد، يوم الجمعة.

وكان سبب ذلك أنّ إيلغازي، شِحنة بغداذ، سار في المحرّم إلى السلطان برْكيارُق، وهو بأصبهان، يحثّه على الوصول إلى بغداذ، ورحل مع برْكيارُق، فلمّا مات برْكيارُق سار مع ولده ملكشاه والأمير إياز إلى بغداذ، فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر، ولقوا في طريقهم برداً شديداً لم يشاهدوا مثله، بحيث أنّهم لم يقدروا على الماء لجموده.

---

(١) في الأوربية: «عشر».
(٢) في (أ) و (ب): «أسلاب».
(٣) في (أ) و (ب): «المنجه».
(٤) في الأوربية: «المدراة».
(٥) انظر ترجمة (بركيارق) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٣، ٢٧٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٦) في الباريسية: «ببغداد».

وخرج الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، فلقيهم من دَيَالى، وكانوا خمسة آلاف فارس، وحضر إيلغازي، والأمير طغايرك، بالديوان، وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركْيارُق، فأُجيب إليها، وخُطب له، ولُقب بألقاب جدّه ملكشاه، وهي جلال الدولة، وغيره من الألقاب، ونثرت الدنانير عند الخطبة له.

ذكر حصر السلطان محمّد جكرمش بالموصل

لمّا اصطلح السلطان بركْيارُق والسلطان محمّد، كما ذكرناه في السنة الخالية، وسلّم محمّد مدينة أصبهان إلى بركْيارُق، وسار إليها، أقام محمّد بتِبرِيزَ من أَذَرْبيجان إلى أن وصل أصحابه الذين بأصبهان، فلمّا وصلوا استوزر سعدَ المُلك أبا المحاسن لحسْن أثره[الذي] كان في حِفْظ أصبهان، وأقام إلى صفر من هذه السنة، وسار إلى مَراغة، ثم إلى إربِل يريد قصد جكرمِش، صاحب الموصل، ليأخذ بلاده.

فلمّا سمع جكرمِش بمسيره إليه جدّد سور الموصِل، ورمّ ما احتاج إلى إصلاح، وأمر أهل السواد بدخول البلد، وأذِن لأصحابه في نهب من لم يدخل.

وحصر محمّد المدينة، وأرسل إلى جكرمِش يذكر له الصُّلح بينه وبين أخيه، وأنّ في جملة ما استقرّ أن تكون الموصل[١] وبلاد الجزيرة له، وعرض عليه الكتب من بركْيارُق إليه بذلك، والأيمان على تسليمها إليه، وقال له: أنّ أطعتَ فأنا لا آخذها منك، بل أُقرّها بيدك، وتكون الخطبة لي بها. فقال جكرمِش: إنّ كُتُبَ السلطان وردت إليّ، بعد الصلح، تأمرني أن لا أُسلّم البلد إلى غيره.

فلمّا رأى محمّد امتناعه باكره القتال، وزحف إليه بالنّقّابين، والدبابات، وقاتل أهل البلد أشدّ قتال، وقتلوا خلقاً كثيراً لمحبّتهم لجكرمِش لحسْن سيرته فيهم، فأمر جكرمِش ففُتح في السور أبواب لطاف يخرج منها الرجّالة يقاتلون، فكانوا يكثرون القتل في العسكر، ثم زحف محمّد مرّة، فنقب في السور أصحابه، وأدركهم الليل، فأصبحوا وقد عمره أهل البلد، وشحنوه بالمقاتلة، وكانت الأسعار عندهم رخيصة في الحصار: كانت الحنطة تساوي كلّ ثلاثين مكّوكاً بدينار، (والشعير [كلّ] خمسين مكوكاً بدينار)[٢].

وكان بعض عسكر جكرمِش قد اجتمعوا بتلّ يَعْفَر، فكانوا يغيرون[٣] على أطراف

---

(١) في (أ) زيادة: «وديار بكر».

(٢) من (أ) و (ب).

(٣) في الأوربية: «يغرون».

العسكر، ويمنعون الميرة عنهم، فدام القتال عليهم إلى عاشر جُمادى الأولى، فوصل الخبر إلى جكرمِش بوفاة بركْيارُق، فأحضر أهل البلد، واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان، فقالوا: أموالنا وأرواحنا بين يدَيْك، وأنت أعرف بشأنك، فاستشِر الجُندَ، فهم أعرف بذلك. فاستشار أُمراءه، فقالوا: لمّا كان السلطان حيّاً قد كنّا على الامتناع، ولم يتمكّن أحد من طروق بلدنا، وحيث توفّي فليس للناس اليوم سلطان غير هذا، والدخول تحت طاعته أولى.

فأرسل إلى محمّد يبذل الطاعة، ويطلب وزيره سعد المُلك ليدخل إليه، فحضر الوزير عنده، وأخذ بيده، فقال: المصلحة أن تحضر الساعة عند السلطان، فإنّه لا يخالفك في جميع ما تلتمسه؛ وأخذ بيده وقام، فسار معه جكرمِش، فلمّا رآه أهل الموصِل قد توجّه إلى السلطان، جعلوا يبكون، ويضجّون، ويَحْثون التراب على رؤوسهم، فلمّا دخل على السلطان محمّد أقبل عليه، وأكرمه، وعانقه، ولم يمكّنه من الجلوس، وقال: ارجع إلى رعيّتك، فإنّ قلوبهم إليك، وهم متطلّعون إلى عَودك؛ فقبّل الأرض وعاد ومعه جماعة من خواصّ السلطان، وسأل السلطان من الغد أن يدخل البلد ليزيّن له، فامتنع من ذلك، فعمل سِماطاً، بظاهر الموصل، عظيماً، وحمل إلى السلطان من الهدايا والتُّحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار[1].

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ وصلحه مع ابن أخيه الأمير إياز

لمّا وصل خبر وفاة السلطان بركْيارُق إلى أخيه السلطان محمّد، وهو يحاصر الموصل، جلس للعزاء، وأصلح جكرمِش، صاحب الموصل، كما ذكرناه، وسار إلى بغداذ ومعه سُكْمان القُطبيُّ، وهو يُنسب إلى قُطْب الدولة إسماعيل بن ياقوتي بن داود، وإسماعيل ابن عمّ ملكشاه، وسار معه جكرمِش وغيرهما من الأمراء.

وكان سيف الدولة صَدَقَة، صاحب الحِلّة، قد جمع خلقاً كثيراً من العساكر، فبلغت عدّتهم خمسة عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وأرسل ولدَيْه بدران ودُبَيْساً إلى السلطان محمّد يستحثّه على المجيء إلى بغداذ، فاستصحبهما معه إلى بغداذ.

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، دول الإسلام ٢/ ٢٧، ٢٨، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٨ هـ.) ص ٦٣، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٤.

فلمّا سمع الأمير إياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذي معه من الدُور، ونصبوا الخيام بالزاهر، خارج بغداذ، وجمع الأمراء، واستشارهم فيما يفعله، فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه، ومنْعه عن السلطنة، والاتّفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركْيارُق.

وكان أشدّهم في ذلك ينّال وصَباوة، فإنهما بالغا[١] في الإطماع في السلطان محمّد، والمنع له عن السلطنة[٢]، فلمّا تفرّقوا قال له وزيره الصفيّ[٣] أبو المحاسن: يامولانا إنّ حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك، وأنا أكثر التزاماً بك من هؤلاء، وليس الرأي ما أشاروا به، فإنّ كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً، وأن يقيم سوقاً لنفسه بك، وأكثرهم يناوئك في المنزلة، وإنّما يقعد بهم عن منازعتك قلّة العدد والمال؛ والصواب مصالحة السلطان محمّد وطاعته، وهو يُقرّك على إقطاعك، ويزيدك عليه مهما أردتَ.

فتردّد رأي الأمير إياز بين الصُلح والمباينة، إلاّ أنّ حركته في المباينة ظاهرةٌ، وجمع السفن التي ببغداذ عنده، وضبط المشارع من متطرّقٍ إلى عسكره وإلى البلد.

ووصل السلطان محمّد إلى بغداذ يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جُمادى الأولى، ونزل عند الجانب الغربيّ[٤] بأعلى بغداذ، وخطب له بالجانب الغربيّ، ولملكشاه بن بركْيارُق بالجانب الشرقيّ؛ وأمّا جامع المنصور فأنّ الخطيب قال فيه: اللّهمّ أصلح سلطان العالم! وسكت.

وخاف الناس من امتداد الشرّ والنهب، فركب إياز في عسكَره، وهم عازمون على الحرب[٥]، وسار إلى أن أشرف على عسكر السلطان محمّد، وعاد إلى مخيّمه، فدعا الأمراء إلى اليمين مرّة ثانية على المخالصة لملكشاه، فأجاب البعض، وتوقّف البعض، وقالوا: قد حلفنا مرّة، ولا فائدة في إعادة اليمين، لأنّنا إن وفينا بالأولى وفينا بالثانية، وإن لم نفِ بالأولى فلاَ نَفي[٦] بالثانية.

فأمر إياز حينئذ وزيره الصفيّ أبا المحاسن بالعبور إلى السلطان محمّد في الصلح،

---

(١) في الأوربية: «فإنهم بالغوا».
(٢) من (ب).
(٣) في (أ) و (ب): «الصيفي».
(٤) في (أ) و (ب) زيادة: «عند بيعة وريا».
(٥) هنا ينتهي النص في نسخة (أ).
(٦) في الأوربية: «نَفِ».

وتسليم السلطنة إليه، وترْك منازعته فيها؛ فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر إلى عسكر محمّد، واجتمع بوزيره سعد المُلك أبي المحاسن سعد بن محمّد، فعرّفه ما جاء فيه، فحضرا عند السلطان محمّد، وأدّى الصفيّ رسالة صاحبه إياز، واعتذاره[1] عمّا كان منه أيّام بركْيارُق، فأجابه محمّد جواباً لطيفاً سكّن به قلبه وطيّب نفسه، وأجاب إلى ما التمس منه من اليمين.

فلمّا كان الغد حضر قاضي القضاة، والنقيبان، والصفيّ وزير إياز، عند السلطان محمّد، فقال له وزيره سعد المُلك: إنّ إياز يخاف لما تقدّم منه، وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك، ولنفسه، وللأمراء الذين معه. فقال السلطان: أمّا ملكشاه فأنّه ولدي، ولا فرق بيني وبين أخي، وأمّا إياز والأمراء فأحلف لهم، إلاّ ينالَ الحُساميّ وصبَاوة؛ فاستحلفه إلْكِيّا الهرّاس، مدرّس النظاميّة، على ذلك، وحضر الجماعة اليمين. فلمّا كان من الغد حضر الأمير إياز عند السلطان محمّد، فلقيه وزير السلطان، والناس كافّةً[2]، ووصل سيف الدولة صَدَقَة، ذلك الوقت، ودخلا جميعاً إلى السلطان، فأكرمهما، وأحسن إليهما، وقيل بل ركب السلطان ولقيهما، ووقف أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره[3]، وأقام السلطان ببغداذ إلى شعبان، وسار إلى أصبهان، وفعل فيها ما سنذكره، إن شاء الله تعالى[4].

ذكر قتل الأمير إياز

في هذه السنة، ثالث عشر جُمادى الآخرة، قُتل الأمير إياز، قتله السلطان محمّد.

وسبب ذلك أنّ إياز لـمّا سلّم السلطنة إلى السلطان محمّد صار في جملته، واستحلفه لنفسه، فلمّا كان ثامن جُمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره، وهي دار كوهرائين، ودعا السلطان إليها، وقدّم له شيئاً كثيراً من جملته الحبل[5] البُلْخُش[6] الذي أُخذ من تركة مؤيّد الملك بن نظام الملك، وقد تقدّم ذكر ذلك، وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مَزْيَد.

---

(١) في الأوربية: «واعتذار».

(٢) في الأوربية: «وكافّة الناس».

(٣) في الأوربية: «ايساره».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/٣٥٨، المختصر ٢/٢١٨، دول الإسلام ٢/٢٨، تاريخ الإسلام ٦٤، البداية والنهاية ١٢/١٦٤، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥، مآثر الإنافة ٢/١٤، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٩٢.

(٥) في الأوربية: «الجبل».

(٦) البُلْخُش: جوهر يُجلب من بُلخُشان. (معجم الألفاظ الفارسيّة المعرّبة، لأدي شير، ص ٢٦).

وكان من الاتّفاق الرديء أنّ إياز تقدّم إلى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته، ليعرضهم على السلطان، فدخل عليهم رجل من أبهر يتطايب معهم، ويضحكون منه، مع كونه يتصوّف، فقالوا له: لابدّ(من أن)[1] نُلبسك درعاً ونعرضك(فألبسوه الدرع تحت قميصه، وتناولوه بأيديهم، وهو يسألهم أن يكفّوا عنه، فلم يفعلوا، فلشدّة ما فعلوا به هرب منهم، ودخل بين خواصّ السلطان معتصماً بهم، فرآه السلطان مذعوراً، وعليه لباس عظيم، فاستراب به، فقال لغلام له بالتركيّة ليلمسه من غير أن يعلم أحد، ففعل، فرأى الدرع تحت قميصه، فأعلم السلطان بذلك، فاستشعر، وقال: إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد! وقوي استشعاره لكونه في داره، وفي قبضته، فنهض وفارق الدار وعاد إلى داره.

فلمّا كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الأمير صدقة، وإياز، وجكرمش، وغيرهم من الأمراء، فلمّا حضروا أرسل إليهم: أنّه بلغنا أنّ قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش قصد ديار بكر ليتملّكها، وسيّر منها إلى الجزيرة، وينبغي أن تجتمع آراؤهم على من يسير إله ليمنعه ويقاتله. فقال الجماعة: ليس لهذا غير الأمير إياز؛ فقال إياز: ينبغي أن نجتمع أنا وسيف الدولة صدقة بن مَزْيَد على هذا الأمر، والدَّفع(لهذا القاصد؛ فقيل ذلك للسلطان، فأعاد الجواب بستدعي إياز، وصدقة، والوزير سعد الملك)[2] ليُحرّر الأمر في حضرته، فنهضوا ليدخلوا إليه.

وكان قد أعدّ جماعة من خواصّه ليقتلوا إياز إذا دخل إليه، فلمّا دخلوا ضرب أحدهم رأسه فأبانه. فأمّا صدقة فغطّى وجهه بكمّه، وأمّا الوزير فإنّه غُشي عليه، ولُفّ إياز في مسح وأُلقي على الطريق عند دار المملكة، وركب عسكر إياز، فنهبوا ما قدروا عليه من داره، فأرسل السلطان مَن حماها من النهب، وتفرّق أصحابه من يومهم، وكان زوال تلك النعمة العظيمة، والدولة الكبيرة، في لحظة، بسبب هزل ومزاح، فلمّا كان من الغد كفّنه قوم من المتطوّعة، ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة، رحمه الله.

وكان عمره قد جاوز أربعين سنة، وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه، ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر، فاتّخذه ولداً، وكان غزير المروّة، شجاعاً، حسن الرأي في الحرب.

---

(١) في الأوربية: «ممّا».

(٢) في (ب): «بهما».

وأمّا وزيره الصفيّ فإنّه اختفى، ثم أُخذ وحُمل إلى دار الوزير سعد المُلك، ثم قُتل في رمضان وعمره ستّ وثلاثون[1] سنة، وكان من بيت رئاسة بهمَذان[2].

ذكر وفاة سُقمان بن أُرتق

كان فخر المُلك بن عمّار، صاحب طرابلس، قد كاتب سُقمان يستدعيه إلى نُصرته على الفرنج، وبذل له المعونة بالمال والرجال، فبينما هو يتجهّز للمسير أتاه كتاب طُغْتِكين، صاحب دمشق، يخبره أنّه مريض قد أشفى على الموت، وإنّه يخاف إن مات، وليس بدمشق من يحميها، أن يملكها الفرنج، ويستدعيه ليوصّي إليه، وبما يعتمده في حفظ البلد. فلمّا رأى ذلك أسرع في السير عازماً على أخذ دمشق، وقَصْد الفرنج في طرابلس، وإبعادهم عنها، فوصل إلى القريتَيْن.

واتّصل خبره بطُغْتِكين، فخاف عاقبة ما صنع، ولقوّة فِكره زاد مرضه. ولامه أصحابه على ما فرَّط في تدبيره وخوّفوه عاقبة(ما فعل)[3]، وقالوا له: قد رأيتَ سيّدك تاج الدولة لمّا استدعاه إلى دمشق ليمنعه[4] كيف قتله حين وقعت عينه عليه.

فبينما هم يديرون الرأي بأيّ حيلةٍ يردّونه أتاهم الخبر بأنّه وصل القريتَيْن، ومات، وحمله أصحابه وعادوا به، فأتاهم فرج لم يحسبوه[5]،(وكان مرضه الذي مات به الخوانيق، يعتريه)[6] دائماً، فأشار عليه أصحابه بالعود إلى حصن كِيفا، فامتنع، وقال: بل أسير، فإنْ عوفيتُ تممتُ ما عزمتُ عليه، ولا يراني الله تثاقلتُ عن قتال الكُفّار خوفاً من الموت، وإنْ أدركني أجلي كنتُ شهيداً سائراً في الجهاد. فساروا، فاعتقل لسانه يومَيْن، ومات في صفر، وبقي ابنه إبراهيم في أصحابه، وجُعل في تابوت وحُمل إلى الحصن، وكان حازماً داهياً، ذا رأي، كثير الخير، وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كِيفا[7].

---

(١) في الأوربية: «وثلاثين».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٩٠، المختصر ٢/ ٢١٨، تأريخ الإسلام ٦٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٥.

(٣) في (ب): «أمره».

(٤) من (ب).

(٥) في الأوربية: «يحسبونه».

(٦) في الباريسية: «وكانت تعتريه».

(٧) ذيل تاريخ دمشق ١٤٦، ١٤٧، المختصر ٢/ ٢١٩، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥٣٣، و ٥٥٥، تاريخ الإسلام ٦٦، ٦٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦.

وأمّا ملْكه ماردِين، فإنْ كربوقا خرج من الموصل، فقصد آمِد، وحارب صاحبها، فاستنجد صاحبها، وهو تركمانيّ، بسُقمان، فحضر عنده، وصافّ كربوقا.

وكان عماد الدين زنكي بن آقسَنْقَر، حينئذ، صبياً قد حضر مع كربوقا، ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه، فلمّا اشتدّ القتال ظهر سُقمان، فألقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل، وقالوا: قاتلوا عن ابن صاحبكم! فقاتلوا حينئذٍ قتالاً شديداً، فانهزم سُقمان، وأسروا ابن أخيه ياقوتي بن أُرتُق، فسجنه كربوقا بقلعة ماردين، وكان صاحبها إنساناً[1] مغنياً للسلطان بركْيارُق، فطلب منه ماردين وأعمالها، فأقطعه إيّاها، فبقي ياقوتي في حبسه مدّةً، فمضت زوجة أُرْتُق إلى كربوقا وسألته[2] إطلاقه، فأطلقه، فنزل عند ماردِين، وكانت قد أعجبته، فأقام ليعمل في تملّكها والاستيلاء عليها.

وكان مَن عندَ ماردِين من الأكراد قد طمعوا في صاحبها المغنّي، وأغاروا على أعمال ماردين عدّة دفعات، فراسله ياقوتي يقول: قد صار بيننا مودّة وصداقة، وأُريد أن أعمّر بلدك بأن أمنع عنه الأكراد، وأغير[3] على الأماكن، وآخذ الأموال أُنفقها في بلدك وأُقيم في الرَبَض فأذِن له في ذلك، فجعل يغير[4] من باب خِلاط إلى بغداذ، فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة، طلباً للكسب، وهو يكرمهم، ولا يعترضهم، فأمِنوا إليه.

فاتفق أنّ في بعض الأوقات نزل معه[5] أكثرهم، فلمّا عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم، وسبَقَهم إلى القلعة، ونادى من بها من أهليهم: إن فتحتم الباب، وإلاّ ضربتُ أعناقهم؛ فامتنعوا، فقتل إنساناً منهم، فسلّم القلعة مَن بها إليه وبقي بها.

ثم أنّه جمع جمعاً وسار إلى نَصِيبين، وأغار على بلد جزيرة ابن عُمَر، وهي لجكرمِش، فلمّا عاد أصحابه بالغَنيمة أتاهم جكرمِش، وكان ياقوتي قد أصابه مرض عجز معه عن لبس السلاح، وركوب الخيل، فحُمل إلى فرسه فركبه، وأصابه سهم فسقط منه، فأتاه جكرمِش، وهو يجود[6] بنفسه، فبكى عليه، وقال له: ما حملك على

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب) زيادة: «في».
(٣) في (ب): «وأعبر».
(٤) في (ب): «نعبر».
(٥) من (ب).
(٦) في الأوربية: «مجود».

ما صنعتَ يا ياقوتي؟ فلم يجبه، فمات، ومضت زوجة أُرتُق إلى ابنها سُقمان، وجمعت التركمان، وطلبت بثأر ابن ابنها، وحصر سُقمان نصِيبين، وهي لجكرمِش، فسيّر جكرمِش إلى سُقمان مالاً كثيراً سِرّاً، فأخذه ورضي، وقال: أنه قُتل في الحرب، ولا يُعْرَف قاتله.

وملك ماردين بعد ياقوتي أخوه عليّ، وصار في طاعة جكرمِش، واستخلف بها أميراً اسمه عليّ أيضاً، فأرسل عليّ الوالي بماردين إلى سُقمان يقول له : ابن أخيك يريد أن يسلّم ماردين إلى جكرمِش؛ فسار سُقمان بنفسه وتسلّمها، فجاء إليه عليّ ابن أخيه وطلب إعادة القلعة إليه، فقال: إنّما أخذتُها لئلاّ يخرب البيت؛ فأقطعه جبل جُور، ونقله إليه.

وكان جكرمش يعطي عليّاً كلّ سنة عشرين ألف دينار، فلمّا أخذ عمّه سُقمان ماردين منه، أرسل عليّ إلى جكرمِش يطلب منه المال، فقال: إنّما كنتُ أعطيتُك احتراماً لماردين، وخوفاً من مجاورتك، والآن فاصنع ما أنت صانع، فلا قدرة لك عليّ.

ذكر حال الباطنيّة هذه السنة بخراسان

في هذه السنة سار جمع كثير من الإسماعيلية من طُرَيْثيث، عن بعض أعمال بَيْهَق، وشاعت[1] الغارة في تلك النواحي، وأكثروا القتل في أهلها، والنهب لأموالهم، والسبي لنسائهم، ولم يقفوا على الهدنة المتقدّمة.

وفي هذه السنة اشتدّ أمرهم، وقويت شوكتهم، ولم يكفّوا أيديهم عمّن يريدون قتله، لاشتغال السلاطين عنهم. فمن جملة فعلهم: أنّ قفل الحاجّ تجمّع، هذه السنة، ممّا وراء النهر، وخُراسان، والهند، وغيرها من البلاد، فوصلوا إلى خُوارِ الرَّيّ، فأتاهم الباطنيّة وقت السَّحَر، فوضعوا فيهم السيف، وقتلوهم كيف شاؤوا، وغنموا أموالهم ودوابّهم، ولم يتركوا شيئاً.

وقتلوا هذه السنة أبا جعفر بن المشاط، وهو من شيوخ الشافعيّة، أخذ الفقه عن الخُجَنْديّ، وكان يدرّس بالرَّيّ، ويعظ الناس، فلمّا نزل من كُرسيّه أتاه باطنيّ فقتله[2].

---

(١) في الأوربية: «وساعت».
(٢) تاريخ الإسلام ٦٧.

ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام

في هذه السنة، في شعبان، كانت وقعة بين طَنْكري[1] الفرنجيّ، صاحب أنطاكية، وبين الملك رضوان، صاحب حلب، انهزم فيها رضوان.

وسببها أنّ طَنْكري حصر حصن أرتاحَ، وبه نائب الملك رضوان، فضيّق الفرنج على المسلمين، فأرسل النائب بالحصن إلى رضوان يعرّفه ما هو فيه من الحصر (الذي أضعف نفسه)[2] ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة، وسبعة آلاف من الرجّالة، منهم ثلاثة آلاف من المتطوّعة، فساروا حتّى وصلوا إلى قِنّسْرِين، وبينهم وبين الفرنج قليل، فلمّا رأى طَنْكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد أن يجيب، فمنعه أَصْبَهبذ صباوة، وكان قد قصده، وصار معه بعد قتل إياز، فامتنع من الصلح، واصطفّوا للحرب، فانهزمت الفرنج من غير قتال، ثم قالوا: نعود ونحمل عليهم حملةً واحدةً، فإن كانت لنا، وإلاّ انهزمنا؛ فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا، وانهزموا، وقُتل منهم وأسر كثير.

وأمّا الرجّالة فإنّهم قد دخلوا معسكر الفرنج لمّا انهزموا، فاشتغلوا بالنهب، فقتلهم الفرنج، ولم ينج إلاّ الشريد فأُخذ أسيراً، وهرب مَن في أرتاح إلى حلب، وملكه الفرنج، لعنهم الله تعالى، وهرب أَصْبَهْبذ صباوة إلى طُغتِكين أتابك بدمشق، فصار معه (ومن أصحابه[3])[4].

ذكر حرب الفرنج والمصريّين

في ذي الحجّة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء.

وسببها أنّ الأفضل، وزير صاحب مصر، كان قد سيَّر ولده شرف المعالي في

---

(١) في (ب): «نفكري».

(٢) من (ب).

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) الخبر في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٢ (٢٨)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٨، بغية الطالب (تراجم السلاجقة) ١٤٥، ١٤٦، زبدة الحلب ٢/ ١٥٠، المختصر ٢/ ٢٢٠، العبر ٣/ ٣٤٩، تاريخ الإسلام ٦٧، ٦٨، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٦، الإعلام والتبيين ١٦ وفيه: «قلعة أوتاج»، وهو تصحيف.

السنة الخالية إلى الفرنج، فقهرهم، وأخذ الرَّملة منهم، ثم اختلف المصريّون والعرب، وادّعى كلّ واحد منهما أنّ الفتح له، فأتاهم سَرِيّة الفرنج، فتقاعد كلّ فريق منهما بالآخر، حتّى كاد الفرنج يَظهَرون علَيهم، فرحل عند ذلك شرف المعالي إلى أبيه بمصر، فنفّذ ولدَهُ الآخر، وهو سناء الملك حسين، في جماعة من الأمراء منهم جمال الملك، النائب بعسقلان للمصريّين، وأرسلوا إلى طُغتِكين أتابَك بدمشق يطلبون منه عسكراً، فأرسل إليهم أصْبَهْبذ صَباوة ومعه ألف وثلاثمائة فارس.

وكان المصريّون في خمسة آلاف، وقصَدَهم بَغدوين الفرنجيُّ، صاحب القدس، وعكّة، ويافا، في ألف وثلاثمائة فارس، وثمانية آلاف راجل، فوقع المصافّ بينهم بين عَسقَلان ويافا، فلم تظهر إحدى الطائفتَيْن على الأخرى، فقُتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن الفرنج مثلهم، وقُتل جمال المُلك، أمير عسقلان.

فلمّا رأى المسلمون أنّهم قد تكافأوا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عَسْقلان، وعاد صباوة إلى دمشق، وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش[1] بن تُتُش، وكان طُغتِكين قد عدل في الملك إلى ولد أخيه دُقاق، وهو طفل، وقد ذكرناه، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج، والكون معهم[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عظُم فساد التركمان بطريق خُراسان من أعمال العراق، وقد كانوا قبل ذلك ينهبون الأموال، ويقطعون الطريق، إلاّ أنّهم عندهم مراقبة. فلمّا كانت هذه السنة اطّرحوا المراقبة، وعملوا الأعمال الشنيعة، فاستعمل إيلغازي بن أُرتُق، وهو شِحنة العراق، على ذلك البلد ابن أخيه بَلك بن بَهرام بن أُرتُق، وأمره بحفظه، ومَنْع الفساد عنه، فقام في ذلك القيام[3] المرضيّ، وحمى[4] البلاد، وكفّ الأيدي المتطاولة، وسار بَلك إلى حصن خَانيجارَ، وهو من أعمال سُرخاب بن بدر، فحصره وملكه.

وفيها، في شعبان، جعل السلطان محمّد قسيم الدولة سَنقَر البرسقيَّ شِحنة

---

(١) في الباريسية و (ب): «بلتاش».

(٢) أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/ ٣٥٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام. ٦٨، الإعلام والتبيين ١٦/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٥، تاريخ الأزمنة ٩٧.

(٣) في (ب): «المقام».

(٤) في الأوربية: «وحما».

بالعراق، وكان موصوفاً بالخير، والدين، وحسن العهد، لم يفارق محمّداً في حروبه كلّها[1].

وفيها أقطع السلطان محمّد الكوفة للأمير قايماز، وأوصى[2] صدقةَ أن يحمي أصحابه من خَفاجة، فأجاب إلى ذلك.

وفيها، في شهر رمضان، وصل السلطان محمّد إلى أصبهان، فأمّن أهلها، ووثقوا بزوال ما كان يشمَلهم من الخبط، والعسف، والمصادرة، وشتّان بين خروجه منها هارباً متخفياً، وعوده إليها سلطاناً متمكّناً، وعدل في أهلها، وأزال عنهم ما يكرهون، وكفّ الأيدي المتطرّقة إليهم من الجُند وغيرهم، فصارت[3] كلمة العاميّ أقوى من كلمة الجنديّ، ويد الجنديّ قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله[4].

وفيها كثر الجُدَري في كثير من البلدان، لاسيّما العراق، فإنّه كان به كلّه، ومات به من الصبيان ما لا يحصى، وتبِعه وباء كثير، وموت عظيم[5].

[الوفيات]

وتوفّي في هذه السنة، في شوّال، (أحمد بن)[6] محمّد بن أحمد أبو عليّ البَرَدَانيُّ[7]، الحافظ، ومولده سنة ستّ وعشرين وأربعمائة، سمع ابن غَيْلان والبرمكيَّ، والعشاريَّ وغيرهم.

وتوفّي أبو المعالي ثابت بن بُنْدار[8] بن إبراهيم البقّال، ومولده سنة ستّ عشر وأربعمائة، سمع أبا بكر البرقانيَّ، وأبا عليّ بن شاذان، وكانت وفاته في جُمادى الآخرة من هذه السنة.

---

(١) المنتظم ٩/ ١٤٣ (١٧/ ٩٢)، تاريخ الإسلام ٦٨.

(٢) في (ب) زيادة: «السلطان محمّد».

(٣) في الأوربية: «فصار».

(٤) تاريخ الإسلام ٦٨، ٦٩.

(٥) تاريخ الإسلام ٦٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٦) من (س).

(٧) انظر عن (البرداني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧١، ٢٧٢ رقم ٢٩٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٨) في (ب): «مدار». وانظر عن (ابن بندار) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٧٤، ٢٧٥ رقم ٣٠١ وفيه مصادر ترجمته.

وفي رابع جُمادى الأولى توفّي أبو الحسن محمّد بن عليّ بن أبي الصقر[1]، الفقيه الشافعيُّ، ومولده سنة تسعٍ وأربعمائة، وكان أديباً، شاعراً، فمن قوله:

مـن قـالَ لـي جاهٌ ولـي حـشـمـةٌ ولـــي قـبـــولٌ عـنـــدَ مَـــولانـــا
ولـم يَـعُـد ذاكَ[2] بـنَـفـعٍ عـلـى صَـدِيـقِـه لا كـانَ مَـن كـانـا[3]

وفيها أيضاً توفّي أبو نصر ابن أخت ابن الموصلايا[4]، وكان كاتباً للخليفة جيّد الكتابة، وكان عمره سبعين سنة، ولم يخلّف وارثاً لأنّه أسلم، وأهله نصارى، فلم يرِثوه، وكان يبخَل، إلاّ أنّه كان كثير الصدقة؛ وأبو المؤيّد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغَزْنَويُّ، كان واعظاً، شاعراً، كاتباً، قدِم بغداذَ، ووعظ بها، ونصر مذهب الأشعريّ، وكان له قبولٌ عظيم، وخرج منها، فمات بإِسْفَرَايين.

---

(١) انظر عن (ابن أبي الصقر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ) ص ٢٨٦، ٢٨٧ رقم ٣١٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «ذلك».

(٣) البيتان في: المنتظم ٩/ ١٤٥ (١٧/ ٩٤)، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٥٨.

(٤) انظر عن (ابن أخت ابن الموصلايا) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٨ هـ.) ص ٢٩١، ٢٩٢ رقم ٣٢٣ واسمه: «هبة الله بن الحسن»، وخريدة القصر (قسم شعراء العراق) ج ١/ ١٣٢ ـ ١٣٤، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٨٠ رقم ١٤٠.

٤٩٩
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة

ذكر خروج منكبرس على السلطان محمّد

في هذه السنة، في المحرّم، أظهر منكُبرس ابن الملك بوربرس[١] بن ألب أرسلان، وهو ابن عمّ السلطان محمّد، العصيان للسلطان محمّد والخلاف عليه.

وسبب ذلك: أنّه كان مقيماً بأصبهان، فلحِقته ضائقة شديدة، وانقطعت الموادّ عنه، فخرج منها وسار إلى نَهاوَنْد، فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر، وظاهَرَه على أمره جماعة من الأمراء، وتغلّب على نَهاود، وخطب لنفسه بها، وكاتب الأمراء بني بُرْسُق يدعوهم (إلى طاعته ونصرته.

وكان السلطان محمّد قد قبض على زنكي بن بُرسق)[٢]، فكاتب زنكي إخوته، وحذّرهم من طاعة منكبرس، وما فيها من الأذى والخطر، وأمرهم بتدبير الأمر في القبض عليه.

فلمّا أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا إلى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار إليهم، وساروا إليه، فاجتمعوا به، وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم؛ وهي بلد خُوزستان، وتفرّق أصحابه، وأخذوا منكبرس إلى أصبهان، فاعتقله السلطان مع بني عمّه تُكش، وأخرج زنْكي بن بُرسُق، وأعاده إلى مرتبته، واستنزله وإخوته عن أقطاعهم، وهي ليشتر[٣]، وسابورُ خُواستِ وغيرهما، ما بين الأهواز وهمَذان، وأقطعهم عِوضها الدّينَور وغيرها[٤].

---

(١) في (ب): «بوري برس».

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «الأسر».

(٤) المنتظم ٩/٣٤٦ (١٧/١٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٦، العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.) ص ٧٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/١٩٢.

واتّفق أن ظهر بنَهاوند أيضاً، في هذه السنة، رجل من السواد ادّعى النبوّة، فأطاعه خلق كثير من السواديّة، واتّبعوه، وباعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمانها، فكان يُخْرِج ذلك جميعه، وسمّى أربعة من اصحابه: أبا بكر، وعُمَر، وعثمان، وعليّاً، وقُتل بنَهاوند، فكان أهلُها يقولون: ظهر عندنا، في مدّة شهرَيْن، اثنان ادّعى أحدهما النبوّة، والآخر المملكة، فلم يتمّ لواحد منهما أمره[1].

ذكر الحرب بين طُغتِكين والفرنج

في هذه السنة، في صفر، كانت وقعة بين طُغتِكين، صاحب دمشق، وبين قُمّص كبير[2] من قمامصة الفرنج.

وسبب ذلك: أنّه تكرّرت الحروب، والمغاورات، بين عسكر دمشق(وبَغدوين، فتارة لهؤلاء[وتارة له]، ففي آخر الأمر بنى[3] بَغدوين حصناً بينه وبين دمشق)[4] نحو يومَيْن، فخاف طُغتِكين من عاقبة ذلك، وما يحدث به من الضرر، فجمع عسكره وخرج إلى مقاتلتهم، فسار بغدوين ملك القُدس، وعكّا، وغيرهما، إلى هذا القُمّص ليعاضده، ويساعده على المسلمين، فعرّفه القُمّص غناه عنه، وأنّه قادر على مقارعة المسلمين إن قاتلوه، فعاد بغدَوين إلى عكاً.

وتقدّم طُغتكِين إلى الفرنج، واقتتلوا، واشتد القتال، فانهزم أميران من عسكر دمشق، فتبعهما طُغتكِين وقتلهما، وانهزم الفرنج إلى حصنهم، فاحتموا به، فقال طُغتكِين: مَن[5] أحسن قتالهم وطلب منيّ أمراً فعلته معه، ومن أتاني بحجر[6] من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير. فبذل الرجّالة نفوسهم، وصعدوا إلى الحصن وخرّبوه، وحملوا حجارته إلى طُغتكِين، فوفى[7] لهم بما وعدهم، وأمر بإلقاء الحجارة

---

(١) المنتظم ٩/ ١٤٥، ١٤٦، (١٧/ ٩٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٦، العبر ٣/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، مرآة الجنان ٣/ ١٦١، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، تاريخ الخلفاء ٤٢٩، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) من الباريسية.

(٣) في الأوربية: «بنا».

(٤) من (ب).

(٥) في الأوربية: «ممن».

(٦) من الباريسية.

(٧) في الأوربية: «فوفا».

في الوادي، وأسروا مَن بالحصن، فأمر بهم فقتلُوا كلهم، واستبقى الفرسان أسراء، وكانوا مائتَيْ فارس، ولم ينج ممّن كان في الحصن إلاّ القليل.

وعاد طُغتكِين إلى دمشق منصوراً، فزُيّن البلد أربعة أيّام. وخرج منها إلى رفَنِيَّة، وهو من حصون الشام، وقد تغلّب عليه الفرنج، وصاحبه ابن أُخت صَنْجيل المقيم على حصار طرابلس، فحصره طُغتكِين، وملكه، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج[1].

ذكر الحرب بين عُبادة وخَفاجة

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عُبادة وخَفاجة.

وسببها: أنّ رجلاً من عُبادة أخذ منه جماعة خَفاجة جمليَنْ، فجاء إليهم وطالبهم بهما[2]، فلم يعطوه شيئاً، فأخذ منهم غارة[3] أحد[4] عشر بَعيراً، فلحِقته خَفاجة، وقتلوا من أصحابه رجلاً، وقطعوا يد آخر، وكان ذلك بالموقف من الحِلّة السيفية، ففرق[5] بينهم أهلها.

فسمعت عُبادة الخبر، فتواعدت، وانحدرت إلى العراق للأخذ بثأرها، وساروا مع جماعة من أمرائهم، فبلغت عدّتهم سبعمائة فارس، وكانت خَفاجة دون هذه العدّة، فراسلتهم خَفاجة يبذلون الديّة ويصطلحون، فلم تُجِبهم إلى ذلك عُبادة، وأشار به سيف الدولة صَدَقَة، فلم تقبل عُبادة، فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكُوفة، ومع عبادة الإبل والغنم بين البيوت، فكمّنت لهم خَفاجة ثلاثمائة فارس، وقاتلوهم مطاردةً من غير جدّ في القتال، فداموا كذلك ثلاثة أيّام، ثم إنّهم اشتدّ بينهم القتال، واختلطوا حتّى تركوا الرماح، وتضاربوا بالسيوف.

فبينما هم كذلك، وقد أعيا الفريقان من القتال، إذ طلع كمين خفاجة، وهم مستريحون[6]، فانهزمت عُبادة، وانتصرت عليهم خَفاجة، وقُتل من وجوه عُبادة

---

(١) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ذيل تاريخ دمشق ١٤٩، العبر ٣/ ٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٠، ٧١، الإعلام والتبيين ١٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٢) في الأوربية: «بها».

(٣) في (ب): «عبادة».

(٤) في (ب): «أربعة».

(٥) في الباريسية: «ففارق».

(٦) في الأوربية: «مسترحون».

اثنا[1] عشر رجلاً، ومن خَفاجة جماعة، وغنمت خَفاجة الأموال من الخيل، والإبل، والغنم، والعبيد، والإماء.

وكان الأمير صَدَقَة بن مَزْيد قد أعان خفاجة سراً، فلمّا وصل المنهزمون إليه هنّأهم[2] صَدَقَة بالسلامة، فقال له[3] بعضهم: ما زلت أُقاتل، وأُضارب، وأنا طامع في الظفر بهم، حتّى رأيتُ فرسك الشقراء تحت أحدهم، فعلمتُ أنّهم أجلبوا علينا بخيلك ورَجلك، وأنّنا لاطاقة لنا بهم، فنُصروا علينا بمعونتك، وفلّونا بحدِّك، فلم(يُجِبه صَدَقَة)[4].

ذكر ملك صَدقة البصرة

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، انحدر سيف الدولة من الحِلّة إلى البصرة فملكها. وقد ذكرنا فيما تقدّم تمكُّن إسماعيل بن أرسلانجق من البصرة ونواحيها، وأقام بها عشر سنين نافذ الأمر، وازداد قوةً وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين، وأخذ الأموال السلطانيّة؛ وكان قد راسل صدقةَ، وأظهر له أنّه في طاعته وموافقته. فلمّا استقرّ الأمر للسلطان محمّد أراد أن يرسل إلى البصرة مُقطعاً يأخذها من إسماعيل، فخاطب صدقة في معناه، حتّى أُقرّت البصرة عليه، فأنفذ السلطان عميداً إليها ليتولّى ما يتعلّق بالسلطان هناك،فمنعه إسماعيل، ولم يمكّنه[5] من عمله، وفعل ما خرج به عن حدّ المجاملة، فأمر السلطان صدقةَ بقصده، وأَخْذ البصرة منه، فتحرك لذلك.

فاتّفق ظهور منكبرس، وخلافه على السلطان، وأنّه على قصد واسط؛ فسُرّ إسماعيل بذلك، وزاد انبساطه، وأرسل صدقة حاجباً له، وكان قبله قد خدم أباه وجدّه، إلى إسماعيل يأمره بتسليم الشرطة وأعمالها إلى مهذب الدّولة بن أبي الجبر[6] لأنّها كانت في ضمانه، فوصل إلى الشرطة، وأخذ منها أربعمائة دينار، فأحضره إسماعيل وحبسه، وأخذ الدنانير منه، فلمّا رأى صدقة مكاشفته سار من حِلّته، وأظهر أنّه يريد قصد الرَّحبة، ثم جدّ السير إلى البصرة، فلم يشعر إسماعيل إلاّ بقربه منه، ففرّق

---

(1) في الأوربية: «اثني».
(2) في الأوربية: «فهنأهم».
(3) في الأوربية: «لهم».
(4) في (ب): «فلم يجبهم صدقة إلى ذلك».
(5) في الأوربية: «تمكّنه».
(6) في (ب): «الخير».

أصحابه في القلاع التي استجدّها بمَطَارا ونَهر مَعْقِل، وغيرهما، واعتقل وجوه العبّاسيّين، والعلويّين، وقاضي البصرة، ومدرّسها، وأعيان أهلها.

ونازلهم صدقة، فجرى قتال بين طائفة من عسكره، وطائفة من البصريّين، قُتل فيه أبو النجم بن أبي القاسم الورّاميُّ، وهو ابن خال سيف الدولة صدقة، فممّا مُدح به سيف الدولة، ورُثي به أبو النجم بن أبي القاسم، قول بعضهم:

تَهَنَّ يا خيرَ من يَحمي حريمَ حِمىً ... فتحاً أغَثْتَ به الدُّنيا معَ الدّينِ
رَكبتَ للبَصْرةِ[1] الغَرّاء في نُخَبٍ ... غُر كجَيشِ علي يومَ صِفّينِ
هَوى أبو النَّجمِ كالنَّجمِ المُنيرِ بها ... لكنّه كان رَجْماً للشّياطينِ

وأقام صدقة محاصراً لإسماعيل بالبصرة، فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها، وأعلموه أنّهم لايظفرون بطائل، فأشار عليهم بالمقام، وقالوا: إن رحلنا كانت كسرةً؛ وكان رأي سيف الدولة المقام، وقال: إن تعذر عليّ فتح البصرة لم يطعني أحد، واستعجزني الناس.

ثم إن إسماعيل خرج من البلد، وقاتل صدقةَ، فسار بعض أصحاب صدقة إلى مكان آخر من البلد، ودخلوه، وقتلوا من السواديّة، الذين جمعهم إسماعيل، خلقاً كثيراً، وانهزم إسماعيل إلى قلعته بالجزيرة، فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة وأراد قتله، ففداه[2] أحد غلمانه بنفسه، فوقعت الضربة فيه فأثخنته، فنُهِبت البصرة، وغنم من معه من عرب البرّ، وغيرهم، ما فيها، ولم يسلم منهم إلاّ المحلة المجاورة لقبر طلحة والمِرْبَد، فإنّ العبّاسيّين دخلوا المدرسة النظاميّة وامتنعوا بها، وحموا المِرْبَد، وعمّت المصيبة لأهل البلد، سوى من ذكرنا، وامتنع إسماعيل بقلعته.

فاتّفق أنّ المهذّب بن أبي الجبر[3] انحدر في سفن كثيرة، وأخذ القلعة التي لإسماعيل بمَطَارا، وقتل بها خلقاً من أصحاب إسماعيل، وحمل إلى صدقة كثيراً فأطلقهم.

فلمّا علم إسماعيل بذلك أرسل إلى صدقة يطلب الأمان على نفسه، وأهله، وأمواله، فأجابه إلى ذلك، وأجّله سبعة أيّام، فأخذ كلّ ما[4] يمكنه حمله ممّا يعزّ عليه،

---

(١) في الأوربية: «البصرة».
(٢) في الأوربية: «فغداه».
(٣) في (ب): «الخير».
(٤) في الأوربية: «كلّما».

وما لم يقدر على حمله أهلكه بالماء وغيره، ونزل إلى سيف الدولة، وأمّن سيف الدولة أهل البصرة من كلّ أذىً، ورتّب عندهم شِحنةً، وعاد إلى الحلّة ثالث جمادى الآخرة، وكان مقامه بالبصرة ستّة عشر يوماً.

وأمّا إسماعيل فإنّه لمّا سار صدقة إلى الحلّة قصد هو الباسيان إلى أن وصله ماله في المراكب، وسار نحو فارس، وصار يتعنّت أصحابه، وزوجته، وقبض على جماعة من خواصّه وقال لهم: أنتم سقيتم ولدي أفراسياب السّم حتّى مات! وكان قد مات في صفر من هذه السنة، ففارقه كثير منهم، حتّى زوجته فارقته وسارت إلى بغداذ.

وأخذته الحُمّى، وقويت عليه، فلمّا بلغ رامَهُرْمُز انفرد في خيمته، ولم يظهر لأصحابه يوماً وليلة، فظهر لهم موته، فنهبوا ماله وتفرّقوا، فأرسل الأمير برامَهُرْمُزُ فردّهم وأخذ ما معهم من أمواله، ودُفن بالقرب من إيذَاجَ، وكان عمره قد جاوز خمسين سنة، وكانت سيرته قد حسنت في أهل البصرة أخيراً[1].

ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها

في هذه السنة، في شهر رمضان، حصر الملك رضوان بن تُتُش نَصِيبين.

وسبب ذلك: أنّه عزم على حرب الفرنج، واجتمع معه من الأمراء: إيلغازي بن أرتُق، الذي كان شِحنة بغداذ، وأصْبَهْبَذ صباوَة، وألبي بن أرسلان تاش، صاحب سِنجار، وهو صهر جَكَرْمِش، صاحب الموصل، فقال إيلغازي: الرأي أنّنا نقصد بلاد جكرمِش، وما والاها، فنملكها، ونتكثّر بعسكرها والأموال. ووافقه ألبي، فسار إلى نَصِيبين في عشرة الآف فارس، مستهلّ رمضان، وكان قد جعل فيها أميرَيْن من أصحابه في عسكر، فتحصّنوا بالبلد، وقاتلوا من وراء السور، فرُمي ألبي بن أرسلان تاش بنشّابة، فجُرح جرحاً شديداً، فعاد إلى سِنجار.

وأمّا جكرمِش، فإنّه بلغه الخبر بنزولهم على نَصِيبين، وهو بالحامّة[2]، التي بالقرب من طَنْزَةَ، يتداوى (بمائها من)[3] مرضه، فرحل[4] إلى الموصل، وقد أجفل إليها أهل السواد، فخيّم على باب البلد، عازماً على حرب رضوان، واستعمل المخادعة

---

(١) تاريخ الإسلام (حوادث ٤٩٩ هـ.)، ص ٧٣.

(٢) في (ب): «بالجابية».

(٣) في الباريسية: «بجامتها».

(٤) في (ب): «فدخل».

فكاتب أعيانه عسكر رضوان، ورغّبهم، حتّي أفسد نيّاتهم، وتقدّم إلى أصحابه بنَصِيبين بخدمة الملك رضوان، وبإخراج الإقامات إليه مع الاحتراز[١] منه، وأرسل إلى رضوان يبذل له خدمته، والدخول في طاعته، ويقول له: أنّ السلطان محمّداً قد حصرني، ولم يبلغ منّي غرضاً، فترحّل عن صلح، وإن قبضتَ على إيلغازي الذي قد عرفتَ أنت وغيرك فساده وشرّه فأنا معك، ومُعينك بالرجال والأموال والسلاح.

فاتّفق هذا، ورضوان قد(تغيّرت نيّته)[٢] مع إيلغازي، فازداد تغيّراً، وعزم على قبضه، فاستدعاه يوماً، وقال له: هذه بلادٌ ممتنعة، وربّما استولى الفرنج على حلب، والمصلحة مصالحة جكرمِش، واستصحابه معنا، فإنّه يسير بعساكر كثيرة ظاهرة التجمّل، ونعود[٣] إلى قتال الفرنج، فإنّ ذلك ممّا يعود باجتماع شمل المسلمين. فقال له إيلغازي: إنّك جئت بحكمك، وأنت الآن بحكمي لا أمكّنك من المسير بدون أخذ هذه البلاد، فإن أقمتَ، وإلاّ بدأت بقتالك.

وكان إيلغازي قد قويتْ نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان، وكان الملك رضوان قد واعد قوماً من أصحابه ليقبضوا عليه، فلمّا جرى ما ذكرناه أمرهم رضوان فقبضوا عليه وقيّدوه، فلمّا سمع التركمان الحال أظهروا الخلاف والامتعاض، ففارقوا[٤] رضوان والتجأوا إلى سور المدينة، وأصعد إيلغازي إلى قلعتها، وخرج مَنْ بنَصِيبين من العسكر فأعانوه، فلمّا رأى التركمان ذلك تفرّقوا، ونهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها، ورحل رضوان من وقته وسار إلى حلب.

وكان جكرمِش قد رحل من الموصل قاصداً لحرب القوم، لمّا بلغ تلّ يَعْفَر أتاه المبشّرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق، فرحل عند ذلك إلى سِنجار،ووصلت إليه رسل رضوان[٥] تستدعي منه النجدة، ويعتدّ عليه ما فعل بإيلغازي، فأجابه مغالطة، ولم يفِ له بما وعده، ونازل سِنجار ليشفي غيظه من صهره ألبي بن أرسلان تاش بما اعتمده من معاداته، ومظاهرة أعدائه، وكان ألبي على شدّةٍ من المرض بالسهم الذي أصابه على نَصِيبين، فلمّا نزل جكرمِش عليها أمر ألبي أصحابه أنْ يحملوه إليه، فحملوه في محَفَّة، فحضر عنده، وأخذ يَعتذر ممّا كان منه، وقال: جئتُ

---

(١) في الباريسية: «الاحتراس».

(٢) في الباريسية: «تغير».

(٣) في الباريسية: «ويعود».

(٤) في (ب): «وقابلوا».

(٥) في الباريسية: «سنجار».

مذنباً، فافعل بي ما تراه. فرّق له وأعاده إلى بلده، فلمّا عاد قضى[(١)] نحبه فلمّا مات عصى على جكرمِش من كان بسِنجار، وتمسّكوا بالبلد، فقاتلهم[(٢)] بقية رمضان، وشوّالاً، ولم يظفر منهم بشيء، فجاء تميرك أخو أرسلان تاش، عمّ ألبي، فأصلح حاله مع جكرمِش، وبذل له الخدمة، فعاد إلى الموصل.

ذكر ملك طغتكين بُصْرى

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين[وأربعمائة] حال بكتاش[(٣)] بن تُتُش، وخروجه من دمشق، واتّصاله بالفرنج، ومعه أيتكين الحلبيُّ، صاحب بُصْرى، وسيْرهما إلى الرَّحْبة، وعودهما عنها، فلمّا ضعُفت أحوالهم سار طُغتِكين إلى بُصرى فحصرها، وبها أصحاب أيتكين، فراسلوا طُغتِكينَ، وبذلوا له التسليم إليه، بعد أجلٍ قرّروه بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فرحل عنهم إلى دمشق، فلمّا انقضى الأجل، هذه السنة، تسلّمها، وأحسن إلى من بها، ووفى[(٤)] لهم بما وعدهم، وبالغ في إكرامهم، وكثُر الثناء عليه، والدعاء له، ومالت النفوس إليه، وأحبّوه[(٥)].

ذكر ملك الفرنج حصن أفامِيَةَ

في هذه السنة ملك الفرنج أفامِيَةَ من بلد الشام.

وسبب ذلك: أنّ خَلَفَ بن مُلاعب الكلابيّ كان متغلباً على حِمص، وكان الضرر به عظيماً، ورجاله يقطعون الطريق، فكثُر الحراميّة عنده، فأخذها منه تُتُش بن ألب أرسلان وأبعده عنها، فتقلّبت به الأحوال إلى أن دخل إلى مصر، فلم يلتفت إليه من بها، فأقام بها.

واتّفق أنّ المتولّي لأفامِية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر، وكان يميل إلى مذهبهم، يستدعي منهم من يسلّم إليه الحصن، وهو من أمنع الحصون، وطلب ابن ملاعب منهم أن يكون هو المقيم به، وقال: إنّني أرغب في قتال الفرنج، وأوثر الجهاد. فسلّموه إليه، وأخذوا رهائنه، فلمّا ملكه خلع طاعتهم ولم يرعَ حقّهم،

---

(١) في الأوربية: «قضا».

(٢) في الأوربية: «فقاتله».

(٣) في الباريسية: «بلتاش»، والمثبت من (ب).

(٤) في الأوربية: «ووفا».

(٥) ذيل تاريخ دمشق ١٤٥، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣.

فأرسلوا إليه يتهدّدونه بما يفعلونه بولده الذي عندهم. فأعاد الجواب: إنّني لا أنزل من مكاني، وابعثوا إليّ ببعض أعضاء ولدي حتّى آكله؛ فأيِسوا من رجوعه إلى الطاعة، وأقام بأفامية يخيف السبيل، ويقطع الطريق، واجتمع عنده كثير من المفسدين، فكثرت أمواله.

ثم إنّ الفرنج ملكوا سَرْمِينَ، وهي من أعمال حلب، وأهلها[١] غُلاة في التشيّع، فلمّا ملكها[٢] الفرنج تفرّق أهلها[٣]، فتوجّه القاضي الذي بها[٤] إلى ابن ملاعب وأقام عنده، فأكرمه، وأحبّه، ووثق به، فأعمل القاضي الحيلة عليه، وكتب إلى أبي طاهر، المعروف بالصائغ، وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان، ووجوه الباطنيّة ودُعاتهم، ووافقهم على الفتك بابن مُلاعب، وأن يسلّم أفامية إلى الملك رضوان، فظهر شيء من هذا، فأتى إلى ابن مُلاعب أولاده، وكانوا قد تسلّلوا إليه من مصر، وقالوا له: قد بلَغَنا عن هذا القاضي كذا وكذا، والرأي أن تعاجله، وتحتاط لنفسك، فإن الأمر قد اشتهر وظهر. فأحضره ابن مُلاعب، فأتاه في كُمّه مصحَف، لأنه رأى أمارات الشرّ، (فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه)[٥]، فقال له: أيّها الأمير، قد علم كلّ أحد أنّي أتيتُك خائفاً جائعاً، فأمَّنتَني، وأغنيتَني، وعزّزتَني، فصرتُ ذا مالٍ وجاهٍ، فإن كان بعض من حسدني على منزلتي منك، وما غمرني من نعمتك سعى بي إليك، فأسألك أن تأخذ جميع ما معي، وأخرج كما جئتُ. وحلف له على الوفاء والنصح، فقبل عذره وأمَّنه.

وعاود القاضي مكاتبة أبي طاهر بن[٦] الصائغ، وأشار عليه أن يوافق رضوان على إنفاذ ثلاثمائة رجل من أهل سرمين، وينفذ معهم خيلاً من خيول الفرنج، وسلاحاً من أسلحتهم، ورؤوساً من رؤوس الفرنج، ويأتوا[٧] إلى ابن ملاعب ويظهروا[٨] أنهم غزاة ويشكوا[٩] من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم، وأنّهم فارقوه، فلقيهم طائفة

---

(١) في الأوربية: «وأهله».
(٢) في الأوربية: «ملكه».
(٣) في الأوربية: «أهله».
(٤) في الأوربية: «به».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).
(٧) في الأوربية: «ويأتون».
(٨) في الأوربية: «ويظهرون».
(٩) في الأوربية: «ويشكون».

من الفرنج، فظفروا بهم، ويحملوا[1] جميع ما معهم إليه، فإذا أذن لهم في المقام اتّفقت ارآؤهم على إعمال الحيلة عليه، ففعل ابن[2] الصائغ ذلك، ووصل القوم إلى أفامية، وقدِموا إلى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها، فقبل ذلك منهم، وأمرهم بالمقام عنده، وأنزلهم في رَبَض أفامية.

فلمّا كان في بعض اللّيالي نام الحرّاس بالقلعة، فقام القاضي ومَن بالحصن من أهل سَرمِين، ودلّوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم، وقصدوا أولاد ابن مُلاعب، وبني عمّه، وأصحابه، فقتلوهم، وأتى القاضي وجماعة معه إلى ابن ملاعب، وهو مع امرأته، فأحسّ بهم، فقال: مَن أنت؟ فقال: ملك الموت جئتُ لقبض روحك؟ فناشده الله، فلم يرجع عنه، وجرحه[3]، وقتله، وقتل أصحابه، وهرب ابناه، فقُتل أحدهما، والتحق الآخر بأبي الحسن بن مُنقِذ، صاحب شَيْزر، فحفظه لعهد كان بينهما.

ولمّا سمع ابن الصائغ خبر أفامية سار إليها، وهو لا يشك أنّها له، فقال له القاضي: أن وافقتَني، وأقمت معي، فبالرحب والسَّعَة، ونحن بحكمك، وإلاّ فارجع من حيث جئتَ. فأيِسَ ابن الصائغ منه، وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طُغتكِين، غضبان على أبيه، فولاّه طُغتكِين حصناً، وضمِن على نفسه حفظ الطريق، فلم يفعل، وقطع الطريق، وأخذ القوافل، فاستغاثوا إلى طُغتكِين منه، فأرسل إليه مَنْ طلبه، فهرب إلى الفرنج، واستدعاهم إلى حصن أفامية، وقال: ليس فيه غير قوت شهرٍ؛ فأقاموا عليه يحاصرونه، فجاع أهله، وملكه الفرنج، وقتلوا القاضي المتغلّب عليه، وأخذوا الصائغ فقتلوه، وكان هو الذي أظهر مذهب الباطنيّة بالشام[4].

(هكذا ذكر بعضهم أنّ أبا طاهر الصائغ قتله الفرنج بأفامية، وقد قيل إنّ ابن بديع، رئيس حلب، قتله سنة سبع وخمسمائة، بعد وفاة رضوان، وقد ذكرناه هناك، والله أعلم)[5].

---

(١) في الأوربية: «ويحملون».

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «وضربه».

(٤) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٨/ ٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤١، ذيل تاريخ دمشق ١٥٠، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٢٩، ١٣٠، زبدة الحلب ٢/ ١٥١، ١٥٢، المختصر ٢/ ٢٢٠، دول الإسلام ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٧١ ـ ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧، إتعاظ الحنفا ٣/ ٣٦، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٢، شذرات الذهب ٣/ ٤٠٩.

(٥) ما بين القوسين من الباريسية.

ذكر نهب العرب البصرة

قد ذكرنا استيلاء الأمير صدقة على البصرة، وأنّه استناب بها مملوكاً كان لجدّه دُبَيْس بن مَزْيد، اسمه ألْتُونتاش، وجعل معه مائة وعشرين فارساً. فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضمّ إليها من العرب، وقصدوا البصرة في جمع كثير، فقاتلهم ألْتُونتاش، فأسروه، وانهزم أصحابه، ولم يقدر مَن بها على حفظها، فدخلوها بالسيف أواخر ذي القعدة، وأحرقوا الأسواق، والدُّور الحسان، ونهبوا ما قدروا عليه، وأقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوماً، وتشرّد[1] أهلها[2] في السواد، ونُهبت خزانة كتب كانت موقوفة، وقفها القاضي أبو الفرج بن أبي البقاء.

وبلغ الخبر صدقة، فأرسل عسكراً، فوصلوا وقد فارقها العرب. ثم إنّ السلطان محمّداً أرسل شِحنةً وعميداً إلى البصرة، وأخذها من صدقة، وعاد أهلها إليها وشرعوا في عمارتها[3].

ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج

كان صنجيل الفرنجيّ، لعنه الله، قد ملك مدينة جَبَلَة، وأقام على طرابلس يحصرها، فحيث لم يقدر أن يملكها، بنى بالقرب منها حصناً، وبنى[4] تحته ربضاً، وأقام مُراصِداً لها، ومنتظراً وجود فرصة فيها، فخرج فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، فأحرق رَبَضَهُ، ووقف صَنْجيل على بعض سقوفه المحترقة، ومعه جماعة من القمامصة والفرسان، فانخسف بهم، فمرض صَنْجِيل من ذلك عشرة أيّام ومات، وحُمل إلى القدس فدُفن فيه[5].

ثم إنّ ملك الروم أمر أصحابه باللاذقيّة ليحملوا الميرة إلى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس، فحملوها في البحر، فأخرج إليها فخر المُلك بن عمّار أُسطولاً، فجرى

---

(١) في (ب): «وفسد».

(٢) في الأوربية: «أهله».

(٣) تاريخ الإسلام ٧٣.

(٤) في الأوربية: «بنا».

(٥) العبر ٣/٣٥٣، تاريخ الإسلام ٧٣، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧ وفيه قال ابن الوردي:

نقلوا صنجيل من نارٍ … إلى نارٍ تضطرم
قبره إن كان في القدس … ففي وادي جهنم

وجاء في تاريخ الأزمنة للدويهي ٩٧ أن صنجيل دُفن عند جبل الغرب بشرق طرابلس.

بينهم وبين الروم قتال شديد، فظفر المسلمون بقطعة من الروم، فأخذوها، وأسروا من كان بها وعادوا.

ولم تزل الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين إلى هذا الوقت، فعدمت الأقوات به، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحُرَمهم، فجلا الفقراء، وافتقر الأغنياء، وظهر من ابن عمّار صبر عظيم، وشجاعة، ورأي سديد.

ومّما أضرّ بالمسلمين فيها أنّ صاحبها استنجد سُقمان بن أرتُق، فجمع العساكر وسار إليه، فمات في الطريق، على ما ذكرناه، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه.

وأجرى ابن عمّار الجرايات على الجُند والضَّعْفى، فلمّا قلّت الأموال عنده شرع يقسّط على الناس ما يخرجه في باب الجهاد، فأخذ من رجليَنْ من الأغنياء مالاً مع غيرهما، فخرج الرجلان إلى الفرنج، وقالا: إنّ صاحبنا صادرنا، فخرجنا إليكم لنكون معكم؛ وذكرا لهم أنّه تأتيه الميرة من عرقَةَ والجبل، فجعل الفرنج جمعاً على ذلك الجانب يحفظه من دخول شيء إلى البلد، فأرسل ابن عمّار وبذل للفرنج مالاً كثيراً ليسلّموا الرجلَيْن إليه، فلم يفعلوا، فوضع عليهما من قتلهما غيلة[1].

وكانت طرابلس من أعظم بلاد الإسلام وأكثرها تجمّلاً وثروةً، فباع أهلها من الحُلى، والأواني الغريبة، ما لا حدّ عليه، حتّى بيع كلّ مائة درهم نُقرة بدينار. وشتّان بين هذه الحالة وبين حال الروم أيّام السلطان ألب أرسلان، وقد ذكرتُ ظفره بهم سنة ثلاث وستّين وأربعمائة، وقد كان بعض أصحابه، وهو كُمُشْتِكِين دواتي، عميد المُلك، هرب منه خوفاً لمّا قُبض على صاحبه عميد المُلك، وسار إلى الرقّة فملكها، وصار معه كثير من التركمان، فيهم: الأفشين، وأحمد شاه، فقتلاه، وأرسلا أمواله إلى ألب أرسلان، ودخل الأفشين بلاد الروم، وقاتل الفردوس[2]، صاحب أنطاكية، فهزمه، وقتل من الروم خلقاً كثيراً.

وسار ملك الروم من القُسطنطينيّة إلى مَلَطْيَةَ، فدخل الأفشين بلاده، ووصل إلى عَمّوريَة، وقتل في غزاته مائة ألف آدمي، ولمّا عاد إلى بلاد الإسلام وتفرّق مَن معه خرج عليه عسكر الرُّها، وهي حينئذ للروم، ومعهم بنو نُمير من العرب، فقاتلهم، ومعه مائتا فارس، فهزمهم ونهبهم، ونهب بلاد الروم، فأرسل ملك الروم رسولاً إلى القائم

---

(١) في (ب) زيادة: «عندهم لعنهم الله».

(٢) في (ب): «الفروردس».

بأمر الله يسأله الصلح، فأرسل إلى ألب أرسلان في ذلك، فصالح الرومَ على مائة ألف دينار، وأربعة الآف ثوب أصنافاً[١]، وثلاثمائة رأس بغالا[٢]. فشتّان بين الحالتَيْن.

وأقول شتّان بين حال المرْذولين الذين استعجزهم، وبين حال الناس في زماننا هذا، وهو سنة(ستّ عشرة)[٣] وستّمائة مع الفرنج أيضاً والتتر، وسيرى ذلك مشروحاً، أن شاء الله تعالى، لتعلم الفرق، نسأل الله تعالى أن ييسّر للإسلام وأهله قائماً يقوم بنصرهم، وأن يدفع عنهم بمن أحبّ من خلقه، وما ذلك على الله بعزيز[٤].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة ورد إلى بغداذ إنسان من الملثّمين، ملوك الغرب، قاصداً إلى دار الخلافة، فأُكرم، وكان معه إنسان يقال له الفقيه، من الملثّمين أيضاً، فوعظ الفقيه في جامع القصر[٥]، واجتمع له العالم العظيم، وكان يعِظ وهو متلثّم لا يظهر منه غير عينَيْه، وكان هذا الملثّم قد حضر مع ابن الأفضل، أمير الجيوش بمصر، وقعتَهُ مع الفرنج، وأبلى بلاء حسناً.

وكان سبب مجيئه إلى بغداذ: أنّ المغاربة كانوا يعتقدون في العلويّين، أصحاب مصر، الاعتقاد القبيح، إذا أرادوا الحجَّ، يعدلون عن مصر، وكان أمير الجيوش بدر والد الأفضل أراد إصلاحهم، فلم يميلوا إليه، ولا قاربوه. فأمر بقتل مَنْ ظفر به منهم، فلمّا ولِيَ ابنه الأفضل أحسن إليهم، واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج، وكان هذا من جملة مَنْ قاتل معه، فلمّا خالط المصريّين خاف العودة إلى بلاده، فقدم بغداذ، ثم عاد إلى دمشق، ولم يكن للمصريّين حرب مع الفرنج إلاّ وشهدها، فقُتل في بعضها شهيداً، وكان شجاعاً فتّاكاً مقداماً.

وفيها، في ربيع الآخر، ظهر كوكب في السماء له ذُؤابة، كقوس قُزَح، آخذة من المغرب إلى وسط السماء، وكان يُرى قريباً من الشمس قبل ظهوره ليلاً، وبقي يظهر عدّة ليالٍ، ثم غاب.

---

(١) في الأوربية: «أصناف».

(٢) في الأوربية: «بغال».

(٣) في (ب): «خمس وعشرين» وهذا غلط لأن المؤلّف ابن الأثير ـ رحمه الله ـ توفي سنة ٦٢٠ هـ.

(٤) في الأوربية: «العزيز». وانظر خبر طرابلس في: ذيل تاريخ دمشق ١٤٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ورقة ٢٥١ ب، (مطبوع) ج ٨ ق ١/١٣، وتلخيص مجمع الآداب ج ٤ ق ٣/٢٦٥، وتاريخ الإسلام ٧٣، ٧٤، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢١٣، ٢١٤.

(٥) في (ب): «الذي بناه المنصور».

وفيها وصل الملك قلج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش، صاحب بلاد الروم، إلى الرُّها ليحصرها، وبها الفرنج، فراسله أصحاب جَكَرمِش المقيمون بحرَّان ليسلّموها إليه، فسار إليهم وتسلّم البلد، وفرح به الناس لأجل جهاد الفرنج، فأقام بحرَّان أيّاماً، ومرض مرضاً شديداً، أوجب عوده إلى مَلَطْيَةَ، فعاد مريضاً، وبقي أصحابه بحرّان.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفيّ الشيخ أبو منصور المقري، إمام مسجد ابن جردة[1]، وكان خيراً صالحاً.

وفيها قُتل القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد[2] النَّيسابوريّ الحنفيُّ بجامع أصبهان، قتله باطنيّ.

وفيها توفيّ أبو الفوارس الحسين بن عليّ بن الخازن[3]، صاحب الخطّ الجيّد، وعمره سبعون[4] سنة؛ قيل إنّه كتب خمسمائة ختمة[5].

وفيها، في المحرّم، توفّي القاضي أبو الفرج عُبيد الله بن الحسن[6]، قاضي البصرة، وله ثلاث وثمانون سنة، وكان من الفقهاء الشافعيّة المشهورين، تفقّه على الماوَرْديّ، وأبي إسحاق، وأخذ النحو عن الرَّقيّ، والدّهان، وابن بُرهان، وكان عفيفاً، مُقدَّماً عند الخلفاء والسلاطين.

وفيها، في المحرّم، توفيّ سهل بن أحمد بن عليّ الأرْغِيانِيُّ[7]، أبو الفتح الحاكم، تفقّه على الجُوَينيّ، وبرّز، ثم ترك المناظرة، وبنى رباطاً، واشتغل بالعبادة وقراءة القرآن.

---

(١) في تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٥ رقم ٣٣١ «ابن جرادة». وانظر: غاية النهاية ٢٠٧/١ رقم ٩٥٢ وهو: «الحسن بن أحمد بن علي بن فتحان».

(٢) في طبعة صادر ٤١٥/١٠ «صاعد بن أبي محمّد»، والصحيح ما أثبتناه. وهذا قتل في سنة ٥٠٢ هـ. وسيعيده المؤلف ـ رحمه الله ـ هناك في (عدة حوادث).

(٣) في (ب): «الحارث».

(٤) في الأوربية: «سبعين».

(٥) سيعاد في وفيات ٥٠٢ هـ.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) انظر عن (الأرغياني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٢٩٧، ٢٩٨ رقم ٣٣٦ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في صفر، توفّي الأمير مهارش بن مجلّي[1] وله نحو ثمانين سنة[2]، وهو الذي كان الخليفة القائم عنده بالحَدِيثَة، وكان كثير الصلاة والصوم، يحبّ الخير وأهله؛(ولمّا توفيّ ملكَ الحَدِيثَةَ بعده ابنه سليمان)[3].

---

(١) في (ب) زيادة: «عكيب».

(٢) انظر عن (مهارش) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٤٩٩ هـ.) ص ٣٠٩ رقم ٣٥٠ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) من (ب).

٥٠٠
ثم دخلت سنة خمسمائة

ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي أمير المسلمين يوسف بن تاشفِين، ملك المغرب والأندلس، وكان حَسَن السيرة، خيّراً، عادلاً، يميل إلى أهل الدين والعلم، ويكرمهم، ويصدر عن رأيهم، ولمّا ملك الأندلس، على ما ذكرناه، جمع الفقهاء، وأحسن إليهم، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على الكافّة؛ فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله، أمير المؤمنين، رسولاً ومعه هدية كثيرة، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، وما اعتمده من نصرة الإسلام، ويطلب تقليداً بولاية البلاد، فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما أراد، ولُقّب أمير المسلمين، وسُيّرت إليه الخِلع، فسُرّ بذلك سروراً كثيراً، وهو الذي بنى[1] مدينة مَرَّاكشُ للمرابطين، وبقي على ملكه إلى سنة خمسمائة، فتوفّي وملك بعده البلاد ولده عليُّ بن يوسف، وتلقّب أيضاً أمير المسلمين، فازداد في إكرام العلماء والوقوف عند إشارتهم، وكان إذا وعظه أحدهم خشع عند استماع الموعظة، ولانَ قلبه لها، وظهر ذلك عليه.

وكان يوسف بن تاشفين حليماً، كريماً، ديّناً، خيّراً، يحبّ أهل العلم والدين، ويحكّمهم في بلاده؛ وكان يحبّ العفو والصفح عن الذنوب العظام، فمن ذلك أنّ ثلاثة نفر اجتمعوا، فتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها، وتمنّى الآخر عملاً يعمل[2] فيه لأمير المسلمين، وتمنّى الآخر زوجته النفزاويّة[3]، وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم، وأعطى متمنّي المال ألف دينار، واستعمل الآخر،

---

(١) في الأوربية: «بنا».

(٢) في الأوربية: «يعمله».

(٣) في الباريسية: «النفراوتة»، والمثبت من (ب).

وقال للذي تمنّى زوجته: يا جاهل! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إليها، فتركتْه في خيمة ثلاثة أيّام تحمل إليه كلّ يوم طعاماً واحداً، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلتَ هذه الأيّام؟ قال: طعاماً واحداً؛ فقالت: كلّ النساء شيء واحد. وأمرتْ له بمال وكسوة وأطلقتْه[1].

ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك

في هذه السنة قُتل فخر المُلك أبو المظفّر عليُّ بن نظام المُلك، يوم عاشوراء، وكان أكبر أولاده، وقد ذكرنا سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائة وزارته للسلطان بركْيارُق، فلمّا فارق وزارته قصد نَيسابور، وأقام عند الملك سَنجَر بن ملكشاه، وَوَزَر له، وأصبح يوم عاشوراء صائماً، وقال لأصحابه: رأيتُ الليلة في المنام الحسين بن عليّ، عليه السّلام، وهو يقول: عجّل إلينا، وليكُنْ إفطارك عندنا؛ وقد اشتغل فكري به، ولا مَحِيد عن قضاء الله وقدره! وقالوا له: يحميك[2] الله، والصواب أن لا تخرج اليوم والليلة من دارك؛ فأقام يومه يصلّي، ويقرأ القرآن، وتصدّق بشيء كثير.

فلمّا كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء، فسمع صياح متظلّم، شديد الحُرْقة، وهو يقول: ذهب المسلمون، فلم يبقَ من يكشف مظلمة، ولا يأخذ بيد ملهوفٍ! فأحضره عنده، رحمةً له، فحضر فقال: ما حالك؟ فدفع إليه رقعة، فبينما فخر الملك يتأمّلها إذ ضربه بسكّين فقضى عليه، فمات، فحُمل الباطنيُّ إلى سَنجَر، فقرّره، فأقرّ على جماعة من أصحاب السلطان كذباً، وقال: إنّهم وضعوني على قتله؛ وأراد أن يقتل بيده وسعايته، فقتل مَن ذكر، وكان مكذوباً عليهم، ثم قتل الباطنيُّ بعدهم، وكان عمر فخر المُلك ستّاً[3] وستّين سنة[4].

ذكر ملك صدقة بن مَزْيد تكريت

في هذه السنة، في صفر، تسلّم الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مَزْيد قلعة تَكْريت، وقد ذكرنا فيما تقدّم أنّها كانت لبني مقن العُقَيْليّين، وكانت إلى آخر سنة

---

(١) أنظر عن (ابن تاشفين) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٩ رقم ٣٦٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) في الأوربية: «يحثيك».

(٣) في الأوربية: «ست».

(٤) المنتظم ٩/١٤٨ (١٧/٩٩)، المختصر ٢/٢٢١، تاريخ الإسلام ٧٥، ٧٦، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧، ١٨، البداية والنهاية ١٢/١٦٧، النجوم الزاهرة ٥/١٩٤.

سبع وعشرين وأربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن، فمات، ووليها ابن أخيه أبو منعة خمِيس بن تغلب بن حمّاد، ووجد بها خمسمائة ألف دينار سوى المصاغ، وتوفّي سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمائة، ووليها ولده أبو غشّام.

فلمّا كان سنة أربع وأربعين [وأربعمائة] وثب عليه عيسى فحبسه، وملك القلعة والأموال، فلمّا اجتاز بهَ طُغْرُلبك سنة ثمانٍ وأربعين [وأربعماية] صالحه على بعض المالَ فرحل عنه.

وخافت زوجته أميرة، بعد موته، أن يعود أبو غشّام (فيملك القلعة)[1]، فقتلته، وكان قد بقي في الحبس أربع سنين، واستنابت في القلعة أبا الغنائم بن المحلبان، فسلّمها إلى أصحاب السلطان طُغْرُلبك، فسارت إلى الموصل، فقتلها ابن أبي غشّام بأبيه، وأخذ شرف الدولة مسلّم بن قريش مالها، وردّ طُغْرُلبك أمر القلعة إلى إنسان يُعرف بأبي العبّاس الرازيّ، فمات بها بعد ستّة أشهر، فملكها المهرباط، وهو أبو جعفر محمّد بن أحمد بن خُشْنام من بلد الثغر، فأقام بها إحدى وعشرين سنة ومات، ووليها ابنه سنتَيْن، وأخذتها منه تُركان خاتون، ووليها لها كوهرائين.

ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقَر، صاحب حلب، فلمّا قُتل صارت للأمير كُمُشْتِكين الجاندار، فجعل فيها رجلاً يُعرف بأبي المصارع، ثم عادت إلى كوهرائين إقطاعاً، ثم أخذها منه مجد المُلك البلاسانيُّ، فولّى فيها كيقُباذ بن هزارسب الديلميّ، فأقام بها اثنتي عشرة سنة، فظلم أهلها، وأساء السيرة، فلمّا اجتاز به سُقمان بن ارتُق سنة ستّ وتسعين [وأربعمائة] ونهبها، كان كيقُباذ ينهبها ليلاً، وسُقمان ينهبها نهاراً.

فلمّا استقرّ السلطان محمّد بعد موت أخيه بركْيارُق أقطعها للأمير آقسنقَر البرسقيّ، شِحنة بغداذ، فسار إليها وحصرها مدّة تزيد على سبعة أشهر، حتّى ضاق على كيقباذ الأمر، فراسل صدقةَ بن مَزْيَد ليسلّمها إليه، فسار إليها في صفر هذه السنة وتسلّمها منه، وانحدر البرسقيُّ ولم يملكها.

ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانيّة أيّام، وكان عمره ستّين سنة، واستناب صدقة بها ورّامَ بن أبي فِراس بن ورّام؛ وكان كيقباذ يُنسب إلى الباطنيّة، وكان موته من سعادة صدقة، فإنّه لو أقام عنده لعرّض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه[2].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

ذكر الحرب بين عُبادة وخفَاجة

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، كانت حرب بين عُبادة وخَفاجة، فظفرت عُبادة، وأخذت بثأرها من خَفاجة.

وكان سبب ذلك أنّ سيف الدولة صدقة أرسل ولدَه بدران في جيش إلى طرف[1] بلاده ممّا يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لأنّهم يؤذون أهل تلك النواحي، فقربوا منه، وتهدّدوا أهل البلاد، فكتب إلى أبيه يشكو منهم، ويعرّفه حالهم، فأحضر عُبادة، وكانت خفَاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه، فلمّا حضروا عنده قال لهم ليتجهّزوا مع عسكره (ليأخذوا بثأرهم من خفَاجة، فساروا في مقدّم عسكره)[2]، فأدركوا حلّة من خَفاجة من بني كليب ليلاً، وهم غارّون، لم يشعروا بهم، فقالوا: مَنْ أنتم؟ فقالت: (عُبادة: نحن)[3] أصحاب لديون، فعلموا أنّهم عُبادة، فقاتلوهم، وصبرت خَفاجة، فبينما هم في القتال إذ سُمع طبل الجيش، فانهزموا، وقتلت منهم عُبادة جماعة، وكان فيهم عشرة من وجوههم، وتركوا حُرَمهم[4]، فأمر صدقة بحراستهنّ وحمايتهنّ، وأمر العسكر أن يؤثروا عُبادة بما غنموه من أموال خَفاجة، خلفاً لهم عمّا أُخذ منهم في العام الماضي.

وأصاب خفَاجة من مفارقة بلادها، ونهْب أموالها، وقتْل رجالها، أمر عظيم، وانتزحت إلى نواحي البصرة، وأقامت عُبادة في بلاد خفَاجة.

ولـمّا انهزمت خفَاجة وتفرّقت ونُهبت أموالها، جاءت امرأة منهم إلى الأمير صدقة، فقالت له: إنّك سبيتَنا، وسلبتنا قوّتنا، وغرَّبتنا[5]، وأضعْت حُرمتنا، قابلك الله في نفسك، وجعل صورة أهلك كصورتنا. فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك، وأعطاها أربعين جملاً، ولم يمض غير قليل حتّى قابل الله صدقةَ في نفسه وأولاده، فإنّ دُعاء الملهوف عند الله بمكان.

---

(١) في (ب): «أطراف».

(٢) من (ب).

(٣) من الباريسية.

(٤) في الأوربية: «حرمتهم».

(٥) في الباريسية: «عذبتنا».

ذكر مسير جاولي سقاوو إلى الموصل وأسر صاحبها جَكَرمِش

في هذه السنة، في المحرّم، أقطع السلطان محمّد جاولي سَقاوو الموصل، والأعمال التي بيد جَكَرمِش، وكان جاولي قبل هذا قد استولى على البلاد التي بين خُوزستان وفارس، وأقام بها سنين، وعمَّر قلاعها وحصَّنها، وأساء السيرة في أهلها، وقطع أيدِيَهم وجدع أنوفَهم وسمل أعينَهم.

فلمّا تمكّن السلطان محمّد من السلطنة خافه جاولي، وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن التونتكين، فتحصّن منه جاولي، وحصره مودود ثمانية أشهر، فأرسل جاولي إلى السلطان: إنّني لا أنزل إلى مودود، فإن أرسلتَ غيره نزلتُ. فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخَر، فنزل جاولي، وحضر الخدمة بأصبهان، فرأى من السلطان ما يحبّ، وأمره السلطان بالمسير إلى الفرنج ليأخذ البلاد منهم، وأقطعه الموصل وديار بكر[(١)] والجزيرة كلّها[(٢)].

وكان جَكَرمِش لمّا عاد من عند السلطان إلى بلاده، كما ذكرناه، وعدَ من نفسه الخدمة وحمْل المال، فلمّا استقرّ ببلاده لم يَفِ بما قال، وتثاقل في الخدمة وحمْل المال، فأقطع بلاده لجاولي، فجاء[(٣)] إلى بغداذ، وأقام بها إلى أوّل ربيع الأوّل، وسار إلى الموصل، وجعل طريقه على البوازيج، فملكها ونهبها أربعة أيّام، بعد أن أمّن أهلها، وحلف لهم أنّه يحميهم، فلمّا ملكها سار إلى[(٤)] إربل.

وأمّا جَكَرمِش فإنّه لمّا بلغه مسيره إلى بلاده كتب (في جمع العساكر، فأتاه)[(٥)] كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكرديّ الهذبانيّ، صاحب إربل، يذكر استيلاء جاولي على البوازيج، ويقول له: إن لم تعجّل المجيء لنجتمع عليه ونمنعه، وإلاّ اضطرّرتُ إلى موافقته والمصير معه. فبادر جَكَرمِش وعبر إلى شرقيّ دِجلة، وسار في عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره، وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده، فاجتمعوا بقرية باكَلْبَا[(٦)] من أعمال إربل.

---

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «فسار».
(٤) في (ب): «نحو».
(٥) من الباريسية.
(٦) من (ب).

ووافاهم جاولي وهو في ألف فارس، وكان جَكَرمِش في ألفَيْ فارس، ولا يشكّ أنّه يأخذ جاولي باليد، فلمّا اصطفّوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جَكَرمِش فانهزم من فيه، وبقي جَكَرمِش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان به، (فهو لا يقدر [أن] يركب)[1]، وإنّما يُحمل في محفّة، فلمّا انهزم أصحابه[2] قاتل عنه ركابيّ أسود قتالاً عظيماً، فقُتل، وقاتل معه واحد من أولاد الملك قاورت بك بن داود، اسمه أحمد، فقاتل بين يدَيْه، فطُعن فجُرح وانهزم، فمات بالموصل، ولم يقدر أصحاب جاولي على (الوصول إلى)[3] جكرمش، حتّى قُتل الركابيُّ الأسود فحينئذ أخذوه أسيراً وأحضروه عند جاولي، فأمر بحفظه وحراسته.

وكانت عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت إلى الموصل بعد مسيره بيومَيْن، فساروا جرائد ليدركوا الحرب، فلقيهم المنهزمون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش

لمّا انهزم العسكر، وأُسر جَكَرمِش، وصل الخبر إلى الموصل، فأقعدوا في الأمر زنكي بن جَكَرمِش، وهو صبيّ عمره إحدى عشرة سنة، وخطبوا له، وأحضروا أعيان البلد، والتمسوا منهم المساعدة، فأجابوا إلى ذلك.

وكان مستحفظ القلعة مملوكاً لجكرمش اسمه غزغلي[4]، فقام في ذلك المقام المَرضي، وفرّق الأموال التي جمعها جَكَرمِش، والخيول، وغير ذلك على الجُند، وكاتب سيفَ الدولة صدقة، وقِلِج أرسلان، والبُرْسُقيّ، شِحنة بغداذ، بالمبادرة إليهم، ومنْع جاولي عنهم، ووعدوا كلاً منهم أن يسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فلم يجبهم إلى ذلك، ورأى طاعة السلطان، وأمّا البرسقيّ وقلج أرسلان فنذكر حالهما.

ثم إنّ جاولي حصر الموصل، ومعه كرماوي[5] بن خُراسان التركمانيُّ، وغيره من الأمراء، وكثُر جمْعه، وأمر أن يُحمل جَكَرمِش كلّ يوم على بَغل وينادي[6] أصحابه بالموصِل ليسلّموا البلد ويخلّصوا صاحبهم مما هو فيه، ويأمرهم هو بذلك، فلا

---

(١) من (ب).

(٢) في الباريسية: «صاحبه».

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «قزعلي».

(٥) في (ب): «طرماوي».

(٦) في الأوربية: «وينادون».

يسمعون منه؛ وكان يسجنه في جُبّ، ويوكل به من يحفظه لئلاّ يُسرق، فأُخرج في بعض الأيّام ميّتاً، وعمره نحو ستّين سنة، وكان شأنه قد علا، ومنزلته قد عظمت، وكان قد شيّد سور الموصل وقوّاه، وبنى عليها فصيلاً، وحفر خندقها، وحصّنها غايةَ ما يقدر عليه.

وكان مع جَكَرمِش رجل من أعيان الموصل يقال له أبو طالب (بن كُسَيْرات)[1]، وبنو كُسَيرات إلى الآن بالموصل من أعيان أهلها، وكان أبو طالب قد تقدّم عند جَكَرمِش، وارتفعت منزلته، واستولى على أموره، وحضر معه الحرب، فلمّا أُسر جَكَرمِش هرب أبو طالب إلى إربل، وكان أولاد أبي الهيجاء، صاحب إربل، قد حضروا الحرب مع جَكَرمِش، وأسرهم جاولي، فأرسل إلى أبي الهيجاء يطلب ابن كُسَيْرات، فأطلقه وسيّره إليه، فأطلق جاولي بن أبي الهيجاء، فلمّا حضر ابن كُسَيْرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل وبلاد جَكَرمِش، وتحصيل الأموال، فاعتقله اعتقالاً جميلاً.

وكان قاضي الموصل أبو القاسم بن ودعان[2] عدوّاً لأبي طالب، فأرسل إلى جاولي يقول له: إن قتلتَ أبا طالب سلّمتُ الموصل إليك، فقتله وأرسل رأسه إليه، فأظهر الشماتة به، وأخذ كثيراً من أمواله وودائعه، فثار به الأتراك غضباً لأبي طالب ولتفرده بما أخذ من أمواله، ، فقتلوه؛ وكان بينهما شهر واحد، وقد رأينا كثيراً، وسمعنا ما لا نحصيه [من] قُرب وفاة أحد المتعاديين بعد صاحبه[3].

ذكر الحرب بين ملك القُسطنطينيّة والفرنج

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم، صاحب القُسطنطينيّة، وبين بيمُند الفرنجيّ، فسار بيمنُد إلى بلد ملك الروم ونهبه، وعزم على قصده، فأرسل ملك الروم إلى الملك قِلِج أرسلان بن سليمان، صاحب قُونيَة وأقصرا وغيرهما من تلك البلاد، يستنجده، فأمدّه بجمع من عسكره، فقوي بهم، وتوجّه إلى بيمُند، فالتقوا وتصافّوا واقتتلوا، وصبر الفرنج بشجاعتهم، وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم، ودامت الحرب، ثم أجّلت الوقعة عن هزيمة الفرنج، وأتى القتل على أكثرهم، وأُسر كثير منهم، والذين سلموا عادوا إلى بلادهم بالشام، وعاد عسكر قِلِج أرسلان إلى بلادهم

---

(١) من الباريسية.

(٢) في (ب): «ودعات».

(٣) انظر عن (جكرمش) في: لباب الآداب لأسامة بن منقذ ١٣٢، ١٣٣.

عازمين على المسير إلى صاحبهم بديار الجزيرة، فأتاهم خبر قتله[١]، على ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ، فتركوا الحركة وأقاموا.

ذكر ملك قلج أرسلان الموصل

قد ذكرنا أنّ أصحاب جَكَرمِش كتبوا إلى الأمير صدقة، وقسيم الدولة البُرْسُقي، والملك قِلِج أرسلان بن سليمان بن قُتلمِش السلجوقيّ، صاحب بلاد الروم، يستدعون كلاً منهم إليهم ليسلّموا البلد إليه. فأمّا صدقة فامتنع، ورأى طاعة السلطان[٢]؛ وأمّا قِلِج أرسلان فإنّه سار في عساكره فلمّا سمع جاولي سقاوو بوصوله إلى نَصِيبين رحل عن الموصل؛ وأمّا البرسقيّ فإنّه كان شِحنة بغداذ، فسار منها إلى الموصل، فوصلها بعد رحيل جاولي عنها، فنزل بالجانب الشرقيّ فلم يلتفتْ أحد إليه، ولا أرسلوا إليه كلمة واحدة، فعاد في باقي[٣] يومه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين أقام بها حتى كثُر جمعه، فلمّا سمع جاولي بقربه رحل من الموصل إلى سِنجار، وأودع رحله بها، واتّصل به الأمير إيلغازي بن أُرتُق وجماعة من عسكر جَكَرمِش، فصار معه أربعة آلاف فارس. فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام، ويقول له: إنّ الفرنج قد عجز مَن بالشام عن منعهم؛ فسار إلى الرَّحبة.

وأرسل أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلج أرسلان، وهو بنَصِيبين فاستحلفوه لهم، فحلف، واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة، وسار معهم إلى الموصل، فملكها في الخامس والعشرين من رجب، ونزل بالمُعْرِقةِ، وخرج إليه ولد جَكَرمِش وأصحابه، فخلع عليهم، وجلس على التَّخْت، (وأسقط السلطان محمّداً، وخطب لنفسه بعد الخليفة، وأحسن إلى العسكر)[٤]، وأخذ القلعة من غزغلي[٥]، مملوك جَكَرمِش، وجعل له فيها دَزْداراً، ورفع الرسوم المحدثة في الظلم، وعدل في الناس وتألّفهم، وقال: من سعى إليّ[٦] بأحد قتلتُه؛ فلم يسعَ أحدٌ بأحد، وأقرّ القاضي

---

(١) ذيل تاريخ دمشق ١٥٦.

(٢) في (ب): «الخليفة».

(٣) من الباريسية.

(٤) من (ب).

(٥) في (أب): «فرعلي».

(٦) في الأوربية: «إليه».

أبا محمّد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوريّ على القضاء بالموصل، وجعل الرئاسة لأبي البركات محمّد بن محمّد بن خميس، وهو والد شيخنا أبي الربيع سليمان.

وكان في جملة قلِج أرسلان الأمير إبراهيم بن ينّال التركمانيّ، صاحب آمد، ومحمّد بن جبق التركمانيُّ، صاحب حصن زياد، وهو خَرْتَبِرْتُ.

فأمّا إبراهيم بن ينّال فكان سبب ملكه لمدينة آمد أنّ تاج الدولة تُتُش، حين ملك ديار بكر، سلّمها إليه، فبقيت بيده؛ وأمّا محمّد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد (أنّ هذا الحصن)[1] كان بيد الفلادروس[2] الروميّ، ترجمان ملك الروم، وكانت الرُّها وأنطاكية من أعماله، فلمّا ملك سليمان بن قُتلمش، (والد قِلج أرسلان هذا)[3]، أنطاكية، وملك فخر الدولة بن جَهِير ديار بكر، ضعف الفلادروس عن إقامة ما يحتاج إليه حصن زياد من الميرة والإقامة، فأخذه جبق، وأسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه، وأمّره على الرُّها، فلم يزل عليها حتّى مات وأخذها الأمير بُزان[4] بعده.

وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد إنسان من الروم اسمه إفرنجي[5]، وكان يقطع الطريق، ويُكثر قتل المسلمين، فأرسل إليه جبق هدية، وخطب إليه مودّته، وأن يعين كلّ واحد منهما صاحبه، فأجابه إلى ذلك، فكان جبق يعين إفرنجيّ على قطع الطريق وغيره، وكذلك افرنجي يعين جبق، فلمّا وثِق كلّ واحدٍ بصاحبه أرسل إليه جبق: إني أريد قصد بعض الأماكن؛ وطلب أن يرسل إليه أصحابه، فأرسلهم إليه، فلمّا[6] ساروا معه في الطريق تقدّم بكتفهم، وحملهم إلى قلعة إفرنجيّ، وقال لأهليهم[7]: والله لئن لم تسلّموا إليّ إفرنجيّ لأضربنّ أعناقهم، ولآخذنّ الحصن عنوةً، ولأقتلنّكم على دم واحدٍ. ففتحوا له الحصن، وسلّموا إليه إفرنجيّ، فسلخه، وأخذ أمواله وسلاحه، وكان عظيماً، ومات جبق فوليَ بعده ابنه محمّد.

ذكر قتل قلج أرسلان وملك جاولي الموصل

قد ذكرنا أنّ قِلج أرسلان لمّا وصل إلى نَصِيبين سار جاولي عن المَوصِل إلى

---

(١) من (ب).
(٢) تصحّف في الأصل.
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «نزان».
(٥) في (ب): «فرنجي».
(٦) من الباريسية.
(٧) في (ب): «لأعيانهم».

سِنجار، ثم إلى الرَّحبة، فوصلها في رجب، وحصرها إلى الرابع والعشرين من شهر رمضان، وكان صاحبها حينئذٍ يُعرف بمحمّد بن السبّاق، وهو من بني شيبان، رتّبه بها الملك دُقاق لمّا فتحها، وأخذ ولده رهينةً، وحمله معه إلى دمشق، فلما توفّي أرسل هذا الشيبانيُّ قوماً سرقوا ولده وحملوه إليه، فلمّا وصل إليه خلع الطاعة للدمشقيّين، وخطب في بعض الأوقات لقلج أرسلان. فلمّا وصل إليها جاولي وحصرها، أرسل إلى الملك رضوان يعرّفه أنّه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه، ويشرط[1] عليه أنّه إذا تسلّم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده، فلمّا استقرّت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان، فاشتدّ الحصار على أهل البلد، وضاقت عليهم الأمور.

واتّفق جماعة كانوا بأحد الأبراج، وأرسلوا إلى جاولي، واستحلفوه على حفظهم وحراستهم، وأمروه أن يقصد البرج الذي هم فيه عند انتصاف الليل، ففعل ذلك، فرفع مَنْ في البرج أصحابه إليهم في الحبال، فضربوا بوقاتهم وطبولهم، فخذل مَن في البلد، ودخله أصحاب جاولي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان، ونهبوه إلى الظهر، ثم أمر برفع النهب، ونزل إليه محمّد الشيبانيُّ صاحب البلد، وأطاعه، وصار معه.

ثم إنّ قِلج أرسلان لمّا فرغ من أمر الموصِل سار عنها إلى جاولي سقاوو ليحاربه، وجعل ابنه ملكشاه في دار الإمارة، وعمره إحدى عشرة سنة، ومعه أمير يدبّره وجماعة من العسكر، وكانت عدّة عسكره أربعة آلاف فارس بالعدّة الكاملة والخيل الجيّدة.

وسمع العسكر بقوّة جاولي، فاختلفوا، وكان أوّل مَن خالف عليه إبراهيم بن ينّال، صاحب آمد، فإنّه فارق خيامه وأثقاله وعاد من الخابور إلى بلده، وكذلك غيره، وعمل قِلج أرسلان على المطاولة لما بلغه من قوّة جاولي وكثرة جموعه، وأرسل إلى بلاده يطلب عساكره لأنّها كانت عند ملك الروم (نجدةً له على قتال الفرنج، كما ذكرناه، فلمّا وصل إلى الخابور بلغت عدّته خمسة آلاف)[2].

وكان مع جاولي أربعة آلاف، من جملتهم الملك رضوانٌ، وجماعة من عسكره، إلاّ أنّ شجعانه أكثر، واغتنم جاولي قلّة عسكر قِلج أرسلان، فقاتله قبل وصول عساكره إليه، فالتقوا في العشرين من ذي القعدة، فحمل قلج أرسلان على القوم بنفسه، حتّى خالطهم، فضرب يد صاحب العَلَم فأبانها، ووصل إلى جاولي بنفسه، فضربه بالسيف،

---

(١) في (ب): «وشرط».
(٢) من (ب).

فقطع الكُزَاغَنْد ولم يصل إلى بدنه، وحمل أصحاب جاولي على أصحابه فهزموهم، واستباحوا ثَقَلهم وسوادهم، فلمّا رأى قِلج أرسلان انهزام عسكره علم أنّه إن أُسر فعل به فعْل مَنْ لم يترك للصلح موضعاً، لا سيّما وقد نازع السلطان في بلاده، واسم السلطنة، فألقى نفسه في الخابور، وحمى نفسه (من أصحاب جاولي)[1] بالنشّاب، فانحدر به الفرس إلى ماء عميق فغرق، وظهر بعد أيّام فدُفن بالشَمْسَانِيّة[2] وهي من قُرى الخابور.

وسار جاولي إلى الموصل، ولمّا وصل إليها فتح أهلها له بابها، ولم يتمكّن من بها من أصحاب قِلج أرسلان مِنْ مَنْعهم، ونزل بظاهر البلد، وأخذ كلّ واحد من أصحاب جَكَرمِش الذين (حضروا الوقعة)[3] مع قلج أرسلان (إلى جهة)[4]. فلمّا ملك جاولي الموصل أعاد خطبة السلطان محمّد، وصادر جماعة مَن بها من أصحاب جَكَرمِش، وسار إلى جزيرة ابن عُمَر، وبها حبشيّ بن جَكَرمِش، ومعه أمير من غلمان أبيه اسمه غزغلي[5]، فحصره مدّة، ثم إنّهم صالحوه، وحملوا إليه ستّة آلاف دينار، وغيرها من الدوابّ والثياب، ورحل عنهم إلى الموصل، وأرسل ملكشاه بن قِلج أرسلان إلى السلطان محمّد[6].

ذكر أحوال الباطنيّة بأصبهان وقتل ابن عطّاش[7]

في هذه السنة ملك السلطان محمّد القلعة التي كان الباطنيّة ملكوها بالقرب من أصبهان، واسمها شاه دَز، وقتل صاحبها أحمد بن عبد الملك بن عطّاش، وولده، وكانت هذه القلعة قد بناها ملكشاه، واستولى عليها بعده أحمد بن عبد الملك بن عطّاش.

وسبب ذلك أنّه اتّصل بدزْدار كان لها، فلمّا مات استولى أحمد عليها، وكان الباطنيّة بأصبهان قد ألبسوه تاجاً، وجمعوا له أموالاً، وإنّما فعلوا ذلك به لتقدّم أبيه

(١) من (ب).
(٢) في الأصل: «بالسمسمانية».
(٣) في (ب): «حصروا القلعة».
(٤) في (ب): «أخيه يأمن فيها».
(٥) في (ب): «فرعلي».
(٦) انظر عن (جاولي سقاوو) في: لباب الآداب ١٣٣.
(٧) في (ب): «عطاس»، ويرد في تاريخ الإسلام ٧، «غطاس».

عبد الملك في مذهبهم، فإنّه كان أديباً بليغاً، حسن الخطّ، سريع البديهة، عفيفاً، وابتُلي بحب هذا المذهب، وكان ابنه أحمد هذا جاهلاً لا يعرف شيئاً.

وقيل لابن الصبّاح، صاحب قلعة أَلَمُوتَ: لماذا تعظّم ابنَ عطّاش مع جهله؟ قال: لمكان أبيه، لأنّه كان أُستاذي.

وصار لابن عطّاش عدد كبير، (وبأس شديد)[1]، واستفحل أمره بالقلعة، فكان يرسل أصحابه لقطع الطريق، وأَخْذ الأموال، وقتْل من قدروا (على قتله)[2]، فقتلوا خلقاً كثيراً لا يمكن إحصاؤهم، وجعلوا له على القُرى السلطانيّة وأملاك الناس ضرائب يأخذونها[3] ليكفّوا عنها الأذى، فتعذّر بذلك انتفاع السلطان بقُراه، والناس بأملاكهم، وتمشّى لهم الأمر بالخُلْف الواقع بين السلطانَيْن بركْيارُق ومحمّد.

فلمّا صفت السلطنة لمحمّد، ولم يبق له منازع، لم يكن عنده أمرٌ أهمّ من قصد الباطنيّة وحربهم، والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم، فرأى البداية بقلعة أصبهان التي بأيديهم، لأنّ الأذى بها أكثر، وهي متسلّطة على سرير ملكه، فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان.

وكان قد عزم على الخروج أوّل رجب، فساء ذلك مَن يتعصّب لهم من العسكر، فأرجفوا أنّ قِلج أرسلان بن سليمان قد ورد بغداذ وملكها، وافتعلوا في ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أنّ خللاً قد تجدّد بخُراسان، فتوقّف[4] السلطان لتحقيق الأمر، فلما ظهر بُطلانه عزم عزيمة مثله، وقصد حربهم، وصعد جبلاً[5] يقابل القلعة من غربيّها، ونصب له التخت في أعلاه، واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها، وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربعة فراسخ، ورتّب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كلّ يوم أمير، فضاق الأمر بهم، واشتدّ الحصار عليهم، وتعذّرت عندهم الأقوات.

فلمّا اشتدّ الأمر عليهم كتبوا فتوى فيها: ما يقول السادة الفقهاء أئمّة الدين[6] في

---

(١) من الباريسية.
(٢) في (ب): «عليه».
(٣) في (ب): «أخذوه منهم».
(٤) في (ب): «فتركه».
(٥) في الأوربية: «جبل».
(٦) في الأوربية: «الذين».

قوم يؤمنون بالله وكُتُبه ورُسُله واليوم الآخر، وإنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ وصدق، وإنّما يخالفون في الإمام: هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم، وأن يقبل طاعتهم، ويحرسهم من كلّ أذى؟ فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك، وتوقّف بعضهم، فجُمعوا للمناظرة، ومعهم أبو الحسن عليُّ بن عبد الرحمٰن السمنجانيّ، وهو من شيوخ الشافعيّة، فقال، بمحضر من الناس، يجب قتالهم، ولا يجوز[1] إقرارهم بمكانهم، ولا ينفعهم التلفّظ بالشهادتَيْن، فإنّهم يقال لهم: أخبرونا عن إمامكم، إذا أباح لكم ما حظر الشرع، أو حظره عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون أمره؟ فإنّهم يقولون نعم، وحينئذ تباح دماؤهم بالإجماع. وطالت المناظرة في ذلك.

ثمّ إنّ الباطنيّة سألوا السلطان أن يُرسل إليهم من يناظرهم، وعيّنوا على أشخاص من العلماء منهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى، شيخ الحنفيّة بأصبهان، وقاضيها، وغيره، فصعدوا إليهم وناظروهم، وعادوا كما صعدوا، وإنّما كان قصدهم التعلّل والمطاولة، فلجّ حينئذ السلطان في حصرهم، فلمّا رأوا عين المحاقة[2] أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يُعطوا عوضاً عنها قلعة خالنجان، وهي على سبعة فراسخ من أصبهان، وقالوا: إنّا نخاف على دمائنا وأموالنا من العامّة، فلا بدّ من مكان نحتمي به منهم؛ فأُشير على السلطان بإجابتهم (إلى ما طلبوا)[3]، فسألوا أن يؤخّرهم إلى[4] النوروز ليرحلوا إلى خالنجان ويسلّموا قلعتهم، وشرطوا أن لا يسمع قول متنصّح[5] فيهم، وإنْ قال أحدٌ عنهم شيئاً سلّمه إليهم، وأن ما أتاه منهم ردّه إليهم، فأجابهم إليه، وطلبوا أن يحمل إليهم من الإقامة ما يكفيهم يوماً يوم، فأُجيبوا إليه في كلّ هذا، وقصْدهم المطاولة انتظاراً لفتق أو حادث يتجدّد.

ورتّب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يُحمل إليهم كلّ يوم من الطعام والفاكهة، وجميع ما يحتاجون إليه، فجعلوا هم يرسلون، ويبتاعون من الأطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا في قلعتهم، ثم إنّهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميراً كان يبالغ في قتالهم، فوثبوا عليه وجرحوه، وسلم منهم، فحينئذ أمر السلطان بإخراب[6] قلعة

---

(١) في (ب): «يجب».
(٢) في الأوربية: «المحاققة».
(٣) في (ب): «لما سألوه».
(٤) في (ب) زيادة: «قرب».
(٥) في (ب): «مستنصح».
(٦) في (ب): «بتخريب».

خالنجان، وجدّد الحصار عليهم، فطلبوا أن ينزل بعضهم، ويرسل السلطان معهم من يحميهم إلى أن يصلوا إلى قلعة الناظر[1] بأرَّجان، وهي لهم، وينزل بعضهم، ويرسل معهم من يوصلهم إلى طَبَس[2]، وأن يقيم البقية منهم في ضِرس من القلعة، إلى أن يصل إليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم، فينزلون حينئذ، ويرسل معهم من يوصلهم إلى ابن الصَّبّاح بقلعة ألَمُوت، فأُجيبوا إلى ذلك، فنزل منهم إلى الناظر[1]، وإلى طَبَس[2]، وساروا، وتسلّم السلطان القلعة وخرّبها.

ثم إنّ الذين ساروا إلى قلعة الناظر وطَبَس وصل منهم من أخبر ابن عطّاش بوصولهم، فلم يسلّم السنّ الذي بقي بيده، ورأى السلطان منه الغدر، والعود عن الذي قرّره، فأمر بالزحف إليه، فزحف الناس عامّة ثاني ذي القعدة، وكان قد قلّ عنده من يمنع ويقاتل، فظهر منهم صبر عظيم، وشجاعة زائدة، وكان قد استأمن إلى السلطان إنسان من أعيانهم، فقال لهم: إنّي أدلّكم على عورة لهم؛ فأتى بهم إلى جانب لذلك السنّ لهم لا يُرام، فقال لهم: اصعدوا من ها هنا؛ فقيل إنّهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال، فقال: إنّ الذي ترون أسلحة[3] وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلّتهم عندهم.

وكان جميع من بقي ثمانين رجلاً، فزحف الناس من هناك، فصعدوا منه، وملكوا الموضع، وقُتل أكثر الباطنيّة، واختلط جماعة منهم مع من دخل، فخرجوا معهم، وأمّا ابن عطّاش فإنّه أُخذ أسيراً، فتُرك أسبوعاً، ثم إنّه أمر به فشُهر في جميع البلد، وسُلخ جلده، فتجلّد حتّى مات، وحُشي جلده تبناً، وقُتل ولده، وحُمل رأساهما إلى بغداذ، وألقت زوجته نفسها[4] من رأس القلعة فهلكت، (وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها، فهلكت أيضاً وضاعت، وكانت مدّة البلوى بابن عطاش اثنتي عشرة سنة)[5].

ذكر الخُلْف بين سيف الدولة صدقة ومُهذّب الدولة صاحب البطيحة

في هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، ومُهذّب الدولة السعيد بن أبي

---

(١) في (ب): «الناطنة».

(٢) في (ب): «بلس».

(٣) في الأوربية: «أسحلة».

(٤) في الأوربية: «نفسه».

(٥) من (ب). والخبر في: نهاية الأرب ٢٦/٣٦٢، ٣٦٣، والمختصر ٢/٢٢٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٠ هـ.) ص ٧٧ ـ ٧٩، والبداية والنهاية ١٢/١٦٧، والنجوم الزاهرة ٥/١٩٥.

الجبر[1]، صاحب البطيحة، وانضاف حمّاد بن أبي الجبر إلى صدقة، وأظهر معاداة ابن عمّه مهذّب الدولة، ثم اتفقوا.

وكان سبب ذلك أنّ صدقة لمّا أقطعه السلطان محمّد مدينة واسط ضمنها منه مهذّب الدولة، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه، فمدّوا أيديهم في الأموال، وفرّطوا فيها، وفرّقوها، فلمّا انقضت السنة طالبه صدقة بالمال، وحبسه، ثم سعى في خلاصه بدران بن صدقة، وهو صهر مهذّب الدولة، فأخرجه من الحبس وأعاده إلى بلده البطيحة.

وضمن حمّاد بن أبي الجبر واسط، فانحلّ على مهذبّ الدولة كثير من أمره، فآل الأمر إلى الاختلاف بعد الاتّفاق، فإنّ المصطنع إسماعيل، جدّ حمّاد، والمختص محمّداً، والد مهذّب الدولة، أخوان، وهما ابنا أبي الجبر، وكانت إليهما رئاسة أهلهما وجماعتهما[2]، فهلك المصطنع، وقام ابنه أبو السيّد المظفّر، والد حمّاد، مقامه وهلك المختصّ محمّد، وقام ابنه مهذّب الدولة مقامه، وصارا يتنازعان ابنَ الهيثم، صاحب البطيحة، ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذّب الدولة، أيّام كوهرائين، وسلّمه إلى كوهرائين، فحمله إلى أصبهان، فهلك في طريقها. فعظم أمر مهذّب الدولة، وصيّره كوهرائين أمير البطيحة، فصار ابن عمّه وجماعةٌ تحت حكمه.

وكان حمّاد شابّاً، فأكرمه مهذّب الدولة، (وزوّجه بنتاً له، وزاد في إقطاعه، فكثر ماله، فصار يحسد مهذّبِ الدولة)[3]، ويُضمر بغضَهُ، وربّما ظهر في بعض الأوقات؛ وكان مهذّب الدولة يداريه بجهده، فلمّا هلك كوهرائين انتقل حمّاد عن مهذّب الدولة، وأظهر[4] ما في نفسه، فاجتهد مهذّب الدولة في إعادته إلى ما كان، فلم يفعل، فسكت عنه، فجمع النفيس بن مهذّب الدولة جمعاً وقصد حمّاداً، فهرب منه إلى سيف الدولة بالحِلّة، فأعاده صدقة ومعه جماعة من الجُند، فحشد مهذّب الدولة، فأرسل حمّاد إلى صدقة يعرّفه ذلك، فأرسل إليه كثيراً من الجُند، فقوي عزم مهذّب الدولة على المحاربة لئلاّ يظنّ به العجز، فأشار عليه أهله بترك الخروج من موضعه لحصانته، فلم يفعل، وسيّر سُفنه وأصحابه في الأنهر، فجعل حمّاد وأخوه له الكمناء، واندفعوا من بين أيديهم، فطمع أصحاب مهذّب الدولة وتبعوهم، فخرج عليهم الكمناء، فلم يسلم منهم

(١) في (ب): «الخير».
(٢) في الباريسية: «عنهما».
(٣) من (ب).
(٤) في (ب) زيادة: «بعض».

إلاّ من لم يحضر أجله، فقُتل منهم وأُسر خلق كثير، فقوي طمع حمّاد، وأرسل إلى صدقة يستنجده، فأرسل إليه مقدّم جيشه سعيد بن حُمَيد العمريّ، وغيره من المقدّمين، وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذّب الدولة، فرأوا أمراً محكماً، فلم يمكنهم الدخول إليه.

وكان حمّاد بخيلاً، ومهذّب الدولة جواداً، فأرسل إلى سعيد بن حُمَيْد الإقامات الوافرة، والصلات الكثيرة، واستماله، فمال إليه، واجتمع به، وتقرّر الأمر على أن أرسل مهذّب الدولة ابنه النفيس إلى صدقة، فرضي عنه، وأصلح بينهم وبين حمّاد ابن عمّهم، وعادوا إلى حال حسنة من الاتّفاق، وكان صلْحهم في ذي الحجّة سنة خمسمائة.

ذكر قتل وزير السلطان ووزارة أحمد بن نظام المُلك

في شوّال من هذه السنة قبض السلطان محمّد على وزيره سعد المُلك أبي المحاسن، وأخذ ماله، وصلبه على باب أصبهان، وصلب معه أربعة نفر من أعيان أصحابه والمنتمين إليه؛ أمّا الوزير فنُسب إلى خيانة السلطان، وأمّا الأربعة فنُسبوا إلى اعتقاد الباطنية، وكانت مدّة وزارته سنَتَيْن وتسعة أشهر، وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك أبا الغنائم، وتعطّل بعده، ثم استعمله مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، فجعله على ديوان الإستيفاء، وخدم السلطان محمّد لمّا حصره أخوه السلطان بركْيارُق بأصبهان خدمة حسنة، ولمّا فارقها محمّد حفظها الحفْظَ التامّ، وقام المقام العظيم، فاستوزره محمّد، ووسّع له في الإقطاع، وحكّمه في دولته، ثم نكبه، وهذا آخر خدمة الملوك.

وما أحسن ما قال عبد الملك بن مروان: أنعم الناس عيشاً من له ما يكفيه، وزوجة تُرضيه، ولا يعرف أبوابَنا هذه الخبيثة فتؤذيه.

ولمّا قبض الوزير استشار السلطان في من يجعله وزيراً، فذُكر له جماعة، فقال السلطان: إنّ آبائي درُّوا[1] على نظام المُلك البركة، ولهم عليه[2] الحقّ الكثير، وأولاده أغذياء[3] نعمتنا، ولا معدل عنهم. فأمر لأبي نصر أحمد هذا بالوزارة، ولُقّب ألقاب أبيه: قوام الدين، نظام المُلك، صدر الإسلام.

وكان سبب قدومه إلى باب السلطان أنّه لمّا[4] رأى انقراض دولة أهل بيته لزِم

---

(١) في الأوربية: «رأوا».

(٢) في الأوربية: «وله عليهم».

(٣) في الأوربية: «أغذيا».

(٤) في (ب): «كلما».

داره بهمذان، فاتّفق أنّ رئيس همذان، وهو الشريف أبو هاشم، آذاه، فسار إلى السلطان شاكياً منه ومتظلّماً، فقبض السلطان على الوزير، وأحمد هذا في الطريق، فلمّا وصل إليه ذكره، وخلع عليه خِلع الوزارة، وحكّمه، ومكّنه[١]، وقوي أمره، وهذا من الفرج بعد الشدّة، فإنّه حضر شاكياً، فصار حاكماً.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في صفر، عُزل الوزير أبو القاسم عليُّ بن جَهِير، وزير الخليفة، فقصد دار سيف الدولة (صدقة ببغداذ)[٢] (ملتجئاً إليها، وكانت ملجأ لكلّ ملهوف)[٣]، فأرسل إليه صدقة مَنْ أخذه إليه إلى الحِلّة، وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأيّاماً، وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامّة، وفيها عِبْرةٌ، فإنّ أباه أبا نصر بن جَهِير بناها بأنقاض أملاك الناس، وأخذ، بسببها، أكثر ما[٤] دخل فيها، فخرِبَت عن قريب[٥].

ولمّا عُزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغانيّ، ثم تقرّرت الوزارة في المحرّم من سنة إحدى وخمسمائة لأبي المعالي هبة الله بن محمّد بن المطّلب، وخُلع عليه فيه[٦].

[الوفيات]

وفيها، في شوّال، توفّي الأمير أبو الفوارس سُرخاب بن بدر بن مُهَلْهِل، المعروف بابن أبي الشوك الكرديّ، وكانت له أموال كثيرة، وخيول لا تحصى، ووليّ الإمرة بعده أبو منصور بن بدر، وقام مقامه، وبقيت الإمارة في بيته مائة وثلاثين سنة، وقد تقدّم من أخباره ما فيه كفاية.

---

(١) من (ب).
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في (ب): «مما».
(٥) المنتظم ٩/١٤٩ (١٧/١٠٠)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/١٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠، البداية والنهاية ١٢/١٦٧.
(٦) المنتظم ٩/١٥٠ (١٧/١٠٠)، نهاية الأرب ٢٣/٢٥٧، تاريخ الإسلام ٨٠.

وفي هذه السنة توفّي أبو الفتح[1] أحمد بن محمّد بن أحمد بن سعيد الحدّاد[2] الأصبهانيُّ ابن أخت عبد الرحمٰن بن أبي عبد الله بن مندة، ومولده سنة ثمان وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، مشهوراً بالرواية.

وفيها توفّي أبو محمّد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج[3] البغداذيُّ في صفر، وهو مكثر من الرواية، وله تصانيف حسنة، وأشعار لطيفة، وهو من أعيان الزمان.

وعبد الوهّاب بن محمّد بن عبد الوهّاب أبو محمّد الشيرازيّ[4]، الفقيه، وليَ التدريس بالنظاميّة ببغداذ سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمائة، وكان يروي الحديث أيضاً.

وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبّار بن أحمد الصيرفيُّ المعروف بابن الطيوري[5] البغداذيّ، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، ثقة، صالحاً، عابداً.

وأبو الكرم المبارك بن الفاخر[6] بن محمّد بن يعقوب النحويّ، سمع الحديث من أبي الطيّب الطبريّ، والجوهريّ، وغيرهما، وكان إماماً في النحو واللغة.

---

(١) في (ب): «الفتوح».

(٢) من (ب)، ومن مصادر ترجمته التي ذكرتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣١١، رقم ٣٥٣.

(٣) انظر عن (السرّاج) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.)، ص ٣١٥ـ ٣١٨ رقم ٣٥٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) انظر عن (الشيرازي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٠ ـ ٣٢٣ رقم ٣٦٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (ابن الطيوري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٤ ـ ٣٢٧ رقم ٣٦٥، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (المبارك بن الفاخر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٠ هـ.) ص ٣٢٧، ٣٢٨ رقم ٣٦٦، وفي (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٠ رقم ١١٥ وفيهما حشدت مصادر ترجمته.